الدراسات اللغوية

خلال القرن الرابع الهجري

نزول القرآن الكريم ودوره في نشأة الدراسات اللغوية

مصادر البحث اللغوي - الأمالي والمجالس

كتب علوم القرآن - المعاجم اللغوية

الظواهر اللغوية

تأليف

الدكتور حمودي زين الدين عبد المشهداني

الأستاذ في الجامعة الإسلامية ببغداد
وعميد كلية اللغة العربية وعلوم القرآن فيها سابقاً

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

Title: The linguistic studies during the fourth century of the Hegira
Author: Dr. Ḥammūdi Al-Mašhadāni
Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah
Pages: 320
Year: 2005
Printed in: Lebanon
Edition: 1st

الكتاب: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري
المؤلف: د. حمودي زين الدين عبد المشهداني
الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت
عدد الصفحات: 320
سنة الطباعة: 2005 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-4421-9
9 782745 144218 90000

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢/ ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد ﷺ.... أما بعد:

فإنَّ اللغة العربية تُعدُّ من أعرق اللغات وأدقها، لما تحتويه من كثرة في المفردات، وغزارة في المادة، وقد شرفها الله سبحانه وتعالى من بين سائر اللغات الأخرى، بنزول قرآنه الكريم بلغة العرب، وقد وسعت سنة نبيه محمد ﷺ وآثار العرب العلمية والأدبية منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.

لقد تنوعت الأفكار والاتجاهات اللغوية على مر العَصور، حتى أغنت الحياة العلمية، مما حملته من مفردات كثيرة، ودقة في معانيها، والأحكام في قواعدها، وتوسعت على أثر ذلك الدراسات الفقهية والنحوية والصرفية واللغوية، وتطورت بمرور الزمن الدراسات اللغوية من ناحية المادة والمنهج فاختلفت اتجاهاتها تبعاً لاختلاف الحياة البيئية والفكرية، فنشأ في العراق تياران لكل منهما خصائصه وأسسه العلمية، عرفا بمدرستي البصرة والكوفة، وبعد ذلك تبوأت بغداد منزلة علمية رفيعة، وذاع صيتها في الآفاق، فقصدها الدارسون، وشدت إليها الرحال من كل حدب وصوب، فاستقر على أثر ذلك منهج جديد له خصائص وأسس علمية جديدة، عرف فيما بعد بمدرسة بغداد.

لقد قيض الله لهذه اللغة علماء أجلاء قاموا بإحياء هذا التراث الهائل جيلاً بعد جيل، خلال فترات متعاقبة، ويقف القرن الرابع الهجري شاهداً على ما أذهب إليه، حيث امتاز هذا القرن بطائفة من العلماء أسهموا بمصنفاتهم في علوم العربية المختلفة في إغناء التراث الحضاري، فكان أبو موسى الحامض، والزجاج، وابن السراج، وابن دريد، ونفطويه، وابن الأنباري، والزجاجي، وأبو عمر الزاهد، وابن مجاهد، وابن خالويه، وأبو علي الفارسي، وابن جني وغيرهم.

هذا مع كثرة الدراسات اللغوية التي تناولت دراسة اللغة، على اختلافها وفي فترات متباينة، إلا أننا نجد أكثر الباحثين قد انصرف إلى دراسة الفترات المتقدمة من حياة الأمة، فضلاً عن انصراف آخرين إلى دراسة علماء القرن الرابع الهجري.

وظلت فترة القرن الرابع الهجري غير مدروسة من قبل الباحثين، ولهذا أردت أن أسهم بجهدي المتواضع في دراسة هذه الفترة الغزيرة بالعلم والعلماء،

حيث قد وقع اختياري لموضوع رسالة الماجستير «الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري»، وقد حفل افتناني بأهمية الموضوع، على الرغم من الصعوبات التي واجهتني لتشعب المادة وتنوع الأصول التي تناولت تاريخ هذه الحقبة من الزمن، فزادتني إصراراً على بذل الجهد من أجل إغناء هذه الرسالة، لاستجلاء الموقف القومي الذي نهد به العراق في غابر الزمن، وجعله موصولاً إلى يومنا هذا.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن أجعله في خمسة فصول، يسبقها تمهيد، وأنهيها بخاتمة.

ففي التمهيد تناولت الحديث عن أهمية نزول القرآن في نشأة الدراسات اللغوية، ثم أعقبته بلمحة تأريخية عن الخلفاء الذين تناوبوا الحكم في العراق خلال القرن الرابع الهجري.

أما الفصل الأول فقد ضم ثلاثة مباحث، خصصت الأول للبحث عن مصادر الدرس اللغوي، والثاني تناولت فيه البحث عن الأمالي والمجالس وميزت الفرق بينهما، وتحدثت عن كتب المجالس والأمالي، فأشرت إلى المطبوع منها، وتناولت في المبحث الثالث النوادر، متحدثاً عن معناها دارسا كتب النوادر المطبوعة وخصصت الفصل الثاني للبحث عن كتب الموضوعات اللغوية المستقلة.

وكان الفصل الثالث لدراسة كتب علوم القرآن، فقسمته إلى مقدمة وأربعة مباحث، تناولت في المقدمة نشأة العلوم اللغوية وأثر القرآن الكريم في نشأتها، أما المبحث الأول فخصصته لكتب معاني القرآن، والمبحث الثاني خصصته لكتب غريب القرآن، والمبحث الثالث تناولت فيه نشأة القراءات القرآنية، وما أفرزه القرن الرابع الهجري في مجال القراءات، ثم تحدثت عن كتب القراءات، وعَمَّنْ ألف فيها، وأشرت إلى المطبوع منها ودراسته، وختمت الفصل الثالث بالمبحث الرابع، حيث خصصته لكتب الوقف والابتداء.

أما الفصل الرابع فخصصته لدراسة المعاجم اللغوية ابتدأت بمقدمة وجيزة تحدثت فيها عن فضل اللغة العربية، وما خصها الله سبحانه وتعالى من شرف، فأنزل قرآنه الكريم بلغة العرب، وأتبعت ذلك بالحديث عن أولية المعجم العربي، ثم

تحدثت عن المعاجم اللغوية، فاقتضى أن يكون في أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول، المعاجم التي سارت على منهج الخليل بن أحمد فكان «تهذيب اللغة» و «المحيط في اللغة» ثم جعلت المبحث الثاني مقصوراً على دراسة المعاجم التي سارت على الألفبائي مع مراعاة نظام التقليبات، ويقف كتاب «الجمهرة في اللغة» لابن دريد في مقدمتها. وخصصت المبحث الثالث لدراسة المعاجم التي سارت على النظام الألفبائي، دون نظام التقليبات فكان «مجمل اللغة» و «مقاييس اللغة» لابن فارس.

أما المبحث الرابع، فخصصته لدراسة الظواهر اللغوية، فاشتمل على ثلاثة مباحث، الأول، تحدثت فيه عن النقد اللغوي خلال القرن الرابع، ودراسة الكتب التي تمخضت عنه، والثاني كان خاصاً بالحديث عن الأصوات اللغوية، متحدثاً فيه عن نشأة الأصوات وتطورها إلى نهاية القرن الرابع، ودرست فيه أيضاً كتب الأصوات، وقصرته عن الحديث عن جهود علماء اللغة، وتجنبت جهود علماء القراءات في الأصوات. وفي المبحث الثالث تحدثت عن «فقه اللغة» وما يعنيه في مجال الدراسات اللغوية، ودرست الكتب التي صنفت فيه.

وكانت خاتمة البحث، ذكرت فيها ما اشتملت عليه الرسالة من نتائج وآراء توصلت إليها من خلال (معاناتي) للبحث.

أما منهجي فقد قصرته على الجانب اللغوي الخاص في الدراسات اللغوية في العراق دون النحو والصرف، ذلك أن النحو والصرف أُلفا علمين مستقلين، على الرغم من تداخلهما مع اللغة.

وأخذت في هذه الرسالة بالمنهج التاريخي في دراسة اللغة، أما مصادر البحث فكانت أربعة أنماط:

أ. المخطوطات. ب. الرسائل الجامعية. جـ. المجلات. د. الكتب المطبوعة.

وقد توزعت هذه المصادر حسب موضوعاتها من البحث، وأفادت هذه الرسالة أيضاً من المراجع الحديثة التي عالجت جوانب مختلفة في اللغة، وقد أغناني البعض منها عن الخوض في دراسة الموضوعات المدروسة في بحثي تجنباً للتكرار.

وبعد ... فإني آمل أن أكون قد أسهمت في جهدي المتواضع، في خدمة

اللغة وتراث الأمة الخالد، ولا أزعم أن بحثي قد أصاب الكمال وبلغ السلامة، لأن الكمال لله وحده، وأرجو أن يكون بحثي إضافة جديدة للمكتبة اللغوية، أضعه لإتمام ما بدأه الآخرون في القرون الثلاثة الأولى.

وفي الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لخدمة العلم والعلماء، والله الموفق للصواب، وخير ما أختم به مقدمة بحثي، هو كلام الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ
قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ ﴾ صدق الله العظيم

تمهيد

كانت القبائل العربية قبل ظهور الإسلام، تتكلم بلهجات مختلفة، فكانت قبائل تميم وطيء وهذيل وبلعنبر وأسد وكنانة، وغيرها من القبائل العربية الأخرى، فاقتصرت معارفهم على الشعر والخطابة والأمثال، وأخبار حروبهم وأيامهم للتفاخر بأنسابهم، وعندما جاء الإسلام وسع هذه المعارف وزادها بأفكار القرآن وتشريعاته وما تضمنه من أحكام منهج وأصول وفروع.

وكان لنزول القرآن الكريم أثر في توحيد لهجات القبائل، وأصبح لدخولها الإسلام لزاما عليهم أن يتعلموا القرآن ويحفظوا آيه، وما يحتويه من تعاليم جديدة. وبطبيعة الحال فإن لتوحيد هذه اللهجات أخذ الرسول الكريم محمد (ﷺ) وصحابته من تفسير الآيات القرآنية وتوضيح مراميها وتيسير معانيها للمسلمين، من ألفاظ غريبة وأحكام جديدة.

وكان للصحابة دور في تفسير آيات القرآن الكريم، إذ كانوا المرجع الأول بعد الرسول (ﷺ) لأنهم لازموه وشهدوا معه كثيراً من الحوادث والظروف التي أنزل فيها القرآن، ويقف في طليعتهم ابن عباس (ت ٦٨ هـ) الذي انتهت إليه الرئاسة في التفسير والفتوى، وأول من وضع كتاب «غريب القرآن».

لقد شغل القرآن الكريم مركز الثقل في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية التي قامت عبر القرون المختلفة، بالإضافة إلى كونه الكتاب المقدس للأمة العربية، فإنه سجل أدبي حافل يحفظ لنا اللغة العربية، لأنه أنزل بأفصح لسان وأنصح بيان[(١)]، وقد بقيت اللغة العربية سليمة وفصيحة خلال الأيام الأولى للدعوة الإسلامية، لكنها فسدت نتيجة لدخول الأعاجم إلى الدين الإسلامي أولا، ولاتصال العرب بغيرهم عن طريق التجارة والرحلات ثانياً، فكان نتيجة لذلك أن تفشى اللحن في كلامهم فلقد روي أن رجلاً لحن في حضرة النبي (ﷺ) فقال الرسول لأصحابه: (أرشدوا أخاكم فقد ضل)[(٢)].

وكان للفتوحات الإسلامية أثر واضح وكبير في انتشار اللغة في الأقاليم والأماكن التي يفتحها المسلمون، فسارت اللغة العربية جنباً إلى جنب مع

(١) انظر الدراسات اللغوية عند العرب: ٥٣.

(٢) مراتب النحويين: ٥، الخصائص: ٢/٨.

الفتوحات. وما أن توسعت الفتوحات، حتى أصبحت عواصم الدولة الإسلامية مدنا رئيسية يهرع إليها الناس من كل مكان فكانت مدن البصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام والأندلس. وقد حفلت كل هذه المدن بعدد كبير من غير العرب الذين دخلوا الإسلام، وأصبحت لديهم الرغبة في تعلم القرآن وحفظه، فوجب عليهم أن يتعلموا اللغة كي يستطيعوا أن يفهموا القرآن ويفقهوا أحكام الإسلام لنزوله بلسان عربي. فزادت على أثر ذلك الحلقات في المساجد والجوامع، وكان الصحابة وغيرهم من أوائل المسلمين الذين قاموا بهذه المهمة.

لقد استمر القرآن الكريم طيلة القرون الأولى المصدر الرئيس في رفد الدراسات اللغوية والنحوية، فنهل منه الجيل الأول من اللغويين والنحاة والمفسرين، فحفلت المساجد بحلقاتهم العلمية لكونها ملتقى الناس، وبأعمار متفاوتة، فما تكاد تنتهي الصلاة حتى يجلس المصلون يتباحثون بالمسائل الدينية والفقهية، فهناك من يسأل عن آية من القرآن والآخر يستفسر عن قضية فقهية وهكذا كان الجالسون يتفاعلون بينهم للاستزادة من العلم، وأخذت المساجد على أثر ذلك بالتكاثر، حتى عد اليعقوبي مساجد بغداد ما يقارب الثلاثين ألف مسجد[١]، وأخذت تعقد فيها حلقات التدريس وتردد العلماء إلى المساجد كثيراً، فنشطت على أثر هذه المجالس الدراسات اللغوية مما جعل الخلفاء يقومون بإنشاء أكثر من جامع، فهذا أبو جعفر المنصور شيد جامع المدينة سنة (١٤٥هـ[٢]) عند بناء مدينة بغداد، والمهدي بنى جامع الرصافة سنة (١٥٩هـ[٣]).

فكانت حلقات التدريس في المساجد هي بمثابة مدارس تدرس فيها العلوم اللغوية والنحوية إلى جنب العلوم الدينية[٤]. فتنوعت بذلك الموضوعات، إلا أن تعلم القرآن وحفظه يقف على رأس الموضوعات إضافة إلى تدريس الأحاديث النبوية الشريفة، والشعر، وشرح غريب ألفاظه، فهذا القرن الثاني الهجري،

(١) معجم البلدان: ٢٥٠ وانظر بغداد في القرن الثالث: ٤٢.

(٢) مساجد بغداد: ١٨٤.

(٣) تاريخ بغداد: ١/١٠٩.

(٤) معجم الأدباء: ٧/٢٨٩.

ازدحمت فيه حلقات الدرس، فكان مجلس أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) من أهم الحلقات التي كانت تزدحم بطلاب العلم[١] وحلقة الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) حيث ازدحمت بطلاب العلم والمعرفة، فحلقة يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) انتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية[٢].

كما عقدت حلقة شعبة بن الحجاج مع أبي زيد الأنصاري[٣] وكانت حلقات أخرى لعدد من اللغويين والنحويين ازدانت بها مدن البصرة والكوفة وبغداد، أمثال، الأصمعي، وأبي عبيدة والكسائي، والفراء، والمبرد، وثعلب.

واستمرت حلقات العلماء طيلة القرون الثلاثة الأولى منتدى طلبة العلم والمعرفة، فأصبحت وفرة المادة التدريسية وتنوع الموضوعات سبب رئيس في جذب طلاب العلم والاستزادة من علمهم. حيث كانوا أعلاماً في العربية، فكلما برز أستاذ في حلقته تبوأ طلابه بعد وفاته مكانه، يرفعون لواء العلم من بعده، محافظين على سمعة أستاذهم، فالواحد سلم الآخر راية العلم من بعده[٤] وإلى جانب المساجد وجدت دور الخلفاء والأمراء، كما أن الكتاتيب شاركت حلقات العلم التي عقدت في المساجد، فكانت المناقشات والمناظرات قد عقدت في مجالس الخلفاء والأمراء، كما في المسألة الزنبورية التي جرت بين الكسائي وسيبويه في مجلس يحيى بن خالد البرمكي[٥].

لقد كان للنشاط الرائع الذي قام به علماء اللغة في القرون الثلاثة الأولى، أثر في رسوخ اللغة، وانتشارها وحفظها من الضياع، مما دفع اللغويّين إلى أن يعرفوا اللغات الفصيحة ولغات القبائل العربية المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية وما أن حل القرن الثاني الهجري حتى وجد لرواية اللغة ضرورة يرجع إليها اللغوي لفهم آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فالقارئ والمفسر والمحدث بحاجة إلى معرفة الشعر

---

(١) الخصائص: ٧٣/٣.
(٢) الفهرست: ٤٢، نزهة الألباء: ٣٢.
(٣) نزهة الألباء: ٨٧.
(٤) انظر الدراسات اللغوية عند العرب: ٣٨.
(٥) مغني اللبيب: ٨٨/١.

والغريب من الألفاظ، فكانت الرواية في بدايتها شفوية تعتمد على الذاكرة، فظلت البادية والأعراب ينبوعا ثراً نهل اللغويون منهما طيلة القرون الثلاثة الأولى لمعرفة دقائق اللغة ومفرداتها ولهجاتها فرحل اللغويون الأوائل لمشافهة الأعراب، والوقوف على الألفاظ العربية الصحيحة، من أفواههم.

لقد بقيت مفردات اللغة محفوظة، على الرغم من قيام الرواة بجمعها من البادية، فمن رواة القرن الثاني من اهتم بالشعر وروايته كالمفضل الضّبّيّ وخلف الأحمر من غير اهتمام كثير بالغريب والنادر. وظلت مدرسة السماع هي المنهج الذي سار عليه اللغويون(١) على الرغم من ظهور القياس في القرن الثاني الهجري على يد عبد الله بن أبي إسحق (ت ١١٧ هـ) الذي قال عنه ابن سلام «إنه أول من بعج النحو ومدَّ القياس والعلل، وكان شديد التجريد في القياس(٢)».

وزخر القرن الثالث الهجري بكثير من رواة اللغة، الذين ساعدوا في حفظها، أمثال: النضر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ) وأبي عبيده (ت ٢٠٨ هـ) حيث كان عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) الذي كان راوية الكوفة وجمع أشعار العرب ودونها. ثم الأصمعي (ت ٢١٧ هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣٢ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وثعلب (ت ٢٩١) وغيرهم، حيث كان اعتمادهم على الرواية الشفوية التي سادت في هذا القرن، وقد حصل العلماء على سماع الأعراب من ألفاظ شاذة وغريبة.

لقد كان هذا النشاط الرائع الذي قام به اللغويون، بتأليفهم في مختلف علوم اللغة، من خلال تجوالهم في البوادي من أجل استخلاص اللفظة الصحيحة، خدمة صادقة حافظت على متانة اللغة وصيانتها من الضياع كان ثمارها أن وصلت إلينا مجموعة كبيرة من الكتب اللغوية والنحوية والصرفية، عبرت عن أصالة الأمة العربية وما وصلت إليه تلك العبقرية من الإبداع في علوم العربية المختلفة.

بقي أن أقول إن هناك رسائل جامعية، درست هذه الحقبة الغزيرة بالعلم، فتناول الدكتور محمد حسين آل ياسين، جهود أهل اللغة خلال القرون الثلاثة

(١) الدراسات اللغوية عند العرب: ٢٥.

(٢) طبقات ابن سلام: ١١، وانظر نزهة الألباء: ١١.

الأولى في رسالته الموسومة بـ (الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث[1]) فكانت دراسة وافية ومفصلة، فلا حاجة لتكرار ما كتبه الدكتور آل ياسين، كما تناول الدكتور خليل إبراهيم العطية بدراسته القرن الثالث في رسالته الموسومة بـ (الدراسات اللغوية في القرن الثالث[2])، وكتب أيضاً جاسم السعدي دراسته الموسومة بـ (الدراسات النحوية واللغوية ومنهجها التعليمي في البصرة إلى نهاية القرن الثالث[3])، وتناول الدكتور أحمد نصيف الجنابي دراسة المدة ذاتها عن مصر برسالته الموسومة بـ (الدراسات اللغوية والنحوية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري[4]).

وهناك كتب كثيرة تناولت دراسة فترة القرون الأولى ففصلوا القول وأغنوا بها المادة العلمية، فلا حاجة لتكرار القول، وإنما قصرت دراستي على جهود العلماء في القرن الرابع الهجري في العراق.

لمحة تاريخية

تناوب على حكم بغداد من العباسيين في القرن الرابع الهجري، تسعة من الخلفاء، فقد بويع بالخلافة المقتدر بالله (سنة ٢٩٥ هـ) بعد وفاة أخيه المكتفي، فاستصغره الناس، ولم يل الخلافة قبل أصغر منه[5]. فكان عمره ثلاث عشرة سنة فخلعوه (سنة ٢٩٦ هـ) ونصبوا عبد الله بن المعتز الذي قتل بعد يومين من توليه الخلافة، فأعيد المقتدر، فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن والاضطرابات فكانت كفته هي الراجحة حيث كان يتغلب على منافسيه إلى أن قتل (سنة ٣٢٠ هـ).

وبويع بعد المقتدر القاهر بالله وكان قد بويع في أيام المقتدر بالله سنة ٣١٧ هـ [6] وأقام يومين وخلع وسجن ولما قتل المقتدر بالله سنة ٣٢٠هـ أخرج

---

(١) نشر في دار مكتبة الحياة في بيروت سنة ١٩٧٩.

(٢) رسالة دكتوراه، خليل إبراهيم العطية. مع تحقيق كتاب (التفقيه في اللغة)، طبعة التفقيه، والدراسة مازالت محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

(٣) طبعت في مطبعة النعمان – النجف سنة ١٩٧٣.

(٤) طبعت في مكتبة دار التراث – القاهرة سنة ١٩٧٧.

(٥) تاريخ الخلفاء: ٣٧٨.

(٦) المصدر نفسه: ٣٨٦.

من السجن وبويع بالخلافة، فأقام إلى سنة ٣٢٢هـ [١]. ولم تحسن سيرته فهاج عليه الخدم فخلعوه وكحلوا عينيه بالنار بمسمار، وهو أول من سملت عينيه من الخلفاء، وحبسوه ثم أطلقوا سراحه وتوفي ببغداد سنة (٣٣٩هـ [٢]).

وبويع الراضي بالله بالخلافة (سنة ٣٢٢ هـ) وكانت أيام سلفيه المقتدر والقاهر أيام ضعف امتنع فيها عمال البلاد من الطاعة واستقل كثير من الولاة بولاياتهم [٣].

ولما ولي الراضي (سنة ٣٢٢ هـ) حاول إصلاح الأمر لكنه لم يفلح وتفاقم أمر العمال في الأطراف فلم يبق للخليفة اسم في غير بغداد وأعمالها [٤]، وكانت عرى الدولة في أيامه مفككة وكان آخر خليفة يجيد الخطبة على المنبر يوم الجمعة وآخر خليفة جالس الجلساء وله ندماء كالصولي وابن حمدون النديم وغيرهم [٥]، وهو آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، مات في بغداد (سنة ٣٢٩ هـ) [٦].

وبويع بعد الراضي الخليفة المتقي لله (سنة ٣٢٩ هـ)، وفي خلافته كان المسيطرون على الملك في أيام سلفه مسيطرين عليه أيضاً إلا أنه استبدل أشخاصاً بأشخاص آخرين.

واتصف المتقي بالإصلاح والتقى، وهو ثاني خليفة تسمل عينيه، وأخرج خارج بغداد وسجن خمساً وعشرين سنة إلى أن مات في (سنة ٣٥٧هـ [٧]).

وبويع بالخلافة بعده المستكفي بالله (سنة ٣٣٣هـ [٨]) ولم تطل مدة

---

(١) مروج الذهب: ٤/٢٢١.
(٢) تاريخ بغداد: ١/٣٣٩، الكامل في التاريخ: ٨/٨٦.
(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ١/١٩.
(٤) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ١/١٩.
(٥) مروج الذهب: ٤/٢٣١.
(٦) تاريخ الخلفاء: ٣٩٣.
(٧) المصدر نفسه: ٣٩٦.
(٨) مروج الذهب: ٤/٢٦١.

خلافته، وكان ضعيفاً، وفي عهده دخل آل بويه إلى السلطة[١] واستولى معز الدولة بن بويه على الأمور، والمستكفي ثالث خليفة تسمل عينيه وسجن إلى أن مات في السجن (سنة ٣٣٨ هـ)، وكان خلعه (سنة ٣٣٤هـ[٢]).

وبويع المطيع لله بعد خلع المستكفي (سنة ٣٣٤ هـ) وترك ولاية الخلافة لابنه الطائع[٣] وذلك لمرضه حيث تعذرت عليه الحركة وثقل لسانه.

بويع بالخلافة بعد المطيع الطائع لله (سنة ٣٦٤هـ[٤])، وكانت الخلافة في عهده ضعيفة وكثرت الفتن والاضطرابات، ومنها الفتنة بين عضد الدولة البويهي والوزير بختيار، ولما مات عضد الدولة تولى ابنه بهاء الدولة شؤون البلاد وقبض على الطائع (سنة ٣٨١هـ[٥])، وحبسه في الدار وأشهر عليه بالخلع ونهبت دار الخلافة واستمر الطائع لله سجيناً إلى أن توفي (سنة ٣٩٣هـ[٦]).

وكان القادر بالله آخر خليفة عباسي ضمن مدة دراستنا (القرن الرابع الهجري) وبويع بعد الطائع سنة ٣٨١هـ وطالت أيامه حيث امتاز بالحزم والطاعة، وكان اكثر المسيطرين على شؤون البلاد من الترك والديلم يهابونه فأحبه الناس، وهو آخر خليفة عباسي تولى الأحكام بنفسه وكان يعقد في كل يوم اثنين وخميس مجلساً عاماً للناس[٧]، وهو من علماء الخلفاء حيث ذكر له المؤرخون آثاراً منها: كتاب الأصول[٨]، حيث ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أصحاب الحديث، وتوفي (سنة ٤٢٢ هـ).

---

(١) المنتظم حوادث سنة ٣٣٤هـ.

(٢) تاريخ بغداد: ١٠/١٠.

(٣) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ٤٠/١.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٤٠٥.

(٥) المصدر نفسه: ٤١٠.

(٦) ابن الأثير: ٢١٠/٨.

(٧) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ٤١/١.

(٨) تاريخ بغداد ٣٧/٤، تاريخ الخلفاء: ٤١٢.

الفصل الأول: مصادر الدراسات اللغوية

المبحث الأول: مصادر الدرس اللغوي.

المبحث الثاني: الأمالي والمجالس.

المبحث الثالث: النوادر.

عني اللغويون عناية فائقة بمصادر دراستهم، فقد بنوا مواقفهم على أسس معينة في دراسة اللغة، فاعتمدوا على الاستقراء والسماع والقياس في دراسة الشواهد، وقد تباين موقف اللغويين تبعاً لدراسة هذه الأسس، فاختلف البصريون مع الكوفيين في كيفية استقصاء الشاهد وأهميته، ومدى اعتمادهم على هذا المصدر أو ذاك وسأحاول في هذا المبحث أن أبين مصادر دراستهم ومدى إفادتهم منها، وهي:

١- القرآن الكريم.

٢- الحديث النبوي الشريف.

٣- الشعر.

٤- الأمثال وكلام الفصحاء.

٥- الرواية والسماع.

٦- المجالس والمناظرات.

المبحث الأول
مصادر الدرس اللغوي

القرآن الكريم

وهو دستور المسلمين في حياتهم، وقد أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله منجماً متتابعاً، أفحم الفصحاء، وأخضع أعناق البلغاء وهو آية رسول الله ﷺ الكبرى التي قامت حجة بينة على صدقه في دعواه الرسالة[1]، وهو المنبع الأصيل، والمنهل الصافي، وكتاب العرب الخالد، والإنسانية المعجز، وعربي في لغته وطريقة خطابه[2]، وبهذا فإنه يعد على رأس المصادر لدى اللغويين حيث يمثل أفصح لغة، وأبلغ تعبير، وأنه يمثل ذروة في البلاغة، قال البغدادي في (خزانة الأدب): «كلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه[3]».

وبذلك يكون القرآن الكريم الأساس الذي قامت عليه الدراسات اللغوية والنحوية عند البصريين والكوفيين، فأجمعوا على الاستشهاد به، إذ هو كتاب الله المنزل على نبيه الكريم وبلسان قومه في أسلوب عربي متين وذروة في البلاغة من كلامهم.

وأجمع اللغويون على الاستشهاد به حفاظاً على متانة الألفاظ العربية، وصيانة الأسلوب من كل زيغ، خصوصاً بعد أن دخل الأعاجم إلى الإسلام وتفشي (ظاهرة اللحن)، حيث وقف اللغويون ضدها، ولم يتوانوا عن الملحن أياً كان، لأن التساهل فيها، قد يحرف الآيات القرآنية ومن ثم تحريف الألفاظ الأخرى، ولهذا كانت قراءة القرآن ملزمة لمن يدخل الإسلام، وبعد أن تطورت الحياة العلمية، وزاد عدد المتعلمين ظهرت القراءات القرآنية، حيث وصل إلينا القرآن الكريم بهذه القراءات.

أما الاحتجاج بهذا، فلقد اختلف البصريون والكوفيون حولها، فقد وقف البصريون منها موقف الشك في الاحتجاج بها، إلا إذا كان شعر يؤيدها أو كلام

---

(١) مع القرآن: ٦٩.

(٢) دراسة أدبية لنصوص من القرآن ١٠٦.

(٣) خزانة الأدب: ٤/١.

عربي يسندها، أو قياس يدعمها[١]، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم، فإذا وقعت قواعدهم وأقيستهم احتجوا بها، ورفضوا ما لم يوافقها.

أما الكوفيون، فقد عدوها من مصادر دراستهم، وأقروا كل ما وصل إليهم منها، سواء كانت القراءات السبع، أو غيرها من القراءات الشاذة، منطلقين بذلك من أسس المنهجية في دراسة اللغة، إذ رجحوا السماع والرواية حين يصطدمان بالقاعدة المقيسة[٢]، لقد شارك لغويو القرن الرابع الهجري غيرهم من القرون الماضية بالاستشهاد بالقرآن الكريم وعدوه الرافد الذي استقوا منه مواد مؤلفاتهم، مثل الأمالي والنوادر[٣] حيث اختلطت فيها موضوعات اللغة، فكان القرآن الكريم مصدراً رئيساً لهم، وضمت مؤلفاتهم المتعددة نصوصاً كثيرة منه مثل: كتب المذكر والمؤنث، حيث استشهد ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه (المذكر والمؤنث) بسبعة ومائتي شاهد[٤] كما فعل غيره من المؤلفين الآخرين. حيث استشهد ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) في كتابه (تصحيح الفصيح) بخمسة وأربعين ومائتي شاهد[٥]، واستشهد ابن دريد(ت ٣٢١ هـ) في كتابه (الاشتقاق) بتسعة وخمسين ومائة شاهد[٦]، إضافة إلى استشهاد مؤلفي الرسائل الصغيرة في موضوعات اللغة[٧]، هذا فضلاً عن التأليف في علوم القرآن من غريب ألفاظه، ومعانيه وشكله، والقراءات، والوقف، والابتداء[٨]. أما أصحاب المعاني، فقد رفدوا معاجمهم بأفصح كلام العرب وأقدسه، فقد بلغت عند ابن فارس في (مجمل

---

(١) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٩٧.

(٢) الدراسة اللغوية عند العرب: ٣٥٠.

(٣) انظر المبحثين الأول والثاني من الفصل الأول في رسالتنا عن كتب الأمالي والنوادر.

(٤) المذكر والمؤنث: ٤٢.

(٥) تصحيح الفصيح: ٨٢/١.

(٦) فهرست كتاب الاشتقاق: ٥٧٠-٥٧٥.

(٧) انظر الممدود والمقصور لأبي الطيب الوشاء: ١٥، والمقصور والممدود لنفطويه ص ٤٩، المذكر والمؤنث لابن فارس ص٤٢.

(٨) انظر الفصل الثالث في رسالتنا (علوم القرآن).

اللغة) مائة وستة وثمانين شاهداً[١]. وخلاصة القول فإن القرآن الكريم هو الدعامة الأساس التي ترتكز عليها أصول الاستشهاد الأخرى، مثل الشعر والحديث النبوي الشريف، فلولا القرآن الكريم ما جمع الشعر وما اهتم به الرواة. وما روي الحديث النبوي الشريف.

الحديث النبوي الشريف

يعد الحديث النبوي الشريف مصدراً من مصادر الدرس اللغوي، وهو المصدر التالي لكلام الله عز وجل في مجال الحياة الإسلامية والتشريع الإسلامي، حيث يمثل أفصح كلام وأسمى لغة بعد القرآن الكريم متميزاً بغزير المادة، وواسع الثراء اللفظي.

ويقصد بالحديث الكلام الصادر من رسول الله ﷺ، سواء أكان بلغة قبيلته التي ينتسب إليها أم بلغات القبائل التي تكلم مع وفودها أو من خاطبه من أفرادها[٢].

ويأتي بالدرجة الثانية بعد كلام الله العزيز في الفصاحة والبلاغة حيث شارك القرآن الكريم في بناء الحضارة الإسلامية وتكوين الفكر الإسلامي، حيث عمل على نشر رايات العلم في كل بقعة، مما حمله إلى الناس من تراث النبوة الخالد الداعي إلى حب العلم والرحلة إلى طلبه[٣].

لقد استشهد لغويو القرن الرابع الهجري، بالحديث النبوي الشريف، لتوثيق نصوصهم حيث عُدَّ من الدعائم الأولى التي قام عليها بناء المعجم العربي، ولم يتخلف أحد من الاستشهاد به ابتداء من الخليل في كتابه (العين) وانتهاء بالجوهري في كتابه (الصحاح).

وقد استشهدوا به حين لم يكن الفساد اللغوي قد عم وطم على الألسنة، فقد استشهد به رجال الطبقة الأولى والثانية من البصريين والكوفيين[٤] ومع تطور

(١) مجمل اللغة: ١/٤٦.

(٢) موقف النحاة في الاحتجاج بالحديث الشريف: ١٣.

(٣) انظر الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية: ٩٤، ٢٣٩.

(٤) الشواهد والاستشهاد في النحو: ٣٠٠.

الدرس اللغوي، حتى أخذ الاستشهاد بالحديث النبوي يأخذ موقفاً جديداً، فقد رفض البصريون الاستشهاد به حين كثرت رواية الحديث بالمعنى دون اللفظ[١]. وعلى الرغم من موقف اللغويين والنحاة في الاحتجاج به إلا أن لغويي القرن الرابع الهجري استشهدوا بلغة الحديث، حيث ذكرها ابن درستويه بأنّها (أفصح اللغات[٢]). فزخرت كتبهم بأحاديث نبوية كثيرة. وقد أشرت بذلك في متن الرسالة في أثناء الحديث عن التأليف في موضوعات اللغة المختلفة.

الشعر

يعد الشعر من أهم الينابيع للشواهد اللغوية والنحوية، وقد وقف عليه اللغويون من كلا المصرين، ولا خلاف في الاستشهاد به، حيث مثلت الشواهد الشعرية غالبية كتبهم ومؤلفاتهم في مختلف التأليف اللغوي والنحوي والصرفي، وقد يرجع السبب إلى ذلك هو أن الشعر العربي كان ديوان العرب، كما قال ابن عباس (ت ٦٨ هـ) «إذا أشكل عليكم شيء من القرآن، فارجعوا فيه إلى الشعر، فإنه ديوان العرب[٣]»، كما أنه سجل العرب ومؤرخ وقائعهم ومرجع أنسابهم، قال أبو هلال العسكري: «ولا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها، إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب[٤]».

وكان الشعر يحتل مكانة متميزة في نفوس العرب، ولهذا كانت القبيلة تحتفل إذا ما نبغ فيها شاعر[٥]، ونتج عن ذلك أن كثر حفاظه ورواته، وتداولوه في المناسبات، فما تعليق المعلقات على أستار الكعبة، إلا دليل على عنايتهم بالشعر، فضلاً عن اهتمام رواة الشعر بشرح غريبه وعويصه، وكثيراً ما كان الرواة والشعراء يسألون بعضهم عن معانيه[٦].

---

(١) خزانة الأدب: ١/٥.

(٢) تصحيح الفصيح: ١/٧٣.

(٣) الفاضل للمبرد: ١٠، غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٢٤٦.

(٤) الصناعتين: ١٠٤.

(٥) العمدة: ١/٦٥، وانظر سلاح الشعر: ٤٩.

(٦) ابن الأعرابي، دراسة وتحقيق كتاب النوادر: ص١٩، رسالة ماجستير تقدم بها كامل سعيد علوان، ونوقشت سنة ١٩٧٦ ولم تطبع بعد، وهي محفوظة في المكتبة المركزية =

ولما أطل الإسلام فإن منزلة الشعر استمرت، وأخذ المسلمون يتناشدونه في المساجد[١]، كما راحوا يفسرون القرآن الكريم بالاستشهاد بالشعر حيث شمل القرآن كلمات غريبة يحتاج المفسر عند بيان معناها إلى الاستشهاد بشيء من كلام العرب، ليعلم أن التفسير لم يخرج عن حدود اللسان العربي، فيطمئن إلى صحة التفسير[٢]، ولم يقف الإسلام موقف الضد من الشعر، فقد نصر الشعراء رسول الله ﷺ بالسيف كما نصروه باللسان[٣]، وقد حاول الشعراء الحفاظ على جمالية النص حيث حافظ الشاعر على ألفاظه وتراكيبه ومعانيه[٤].

لقد عرف اللغويون رواية الشعر منذ زمن بعيد، وقرروا أن حمايته حظيت باهتمام كبير فكانت الكوفة أكثر ازدهاراً من البصرة في روايته[٥]، مما عد مصدراً مهماً اعتمد عليه رواة اللغة والنحو في روايته، لما له من صلة مباشرة في رواية للغة[٦]، وقد قال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «الشعر حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله جل ثناؤه- وغريب حديث رسول الله ﷺ، وحديث صحابته والتابعين[٧]».

وتشير المصادر أن ابن عباس كان أول من فسر القرآن الكريم واحتج بالشعر في توضيح مفردات القرآن[٨].

لقد وفر الشعر للعلماء مادة غزيرة يستشهدون بها في أثناء حديثهم عن ظاهرة معينة على الرغم من ضياع قسم كبير منها، إلا أن المهيّأ لديهم استفادوا

=

بجامعة بغداد.

(١) الشواهد والاستشهاد في النحو: ٣٢.

(٢) نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ٢٠٤.

(٣) الإسلام والشعر (ط يحيى الجبوري): ٤٤.

(٤) الإسلام والشعر (ط سامي العاني): ٢٠٤.

(٥) حياة الشعر في الكوفة: ١٩.

(٦) ابن الأعرابي دراسة وتحقيق كتاب النوادر: ٢٢.

(٧) الصاحبي في فقه اللغة ٢٣٠.

(٨) انظر البيان والتبيين: ١/٨٤، وانظر أيضاً سؤالات نافع بن الأزرق مقدمة محقق الكتاب ص٥.

منه كثيراً، وأقبلوا على دراسته، ووضعوا لهم أسساً منهجية في الاحتجاج به. وقد قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات هي[١]:

الطبقة الأولى: الجاهليون: أمثال أمرئ القيس، وزهير والنابغة والأعشى.

الطبقة الثانية: المخضرمون: أمثال حسان بن ثابت، وكعب بن زهير والحطيئة.

الطبقة الثالثة: الإسلاميون: أمثال الفرزدق وجرير والأخطل وذي الرمة.

لذا أجمع اللغويون على الاستشهاد بشعر الطبقتين الأولتين، أما الطبقة الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامها[٢] ، وقد وقف لغويو القرن الرابع الهجري مثل غيرهم من اللغويِّين الآخرين- بالاحتجاج بشعر الطبقة الثالثة، فكثرت كتبهم بأشعار لا يتعداها إلا ما شذَّ عدد قليل منهم في الاستشهاد بشعراء غير الطبقات الثلاث، أمثال: ابن هرمة، وابن ميادة، وأبي نؤاس، وقد تجاوز ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) هذه القاعدة واستشهد بشعراء العصر العباسي أمثال أبي تمام، وأبي العتاهية والمتنبي، ومثله فعل أبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) في كتابه (أفعل) فاستشهد بكلام حماد عجرد في هجاء بشار بن برد، وكذلك استشهد ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) بكلام أبي نؤاس وبشار بن برد في كتبه (المذكر والمؤنث) و (الأضداد) و (الزاهر[٣]).

لقد أجهد اللغويون — القرن الرابع الهجري - أنفسهم في الاستشهاد بالشعر منسوباً إلى قائله، حيث اعتنوا بنسبة الشعر إلى قائله وفي هذا الصدد يقول البغدادي: «لايجوز الاحتجاج بشعر أو نثر لا يعرف قائله، مخافة أن يكون ذلك الكلام مصنوعاً أو لمولد أو لمن لا يوثق بكلامه[٤]».

وعلى الرغم من هذه العناية الفائقة، بنسب الشعر إلى قائله، فإن هناك أبياتاً كثيرة تركت دون نسبة، فشواهد ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) في كتابه (المذكر والمؤنث) بلغت واحداً وعشرين وألفاً[٥]، ترك منها حوالي مائتين وخمسين شاهداً من غير نسبة، وشواهد أبي علي الفارسي في كتابه (الحجة في علل القراءات

---

(١) خزانة الأدب: ١/٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/٦.
(٣) المصدر نفسه: ١/٨.
(٤) أشرت إلى ذلك في أثناء دراستي لكتبه.
(٥) المذكر والمؤنث: ٤٢.

السبع) بلغت مائتين وثلاثة وخمسين شاهداً، ترك منها مائة واثنين وعشرين شاهداً[١]، وتحدثت في ثنايا فصول الرسالة عن الشعر المنسوب وأشرت إليه، وكذلك الشعر غير المنسوب.

لقد كان للشاهد الشعري أهميته، حيث كانت قيمة العالم تتجلى في معرفته بالشواهد، وكانوا يجعلون اعتمادهم عليها في كتبهم، فهذا الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) يتحدث عن قيمة الاستشهاد دون ذكر القائل بقوله: «جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، والتي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها[٢]»، وقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ): «وقد فسرنا ما لاح من ذلك واتجه، ودللنا على الأصح من ذلك بشواهد من غير حالة[٣]»، وكلما كانت الشواهد وفيرة وصحيحة وروايتها صادقة كانت لدى العلماء مقبولة ورسوخ القاعدة ثبوتها[٤]، فهذا ابن الأنباري (ت ٣٢٨) يقول: «فأما معنى الشك فأكثر من أن تحصى شواهده[٥]».

وخلاصة القول فإن العلماء جعلوا الشعر مصدرهم الأول في الاستشهاد، فحفلت كتبهم بكثير منه.

الأمثال وكلام الفصحاء

تعد الأمثال وكلام الفحصاء من مصادر الدرس اللغوي فقد حفلت كتب اللغويين بطائفة منها إلا أن الاستشهاد بها لا يرقى إلى درجة الاستشهاد بالمصادر الأخرى كالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر وسبب ذلك أن الرواة الذين عرضوا للأمثال لم يستطيعوا أن يفيدوا منها في هذا السياق كثيرا لخصوصية المثل، و إبهامه أحياناً[٦]، وعلى الرغم من ذلك فإن مؤلفات القرن الرابع اللغوية

---

(١) الشواهد والاستشهاد في النحو: ١٢٢.

(٢) تهذيب اللغة: ١/٦.

(٣) مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله سبحانه: ٦.

(٤) الشواهد والاستشهاد في النحو: ٢٥.

(٥) الأضداد: ١٤.

(٦) رواية اللغة: ١٤٣.

حفلت بذكر الأمثال إلا أنها كانت قليلة قياساً إلى ما جاء من مصادرهم الأخرى، مثلاً في كتاب (الاشتقاق) لابن دريد، فإنه لم يستشهد بغير خمسة وثمانين مثلاً[١]، ومثله فعل ابن الأنباري في كتابه (المذكر والمؤنث) حيث استشهد بخمسين مثلاً[٢]، ومثلهما فعل ابن درستويه في كتابه (تصحيح الفصيح)، حيث استشهد بخمسة عشر مثلاً[٣]، واستشهد أبو علي القالي في كتابه (المقصور والممدود) بمائة وأربعة وسبعين مثلاً[٤]، أما أصحاب المعاجم فقد استشهدوا مثل غيرهم من اللغويين بالأمثال لكنهم لم يكثروا من الاستشهاد بها وسبب ذلك أن القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والشعر، أغنت مادة الاستشهاد بموادهم، هذا فضلاً عن أنهم كانوا حريصين على التقليل من شواهد الأمثال.

أما أقوال الفصحاء والبلغاء، فقد استشهدوا بها أيضاً وربما حفلت كتبهم بكثير منها وخاصة الخطباء قبل الإسلام أمثال: قس بن ساعدة، وأكثم بن صيفي، وأقوال الخلفاء أمثال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبعض كلام الخطباء مشافهي الفصحاء ومفاوهي الصرحاء أمثال عمرو بن العاص والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهما.

الرواية والسماع

الرواية في هذا القرن هي امتداد لما كان عليه اللغويون في القرون الماضية حيث اعتمدوا في رواية اللغة على القبائل العربية المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية وتسنى لهم أن يجمعوا المادة اللغوية دون منهج معين في ترتيب المفردات.

وبعد أن استظهروها، اتجهوا إلى تبويبها وتقسيمها، فمنهم من صنفها حسب الموضوعات، ومنهم من اتجه إلى تسجيل بعض الظواهر الخاصة التي لاحظها في بعض القبائل[٥].

لقد سادت الرواية على الأخذ من الأعراب، وبقيت البادية والأعراب هما الرافدان الأساسيان، وظلت الرواية الشفوية، والسماع من الأعراب في طليعة

---

(١) انظر فهرست الاشتقاق.
(٢) المذكر والمؤنث: ٤٣.
(٣) تصحيح الفصيح: ١/٧٥.
(٤) المقصور والممدود: ١٢٧.
(٥) انظر البحث اللغوي عند العرب: ٦٢.

الدرس اللغوي وبخاصة في القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني حيث بدأ التدوين اللغوي يعطي شاره فظهرت مؤلفات كثيرة في مختلف علوم العربية. وظلت الرواية قائمة على المشافهة، حيث حدد اللغويون صفات الراوي فهذا قول ابن فارس في ذلك: «فليتحر آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والصدق والعدالة[١]».

وهذه الأسس والمبادئ التي وضعوها لأنفسهم جعلتهم يميلون إلى رواية الكتب الفصيحة وكثرت بذلك كتبهم بالرواية عن الشيوخ والعلماء، فهذا كتاب الأمالي لأبي علي القالي، حيث مثلت الرواية – ثلاثة أرباع كتابه، فأخباره كلها مسندة إلى شيوخه وإلى علماء اللغة، مثل قوله: «وحدثنا أبو بكر، قال: أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي[٢]....».

ومثله فعل ابن دريد والزجاجي وأبو علي وابن جني وغيرهم من لغويي هذا القرن وامتدت الرواية لتشمل أيضاً أصحاب المعاجم، فالأزهري مثلاً، عد الرواية من مصادره الرئيسة ويطالعنا في مقدمة كتابه في طبقات اللغويين، حيث قسمهم إلى أربع طبقات معروفة بالصدق والرواية والمعرفة الثاقبة وحفظ الشعر وأيام العرب[٣]، وقال عنه ياقوت الحموي: «أن الأزهري أملى الكتاب بالرواية عن المنذري[٤]»، ومال أكثر اللغويين على شيوخهم من أهل الرواية، بعد أن تتوفر الأمانة والثقة والصدق في نقل اللغة، فالزجاج نقل عن المبرد، وعن سيبويه والخليل، وابن دريد روى عن أبي حاتم والأصمعي وابن الأنباري روى عن ثعلب عن سلمة عن الفراء وأبو عمر الزاهد روى عن ثعلب عن ابن الأعرابي، والقالي روى عن ابن دريد، وأبو علي روى عن الزجاج، وابن جني روى عن أبي علي وهكذا، فالرواية متصلة بينهم طيلة هذا القرن، فنادراً ما يطالعنا خبر في كتبهم إلا وفيه سلسلة روايته عن علماء اللغة.

---

(١) الصاحبي: ٦٣.

(٢) الأمالي: ٢١٤/١.

(٣) مقدمة تهذيب اللغة: ١/٨– ٤٣، وانظر الأزهري في كتابه تهذيب اللغة: ١٣٠.

(٤) معجم الأدباء: ٩٩/١٨.

وكان نتيجة دراسة اللغة، وروايتها، وجمعها، أن اتضحت بعض الخصائص في التأليف في الموضوعات العربية فكانت كتب المذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والخيل والأمثال، فضلاً عن بروز بعض الظواهر، كالترادف، والتضاد، والإشراك اللفظي، والإبدال[١].

أما السماع فهو مصدر أساس من مصادر الدرس اللغوي، وقد حرص اللغويون على تقييد ما سمعوه من الأعراب عن طريف المشافهة أو عن طريق المشاهدة أو عن طريق الشيوخ والعلماء، فالأزهري مثلاً أكد على السماع حيث ذكر ذلك بقوله: «وقد حرصت أن لا أودعه من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً من أعرابي فصيح أو محفوظاً لإمام ثقة حسن الضبط، مأمون ما أدى[٢]».

وقد حدد اللغويون طرقاً للسماع، منها طريق المشافهة والسماع من أفواه الأعراب، حيث ذهب أكثرهم إلى البادية، يسألون البداة عن معاني الألفاظ لذلك نجد في كتبهم عبارات، أمثال: «وسمعت العرب تقول...» «وسمعتهم يقولون....» وهكذا.

وتكاد لا تخلو كتب اللغويين من هذه العبارات فهذا كتاب (الجمهرة) مثلاً، حيث ذكر ابن دريد ما سمعه من شيوخه بقوله: «وسمعت أبا حاتم يقول: سمعت الأصمعي يقول[٣]......».

وهذا ابن الأنباري ذكر ما سمعه في كتابه (الأضداد) فقال: «وسمعت رجلاً من بني تميم[٤]...»، وكتاب (تهذيب اللغة) للأزهري فإنه حافل بما سمعه من الأعراب وقد حدد الأعراب الذين أخذ عنهم لغتهم حيث ذكر أن اللغة لا يتوثق في صحتها إلا بالسماع المباشر والأخذ من أفواه أهلها الناطقين بها، ومثله فعل ابن فارس في معجميه (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة) حيث ذكر في الأول طريقة سماعه بقوله: «وذكر ما صح من ذلك سماعاً أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه[٥]»، وقال أيضاً: «قال أبو زيد: لم أسمعه سماعاً[٦]».

---

(١) رواية اللغة: ٣٥. (٢) تهذيب اللغة: ١٥/٦٩٢.
(٣) الجمهرة: ٢/١٥. (٤) الأضداد ٢٢٠.
(٥) مجمل اللغة ١/٣٨٤، ٢/٥٣٢. (٦) المصدر نفسه: ١/٢١٢.

وذكر في الثاني الكتب التي سمعها[١]، وتعد المشاهدة من المصادر الأخرى للسماع حيث نقل اللغويون عادات وطبائع وتقاليد البدو، التي يعبرون عنها بأساليبهم الصحيحة، وألفاظهم الفصيحة فضلاً عن جمع ما وقعت عليه أعينهم من تفسيرات كثيرة عن المواضع والأعلام والنبات والحيوان وغيرها مما شاهدوه أثناء تجوالهم في بلاد العرب، وهكذا ظل السماع حجة قوية في حسم الخلاف أمام الجدل اللغوي.

المجالس والمناظرات

ظهرت حلقات التعليم منذ ظهور الإسلام، وتعددت واستمرت تغذي الفكر العربي، حيث عدت من مصادر الدرس اللغوي، لما يتضمنه المجلس من محاورات نافعة بين الحاضرين في مسائل العربية وغيرها حيث حفلت بها مدن العراق، البصرة، الكوفة، وازدهرت فيما بعد بغداد، حيث عقدت فيها مجالس كثيرة، ضمت الفقهاء والعلماء. وكانت المساجد أماكن أثيرة بعقد أمثال هذه المجالس وقد عد اليعقوبي مساجد بغداد ما يقارب الثلاثين ألف مسجد[٢]، وشاركت المساجد في تلقي العلم منازل العلماء، ومثلت مكاناً آخر للدرس والمذاكرة.

ونتجت عن هذه الكثرة أن كثر معها العلماء، وأخذوا أماكنهم في المسجد وبدأت حلقات العلم تظهر، واشتد التنافس العلمي بين العلماء حتى سرى هذا التنافس في طلابهم، فظهرت مجالس كثيرة، كان أصحابها أعلاماً في العربية وأصبح العراق قبلة لطالبي العلم ومحطة للتزود بالمعرفة فكانت حلقات أبي عمرو بن العلاء، والخليل، ويونس، والأصمعي، وأبي حاتم، والمبرد، والكسائي والفراء، وابن الأعرابي، وثعلب.

واستمرت الحلقات العلمية ترفد الدرس اللغوي، حتى تطورت ونضجت في القرن الرابع الهجري، لما عقدت فيه مجالس وحلقات عديدة، نتج عنها كثرة التأليف في علوم العربية المختلفة، فظهرت حلقات كثيرة أمثال حلقة الزجاج، وحلقة ابن دريد، وحلقة نفطويه، وحلقة ابن الأنباري، وحلقة السيرافي، وحلقة أبي عمر الزاهد، وحلقة أبي علي، وحلقة ابن جني وغيرها.

---

(١) انظر مقاييس اللغة: ١/٢.
(٢) البلدان: ٢٠٥.

لقد ضمت المجالس طلابا كثيرين، فضلاً عن الموضوعات التي تدرس فيها من تدريس مذاهب البصريين والكوفيين في المسائل النحوية واللغوية كما كانت لقصور الخلفاء أهمية أخرى في نشأة هذه المجالس حيث كانت تعقد فيها مناظرات علمية كما حدث بين ابن خالويه وأبي علي في مجلس سيف الدولة، وغيرها.

أما المناظرات العلمية فهي الأخرى ازدانت في هذه الفترة لما تضمنته من مناقشات في علوم العربية كما حدثت مناظرة بين ثعلب والزجاج، والزجاج وابن الخياط، والرماني وعلي بن عيسى الناشئ وغيرها من المناظرات الأخرى.

وتمثل الخصومة بين العلماء مظهراً آخر من مظاهر الدرس اللغوي واشتد على أثرها التنافس العلمي، حتى توج على أثرها بظهور النقد اللغوي في هذا القرن.

المبحث الثاني
المجالس والأمالي

المجلس: قال في اللسان: «موضع الجلوس، وهو من الظروف غير المتعدى إليها الفعل بغير في» قال سيبويه: لا تقول هو مجلس زيد وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾[(١)]، قيل يعني به مجلس النبي (ﷺ)، وقرئ في المجلس وقيل: يعني بالمجالس مجالس الحرب، قال تعالى: ﴿ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ ﴾[(٢)]»، والمجلس (جماعة الجلوس[(٣)])، والمجلس: (الناس[(٤)]).

أما الأمالي: «(جمع إملاء[(٥)])، وقيل (جمع أملية[(٦)])، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلامذة فيصير كتاباً ويسمونه الإملاء، وكذلك كان السلف من الفقهاء والمحدثين وأهل العربية وغيرها[(٧)]».

وقد ذكر السيوطي أن الإملاء هي أعلى وظائف الحفاظ بقوله: «كما أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء، وقد أملى حفاظ اللغة من المتقدمين الكثير، فأملى ثعلب مجالس عديدة في مجلد ضخم، وأملى ابن دريد مجالس كثيرة رأيت منها مجلداً، وأملى أبو محمد القاسم بن الأنباري وولده أبو بكر ما لا يحصى، وأملى أبو علي القالي خمسة مجلدات، وغيرهم[(٨)]»، ثم يتحدث عن طريقتهم في الإملاء بقوله: «وطريقتهم في الإملاء كطريقة المحدثين سواء، يكتب المستملي أول القائمة، (مجلس إملاء شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا)، ويذكر التاريخ، ثم يورد المملي بإسناده كلاماً عن العرب والفصحاء، فيه غريب يحتاج إلى التفسير ثم يفسره، ويورد من أشعار العرب وغيرهم بأسانيده، ومن الفوائد

---

(١) المجادلة آية ١١.
(٢) آل عمران آية ١٢١.
(٣) اللسان ٦/٣٠ (مادة جلس).
(٤) تاج العروس ٤/١٢٣ (مادة جلس).
(٥) كشف الظنون: ١/١٦١. وانظر مقدمة أمالي الزجاجي.
(٦) مقدمة أمالي اليزيدي.
(٧) كشف الظنون ١/١٦١.
(٨) المزهر: ٧/٣١٣.

اللغوية بإسناد وغير إسناد ما يختاره، وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً، وآخر من علمته أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجي له أمال كثيرة في مجلد ضخم، وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ولم أقف على أمال لأحد بعده[١]».

يتبين من نصي السيوطي وحاجي خليفة أن الأمالي كانت طريقة المحدثين الفقهاء، ثم جاء اللغويون بعدهم، وأول ما ظهرت التسمية عند رجال الفقه والحديث، ثم أطلق اللغويون فيما بعد هذه التسمية على كتبهم، وارجح أن يكون كتاب (الأمالي في الفقه[٢]) لأبي يوسف[٣] (ت ١٨٢ هـ) أول كتاب أطلق عليه مؤلفه هذه التسمية، وهذا يدل على أن تسمية الكتب (بالأمالي) عرفتً في القرن الثاني الهجري على يد رجال الفقه ثم شاعت في القرن الثالث الهجري على يد ثعلب[٤] (ت ٢٩١ هـ)، ثم أصبحت فناً مستقلاً في القرن الرابع الهجري، ونضجت على يد اللغويين والشعراء والكتاب أمثال: ابن دريد، والزجاجي، والقالي وغيرهم.

وتداخل مفهوم المجالس والأمالي بينهم، حتى ذهب أكثر الباحثين إلى أن لا فرق بين الاثنين وذهب بعضهم على أن هناك نقاطاً فارقة بينهما في أصل استعمالهما[٥]، والذي أراه أن ثمة فرقا بسيطاً بينهما، حيث إن المجالس كانت تحدث فيها مناقشة وأسئلة وأجوبة من قبل الأستاذ والطلبة، فكان الأستاذ يوجه

---

(١) المصدر نفسه: ٣١٤/٢.

(٢) الفهرست: ٢٠٣(ط بيروت)، كشف الظنون: ١٦٤/١، وقال عنه «أمالي الإمام وهي في الفقه يقال أكثر من ثلاثمائة مجلد».

(٣) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، تلميذ أبي حنيفة ولد بالكوفة سنة (١١٣هـ) ولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، توفي في بغداد سنة (١٨٢هـ).

الفهرست: ٢٠٣، تاريخ بغداد: ٢٤٢/١٤، وفيات الأعيان \: ٣٠٣/٢، مفتاح السعادة: ١٠٠/٢- ١٠٧.

(٤) المزهر: ٣١٣/٢، كشف الظنون: ١٦٤/١.

(٥) مقدمة مجالس ثعلب: ١٦/١.

سؤالاً للحاضرين، فيجيبون عنه، والطلبة يسألون أستاذهم، فيجيب مستعيناً أما بكتاب من عنده، أو ما حفظه، وعندما يسأل عن مسألة معينة ولم يعرفها فإنه لا يتحرج من ذلك، وإنما يعد السائل بالجواب في الغد، كما حدث في مجلس علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) عندما سأله علي بن عبد الله الناشئ (ت ٣٦٦ هـ) في مسألة وانقطع الرماني وقال: «أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة[1]».

والمجلس -أيضاً- يضم أطرافاً متباينة في الثقافة والدراية، فإلى جانب الشيخ كان هناك علماء يسألون ويسألونه ففيه الشيخ والطالب تدور بينهم الأسئلة والمناقشة فكان في مجلس ثعلب مثلاً، الحامض، وابن كيسان، والزجاج، والزاهد، فهؤلاء كلهم شيوخ ومجلس الزجاج كان فيه الزجاجي وابن السراج والفارسي وغيرهم، وألف الزجاجي كتاباً خاصاً لمجالس العلماء، سأتحدث عنه فيما بعد وذكر ياقوت جانباً من هذه المجالس، منها مجلس ابن دريد ونصه: «قال الرصافي: حدثنا بعض أصحابنا، قال: حضرت مجلس أبي بكر بن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر:

هجرتك لا قلى مني ولكــــن رأيت بقاء ودك في الصدود
كهجر الحائمات الورد لمـــا رأت أن المنيـــة في الورود
تفيض نفوسها ظمئا وتخشى حـــماماً فهي تنظر من بعيد

فقال: الحائم: الذي يدور حول الماء، ولا يصل إليه، يقال: حام، يحوم، حياماً ومعنى الأيائل تأكل الأفاعي في الصيف، فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء، فإذا وقعت عليه استغنت عن شربه، وحامت حوله تنسمه، لأنها إن شربته في تلك الحال صادف الماء السم الذي في جوفها فتلفت فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه ولا يضرها، ويقال: فاظ الميت، وفاضت نفسه، وفاظت نفسه، جائز عند الجميع إلا الأصمعي فإنه يقول: فاظ الميت، فإذا ذكر النفس قال: فاضت نفسه بالضاد ولم يجمع بين الظاء

(١) معجم الأدباء: ١٤/٤٨.

والنفس[(١)]».

وذكر الزجاجي مجلس أستاذه الزجاج بقوله: «حضرت أبا إسحق الزجاج يوم الجمعة في مجلسه بالجامع الغربي بمدينة السلام بعد الصلاة وقد دس إليه أبو موسى الحامض رجلاً بمسائل[(٢)]».

وكان لكل عالم طريقته في مجلسه، فابن السراج (ت ٣١٦ هـ) تصدر للتدريس بعد أستاذيه المبرد والزجاج وكان يدرس كتاب سيبويه[(٣)]، وعقد نفطويه (ت ٣٢٣ هـ) مجلسه في مسجد الأنباريين بالغدوات، وطريقته في مجلسه أول ما يبدأ به قراءة القرآن على قراءة عاصم، ثم الكتب بعدها[(٤)]. وعقد ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) مجلسه في داره[(٥)]، وجعل أبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) أجوبته عن أسئلة الحاضرين، فكانوا يسألونه أيها الشيخ: ما القنطرة عند العرب؟ فيجيب كذا وكذا[(٦)].

ودرس أبو سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) في مجلسه مجموعة من الكتب أمثال كتاب سيبويه والكامل للمبرد، وإصلاح المنطق لابن السكيت وغيرها[(٧)].

وكان العلماء يعقدون مجالسهم في أيام مخصصة فعقد الزجاج مجلسه يوم الجمعة[(٨)]، وأبو بكر الأنباري كان يعقد مجلسين، الأول في بغداد يوم الجمعة[(٩)]، والثاني في سامراء يوم الثلاثاء[(١٠)] من كل أسبوع وهكذا فعل بقية العلماء.

والذي ألاحظه من خلال عرضي للمجالس، أن المجلس الواحد قد يأتي

(١) معجم الأدباء: ١٨/١٣٦.
(٢) الأشباه والنظائر: ٣/٦٩.
(٣) معجم الأدباء ١٨/٢٠١، بغية الوعاة ١/١١٠.
(٤) إنباه الرواة ١/١٨١، معجم الأدباء ١/٢٥٦-٢٥٧.
(٥) تهذيب اللغة ١/٢٧.
(٦) المنتظم: ٦/٣٨٠، إنباه الرواة: ٣/١٧٢. وينظر أبا عمر الزاهد في مبحث مؤلفاته.
(٧) إنباه الرواة: ١/٣١٣، معجم الأدباء: ٨/١٥١.
(٨) إنباه الرواة ٣/٢٠٢.
(٩) المنتظم: ٦/٣١٢.
(١٠) فهرسة ابن خير الإشبيلي: ٣٢٨.

بأكثر من فائدة وقد يستطرد صاحب المجلس إلى معان وفوائد لم يسأل عنها التلامذة على الطريقة الجاحظية، فيجلس ابن دريد فيه صورة صادقة لما أذهب إليه، فابن دريد عندما سئل عن أبيات من الشعر، تحدث عن معنى (الحائم) وفسرها وما جاءت به في البيتين ثم استطرد في تفسير مفردات أخرى لم تتضمنها الأبيات (كالأيائل)، والفرق بين الظاء والضاد في (فاظ وفاض) وهذه كلها فوائد يطلبها رادة العلم من التلامذة.

وهناك مجالس كثيرة عقدت في هذا القرن في دور الخلفاء وبيوت العلماء، فعقد ثعلب والزجاج مجلساً في بيت الزجاجي(١)، وعقد ثعلب بعض مجالسه في بيت أبي عمر الزاهد، وعقد الفارسي مجالس كثيرة في البلاد التي انتقل إليها. وجلس بعده للتدريس تلميذه النابغ ابن جني في جامع الموصل، ومثلما كانت بيوت العلماء مكاناً تعقد فيه مثل هذه المجالس، كانت دور الخلفاء تحفل أيضاً بكثرة المجالس بين العلماء، كالذي جرى في مجلس عضد الدولة (ت ٣٧١ هـ) ودارت مناظرة في مجلس ابن الفرات (ت ٣٢٧ هـ) بين أبي سعيد السيرافي ومتى(٢)، وانعقد مرة (سنة ٣٢٦ هـ) فكان فيه السيرافي، والخالدي والكتبي وابن أبي بشر وقدامة بن جعفر وغيرهم(٣).

وعقد الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) مجالس كثيرة في داره (٤)، وكانت المناظرات مظهراً آخر زين الحياة العلمية في هذا القرن فعقد الزجاج مناقشات مع ثعلب وغيره من اللغويين(٥)، وعقد أيضاً مناظرة مع ابن الخياط(٦)، وأخرى مع ابن خالويه(٧).

وعقد أبو علي الفارسي مناظرة مع ابن خالويه (٨).

وهكذا نشطت وزادت مع تطور الحياة العلمية، فقد كانت تأخذ الجانب

---

(١) مجالس العلماء: ١١٦.
(٢) معجم الأدباء: ١٩٠/٨.
(٣) الامتاع والمؤانسة: ٢٤/١.
(٤) معجم الأدباء: ٢٦٥٨/٦.
(٥) إنباه الرواة: ١٦٥/١، معجم الأدباء: ١٧٣/١.
(٦) نزهة الألباء: ١٦٩.
(٧) معجم الأدباء: ١٥٩/١.
(٨) نزهة الألباء: ٢١٤.

العقلي أساساً لها في المناقشة والحوار. وامتاز هذا القرن بكثرة العلماء، وكان العالم عندما يتوفى يخلفه طلابه ومنهم النابهون الذين يتجاوزون أساتذتهم علماً وفطنة فقد أذكى التنافس العلمي بين الطلاب روح الحماس في حب التعلم بينهم، فالأستاذ يخلف أكثر من طالب نابغ، فالمبرد والثعلب خلفا بعدهما أبا عمر الزاهد وأبا موسى الحامض، وابن كيسان وابن الخياط والزجاج وابن الأنباري ونفطويه وابن دريد وغيرهم، وخلف الزجاج، الزجاجي، وابن السراج وأبا علي الفارسي وخلف ابن دريد، أبا علي القالي، والفارسي خلف ابن جني، وهكذا إلى أن أصبح القرن الرابع وكأنه سلسلة واحدة في هذا النمط من الحياة العلمية حيث فيه المؤلفات والمناظرات والمجالس، ونتيجة لهذا التناحر اشتد التنافس العلمي بينهم حتى كثرت المؤلفات في موضوع واحد، وتعددت آراء العلماء وأراد كل واحد منهم أن يضع مؤلفاً جديداً لم يسبق إليه، لكي يحول أنظار الناس إليه، ويجذبهم نحوه، فمن جلب من مجلس إلى آخر الزجاج، وقصته معروفة مع أستاذه ثعلب ثم أستاذة الجديد المبرد(١).

أما الأمالي فهي أن يأتي الأستاذ ويملي ما عنده من كتاب أو من غيره، أو ينيب أحداً غيره ويلقي المحاضرة نيابة عن أستاذه والطلاب حوله متحلقون يستمعون إليه ويكتبون عنه، وكانت الأمالي تملى في الغالب من الذاكرة وتلقى إلقاء مرتجلاً عن ظهر قلب ومن حفظه، والأمالي – أيضاً- تضم طرفين، متحدثاً وهو الأستاذ ومستمعاً وهم الطلبة، ولم يختص في موضوع معين، وإنما ينتقل من موضوع إلى آخر، ثم يكتبها الطلاب في دفاترهم فتصير كتاباً.

وقد ألف الزجاجي في المجالس كتاباً سماه (مجالس العلماء) وسأتناوله بالحديث بعد قليل.

مجالس العلماء للزجاجي

يكاد يكون هذا الكتاب(٢) هو الوحيد الذي يحمل اسم «مجالس العلماء»، وقد أراد الزجاجي أن يفرد كتاباً يخصصه لهذه المجالس.

---

(١) الفهرست: ٦٦، معجم الأدباء: ١/١٣٧.

(٢) حققه عبد السلام هارون وطبع في الكويت سنة ١٩٦٢.

ضم الكتاب مائة وستة وخمسين مجلساً، وهي مختلفة الموضوعات، ففيها أخبار لغوية ونحوية وصرفية وأدبية، جمعها الزجاجي وأراد أن يبين طريقة المتقدمين من أهل اللغة والنحو في مجالسهم، ومناقشة بعضهم للبعض الآخر، والمجالس التي رواها هي مجرد اختيارات للزجاجي لا يوجد رابط بين مجلس وآخر، فمثلاً نجده في مجلس يتحدث عن التصحيف في الشعر(١)، وينتقل إلى الحديث عن كتاب المذكر(٢) والمؤنث لأبي حاتم السجستاني، وبعدها ينتقل إلى الخلط في القراءة القرآنية(٣)، وهكذا في بقية أجزاء كتابه.

ومنهج الزجاجي في كتابه هو أن يورد صاحب المجلس، ومع من دار النقاش معه، ثم يبدأ بتفصيل المجلس، معتمداً على سند الرواية.

ضم الكتاب كثيراً من مسائل العربية، أمثال الإبدال والإدغام، التأنيث، التعجب، والاستقبال، وغيرها، كما ضم مجموعة من مجالس اللغويين مع الشعراء، وتناول أيضاً في مجالسه، مسائل نحوية، فهو في تناوله لا ينتصر لمذهب دون آخر وإنما مختارات من هذه المجالس التي أغنت العربية بما كان يدار فيها من نقاش.

والخلاصة يعد كتاب (مجالس العلماء) للزجاجي من الكتب القيمة والذي ضم في دفتيه هذه الصفوة المختارة من ذوق الزجاجي في اختياره لهذه المجالس المنتخبة.

وقد ألف كثير من اللغويين في الأمالي خلال هذا القرن منهم:

أبو موسى الحامض(٤) (ت ٣٠٥ هـ)، والزجاج(٥) (ت ٣١٠ هـ) وأبو عبد الله اليزيدي (ت ٣١٠ هـ)، والأخفش الصغير(٦) (ت ٣١٥ هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ).

---

(١) المجلس ٢٠. (٢) المجلس ٢١.

(٣) المجلس ٢٣.

(٤) المؤتلف والمختلف: ١٢٨، المنتظم: ٣٨١/٦، إنباه الرواة: ١٧٣/٣، بغية الوعاة: ١/ ١٦٥.

(٥) تهذيب اللغة: ٥٣٨/١٥، وفيات الأعيان: ٤٩/١، المزهر: ٤٠٩/١، شرح القصائد التسع لابن النحاس: ١١٣/١.

(٦) المؤتلف والمختلف: ١٢٨، وذكره بروكلمان: ٢٣٩/٢.

وأبو بكر الأنباري[١] (ت ٣٢٨ هـ)، والزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، وأبو عمر الزاهد[٢] (ت ٣٤٥ هـ)، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)، وابن خالويه[٣] (ت ٣٧٠ هـ)، وأبو علي الحاتمي[٤] (ت ٣٨٨ هـ)، وابن فارس[٥] (ت ٣٩٣ هـ).

وقد وصلت إلينا من هذه المجموعة أربعة كتب هي: أمالي اليزيدي، وأمالي ابن دريد، وأمالي الزجاجي، وأمالي القالي.

أما بقية هذه الكتب فقد وصلت إلينا مبعثرة بين المصادر والمظان وقد تتبعتها فعثرت على نصوص متفرقة منها جمعتها وجعلتها في نهاية الحديث عن كتب الأمالي المطبوعة.

لقد نشطت الأمالي في هذا القرن حتى شملت الأدباء والشعراء والكتاب فألفوا كتباً فيها منهم: جحظة البرمكي[٦] (ت ٣٢٤ هـ) وأبو بكر الصولي[٧] (ت ٣٣٥ هـ)، والآمدي[٨] (ت ٣٧٠ هـ)، وبديع الزمان الهمذاني[٩] (ت ٣٩٨ هـ).

تعليق من أمالي ابن دريد

وصل إلينا برواية أبي الفضل محمد بن ناصر علي السلامي[١٠].

---

(١) نزهة الألباء: ١٨١، وذكره الزركلي في كتابه الأعلام وقال إنه اطلع على قطعة منها كتبت في المدرسة النظامية ببغداد وعليها خط الحافظ عبد العزيز بن الأخضر (سنة ٦٠٩هـ)، لكن الزركلي لم يشر إلى وجودها. انظر الأعلام: ٢٢٧/٧، وذكره ياقوت في معجم الأدباء.

(٢) تاج العروس مادة ثغر.

(٣) معجم الأدباء: ٢٠٢/٩، أعيان الشيعة: ٥٣/٢٥.

(٤) ذكره بروكلمان ٢٥٠/٢نقلاً عن كتاب الكنايات: ٨٨، ونقل عنه الحصري في نظم القصيدة في زهر الآداب: ١٧/٣- ١٨، وجاء في إنباه الرواة (وله أخبار أملاها في مجالس الأدب) ١٠٣/٣.

(٥) معجم الأدباء: ٨٠/٥، معجم البلدان: ٢٨١/١.

(٦) معجم الأدباء: ٢٤٤/٢، وفيه نقولات كثيرة من أمالي جحظة.

(٧) نشوار المحاضرة: ٣٥٦/٢، الأنساب: ٣٥٧.

(٨) بروكلمان: ١٧٧/٢، نقلاً عن الحريري في درة الغواص.

(٩) كشف الظنون: ١٦٤/١.

(١٠) حققه مصطفى السنوسي، طبع في الكويت سنة ١٩٨٤، الطبعة الأولى.

يتألف كتاب الأمالي لابن دريد من سبعة أجزاء بدليل ما جاء به راوي الكتاب حينما اختار هذه المجموعة من الأخبار من الأجزاء السبعة وهي:

الجزء الثاني، ويبدأ بالخبر رقم (٥٩) وينتهي بالخبر رقم (٧٦[١]).

ويبدأ الجزء الثالث بالخبر رقم (٧٧) وينتهي بالخبر رقم (١٣٦[٢]).

ويبدأ الجزء الخامس بالخبر رقم (٤٤) وينتهي بالخبر رقم (٥٨[٣]).

ويبدأ الجزء السادس بالخبر رقم (١٣٧) وينتهي بالخبر رقم (١٩٥[٤]).

ويبدأ الجزء السابع بالخبر رقم (١٩٦) وينتهي بالخبر رقم (٢٤٣[٥]).

ولم يذكر الجزء الأول والرابع، والأجزاء في الكتاب ليست مرتبة، بل نراه يبدأ بالجزء الخامس[٦]، ثم الثاني[٧]، فالسادس[٨]، فالسابع[٩]، وهناك أخبار في الكتاب لم يذكرها أيٌّ من الأجزاء السبعة التي يتكون منها الأمالي[١٠].

يتناول الكتاب مجموعة من الأخبار اللغوية والأدبية والتاريخية التي لا يكون بينها رابط، وإنما أخبار متفرقة جمعها السلامي من خلال مطالعته لكتاب أمالي ابن دريد والظاهر أن ابن دريد كان يملي على طلابه دون أن يسمع لشرح من أحد، بل كان يقوم بمهمة المعلم، فيملي وطلابه يكتبون عنه، فنلاحظه في إيراده الأخبار، يفصل مرة، ويوجز ثانية، والأخبار غير مترابطة، فيورد خبراً عن وصية المهلب بن أبي صفرة لولده عبد الملك[١١].

ثم أقوال الخلفاء الراشدين[١٢]، وبعدها أبيات شعرية لأرطأة المري[١٣]، وهكذا في بقية كتابه.

---

(١) تعليق أمالي ابن دريد: ٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ١١٩.
(٣) المصدر نفسه: ٩٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٥٥.
(٥) المصدر نفسه: ١٨٠.
(٦) المصدر نفسه: ٢٨.
(٧) المصدر نفسه: ٣٨.
(٨) المصدر نفسه: ٧٦.
(٩) المصدر نفسه: ٩٨.
(١٠) المصدر نفسه من الصفحة ٧١ إلى الصفحة ٩٩.
(١١) المصدر نفسه: ١٥٥.
(١٢) المصدر نفسه: ١٨٠.
(١٣) المصدر نفسه: ٢٢٠.

أما الأخبار في الكتاب فهي كثيرة، حيث بلغت مائتين وثلاثة وأربعين خبراً لغوياً وأدبياً وتاريخياً، وأكثر من مائة وسبعين مقطعة شعرية، فيها حوالي خمسمائة وثلاثة وسبعون بيتاً من الشعر جميعها ترجع إلى ما قبل القرن الرابع الهجري، وكلها مسندة إلى الرواة كالأصمعي، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي عثمان الاشنانداني، وأبي حاتم السجستاني وغيرهم من الرواة الثقاة.

مصادره

مَثَّل كتاب الأمالي ثقافة ابن دريد الواسعة مع كثرة الأخبار المروية في الكتاب، وقد وسمه بطابع الأدب والشعر حيث غلب عليه الشعر، فاستشهد بشعر الشعراء على اختلاف عصورهم، كالجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، حتى بلغ عدد الأبيات فيه خمسمائة وثلاثة وسبعين بيتاً واستشهد بأقوال الخلفاء كعمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاوية وعمر بن عبد العزيز، أما الأمثال فاستشهد بثلاثة مواضع، والوصايا في سبعة أخبار والحكم والأمثال في اثنين وعشرين خبراً وذكر الأمكنة والجبال والمياه أما استشهاده بالآيات القرآنية والحديث النبوي الشريف فقليل جداً قياساً لمادة الكتاب الواسعة فاستشهد بآيتين فقط وبأربعة أحاديث نبوية شريفة.

وصفوة القول أن ما وصل إلينا من كتاب الأمالي وإن كان ناقصاً فإنه بين لنا ثقافة ابن دريد الواسعة، وإيراده هذه الأخبار الكثيرة التي ضمها كتاب الأمالي، فلولاه لما عثرنا على هذه الكمية الكبيرة من الأخبار.

أمالي اليزيدي(١)

وصلت نسخة الأمالي بخط ابن مقلة سنة ٣٧٠ هـ وبهذا تكون هذه النسخة قريبة من عصر اليزيدي.

والكتاب خال من المقدمة، شأنه شأن كتب الأمالي الأخرى، ومؤلفه أورد أكثر الأخبار عن عمه الفضل بن محمد اليزيدي، وعمه عبيد الله بن محمد اليزيدي، وروى كثيراً عن أبي جعفر محمد بن حبيب.

---

(١) طبع في مطبعة جمعية دائرة المعارف بحيدر آباد عن نسخة فريدة سنة ١٩٣٨.

منهجه

ضم كتاب الأمالي مائة وثلاثة وعشرين خبراً، مختلف الواحد عن الآخر، كان الشعر هو الغالب في الأخبار، فالكتاب مشحون بالقصائد والمقطعات الشعرية أكثرها في الرثاء[١]، فأحياناً يذكر قصيدة كلها رثاء، وأحياناً يذكر بيتين أو أكثر في الغرض نفسه، إضافة إلى ذلك وإيراده لأبيات من الشعر والرجز في أغراض أخرى كالمدح[٢]، والهجاء[٣]، وغيرها من الأغراض الشعرية.

كانت طريقته في عرض المادة، أن يأتي بالقصيدة أو البيت أو أكثر أو خبر أو حكمة أو قول من أقوال العرب، يذكره ثم يبدأ بشرح الألفاظ الغريبة فيه، وتارة أخرى يكتفي بإيراد الأشعار فقط.

ضم الكتاب في دفتيه مجموعة كبيرة من الأخبار والقصص والحكايات والأمثال والحوادث التاريخية وهي تصور المجتمع العربي ببداوته وحضره بالإضافة إلى إيراده للنادر والغريب.

والكتاب – شأنه شأن كتب الأمالي- لا يوجد فيه نظام أو ترتيب أو منهج وإنما اختار مجموعة من الأخبار المتفرقة، خالية من ترتيب في مواد كل خبر من أخبار الكتاب فلا القصائد والمقطعات مرتبة ترتيباً في أغراض الشعر والرجز ولا الأخبار والقصص والحكايات يربطها رابط بينهما، وإنما يأتي بذكر الخبر كيفما اتفق، حيث كان ينتقل من موضوع إلى الآخر، بدون أن يصرح بذلك، فينتقل من ذكر قصيدة للرثاء إلى ذكر أبيات من الرجز إلى ذكر قصة وإلى ذكر حديث لخليفة وإلى ذلك من الأخبار المتفرقة، كان كثيراً ما ينسب القصائد والمقطعات والأراجيز والأخبار والأمثال إلى قائليها، وقليلاً ما يهمل ذلك، ويكتفي بقوله مثلاً: (أنشدني عمي) دون ذكر القائل[٤].

ونراه أيضاً يذكر القبيلة التي ينتسب إليها الشاعر إذا تعذر عليه معرفة القائل[٥].

---

(١) الأمالي: ١، ١٣، ٣١، ٤٩، ١١٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٤، ١٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ٨٥، ١٣٣.

(٤) الأمالي: ١٣٣، ١٣٦، ١٥٠.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٦، ١٤٨.

استشهد اليزيدي في أماليه بمجموعة من الشعراء وفي فترات مختلفة، فاستشهد بالشاعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، إلى نهاية عصر أبي العتاهية[١]، ومن الأراجيز استشهد بكلام لرؤبة والعجاج وغيرهما.

تتجلى أهمية الكتاب في كونه يضم مادة غزيرة، فتناول من كلام العرب ومتشابهه وغريبه، وأخبارهم ونوادرهم في الجاهلية والإسلام ما قد لا نراه في المصادر الأخرى، بالإضافة إلى ذكره لشعراء مغمورين لم تذع أسماؤهم ولا نجدهم في الكتب الأخرى التي اهتمت بذلك، فجاء كتابه جامعاً الحوادث والأخبار، واختياره لقصائد وأخبار يعتقد بأنها مفيدة ومهمة، وإلا لجمع في كتابه أخباراً وقصائد تزيد على ما ذكره، كذلك تتجلى أهميته لكون الأخبار التي أوردها كلها مسندة إلى الرواة، فنادراً ما نلاحظ خبراً من غير راوٍ.

أمالي الزجاجي

وصل إلينا بطبعتين[٢]، وهو خال من المقدمة ومن السند حيث إن الكتاب مجموعة من الأخبار ألقيت على الطلبة خلال مجلس الزجاجي.

منهجه

يمثل كتاب أمالي الزجاجي ثقافته الواسعة في علوم العربية المتفرقة، فكتابه شامل لمجموعة من الأخبار المتنوعة والمتفرقة خالية من أي رابط بينها، وهذا يعود إلى أن الزجاجي كان يملي الأخبار على طلابه، فعندما ينتهي الدرس ينتهي معه الخبر، ويأتي في اليوم الآخر ليبدأ بخبر يختلف عن سابقه، فلذلك احتوى كتابه على مقطوعات مختلفة الواحدة عن الأخرى فنراه يشرح آيةً قرآنيةً ينتقل بعدها إلى صفة الخيل ثم إلى حكاية بعدها ينتقل إلى شرح لأبيات شعرية، ثم إلى حديث ابن عباس ثم إلى أخبار الخلفاء وهكذا.

أما طريقته في عرض المادة هي أن يأتي الخبر بادئاً بتسلسل سند الخبر ثم يذكره عن الرواة وبعد ذلك يبدأ بشرح الألفاظ الغريبة والاستعمالات النادرة

(١) المصدر نفسه: ١٢٧.

(٢) الطبعة الأولى: نشرها أحمد الشنقيطي في مصر سنة ١٣٢٤هـ، والثانية بتحقيق عبد السلام هارون في مصر سنة ١٣٨٢هـ.

فالأخبار عنده متنوعة ففيه من آيات القرآن الكريم وفيه الحديث النبوي الشريف وفيه المقطوعات الشعرية والحكايات العربية الأخرى متمثلة بأقوال الحكماء وأمثالهم ونوادرهم.

تكلم الزجاجي عن مسائل نحوية ولغوية فذكر المناقشات التي جرت بين العلماء في مجالس الخلفاء، كما في المناقشة التي جرت بين الكسائي واليزيدي في حضرة المهدي، وقد ذكر الزجاجي آراءهم ثم ناقشها وبخطأ الكسائي واليزيدي ثم يأتي برواية مستشهداً بكلام سيبويه يبين فيه وجه الخطأ، ثم يذكر مجلساً آخر وما دار فيه من نقاش وبعدها يعطي رأيه فيها وهكذا.

امتاز كتاب أمالي الزجاجي بوفرة المادة المروية فيه واختياره للنصوص دون سواها، وهذا يمثل مدى ذوق الزجاجي في هذا الاختيار، فاختار من القرآن بعض الآيات وشرحها، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وشرحها أيضاً واختار من الشعر أجوده ولأغراض مختلفة ولشعراء في فترات متفاوتة يدل على نضج عقله، فجاء كتابه جامعاً لفنون العربية المختلفة.

مصادره

حفل كتاب أمالي الزجاجي بكثرة المصادر التي استقاها وضمنها كتابه، فكان القرآن الكريم المصدر الأول في كتابه ولهذا نلاحظ أن أول ما يطالعنا من الأخبار هو لآية قرآنية[١]، بالإضافة إلى استشهاده بآيات من القرآن الكريم في أثناء شرحه لخبر من الأخبار [٢]، وكان للحديث الشريف دور في إغناء كتابه، فأورد مجموعة من أحاديث النبي (محمد ﷺ [٣]) وشرحها، أو يورد قصة يشرحها ويستشهد بالحديث النبوي الشريف[٤].

قلنا إن كتاب أمالي الزجاجي يمتاز بالسند لأيِّ خبر من الأخبار، ولهذا كان العلماء اللغويون هم الرواة عنده، أمثال الأصمعي، والمبرد، وأبو حاتم السجستاني، وابن دريد، والزجاج، وابن شقير، وأبو الحسن الأخفش، والكسائي، والفراء، وثعلب، ونفطويه، وغيرهم من اللغويين، فجاءت أخباره

(١) أمالي الزجاجي: ٢. (٢) أمالي الزجاجي: ١٠، ٢٠، ١٨١.
(٣) المصدر نفسه: ٦٨، ١٣٤. (٤) المصدر نفسه: ١٥٢.

كلها برواية أحد من هؤلاء، فمرة يذكر رواية اثنين قوله: «حدثنا أبو إسحاق الزجاج قال: حدثنا المبرد قال[1]:......».

ومرة أخرى يذكر أكثر من واحد: «أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا يحيى بن ثعلب قال: أخبرني حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، عن أبيه قال[2]:......».

وهكذا في جميع الأخبار التي أوردها الزجاجي في أماليه.

كان كثيراً ما ينسب القصائد والمقطعات والأراجيز والشواهد الأخرى إلى قائليها، أو يكتفي بذكر الأشعار منسوبة إلى من رواها، قوله: «أنشدنا الأخفش قال: أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي[3]...».

وذكر مجموعة من الشعراء في فترات مختلفة، ابتداء من العصر الجاهلي فالإسلامي فالأموي فالعباسي، ويستشهد بشعراء قريبين من العصر الذي نشأ فيه، أمثال عبد الله بن المعتز[4] (ت ١٩٦ هـ)، وابن دريد[5] (ت ٣٢١ هـ).

واستشهد أيضاً بالأرجاز، فذكر منهم، رؤبة[6] العجاج[7]، أبو النجم[8].

وإلى جانب استشهاده بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والرجز، ذكر مجموعة من القصص والحكايات والأمثال.

ويعد كتاب الأمالي من الكتب المهمة في الموضوعات المختلفة، ففيه القصص والحكايات والنادر والشعر، بالإضافة إلى ضمه لشعراء، لولا كتاب الأمالي لما كنا نعرف عنهم شيئاً، فزخر كتابه بكثير منهم مع ذكر أشعارهم[9].

الأمالي لأبي علي القالي

طبع كتاب الأمالي لأبي علي القالي أكثر من مرة[10].

---

(١) المصدر نفسه: ١٩٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٦٠.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٦.
(٤) الأمالي: ١٧١.
(٥) المصدر نفسه: ٧٠.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٠.
(٧) المصدر نفسه: ٥٨.
(٨) المصدر نفسه: ٣١.
(٩) المصدر نفسه: ١٨٤-٢٠٠.
(١٠) طبع كتاب الأمالي أول مرة سنة ١٣٢٢ هـ في مطبعة بولاق (ينظر مقدمه الأمالي =

منهجه

بدأ القالي أماليه بالحمد لله والصلاة و السلام على نبيه الكريم، بعدها تحدث عن محتوى كتابه بقوله: «وأودعته فنونا من الأخبار، وضروربأً من الأشعار، وأنواعا من الأمثال، وغرائب في اللغات، على أني لم أذكر فيه باباً من اللغة إلا أشبعته ولا ضرباً من الشعر إلا اخترته، ولا فناً من الخبر إلا انتخلته ولا نوعاً من المعاني والمثل إلا استجدته، ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول ﷺ، على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد، وفسرت فيه من الأتباع ما لم يفسره بشر [١]».

بهذه الكلمات بين القالي فحوى كتابه، أما طريقته في عرضه المادة فكانت إملاء على الطلبة وصرح بذلك في المقدم «فأمللت هذا الكتاب من حفظي [٢]»، وقال عنه القفطي: «وأملاه ظاهراً من قلبه وارتجل تفسير ما فيه [٣]»، أما منهجه فكان أن يورد الخبر ثم يذكر سند الرواية، ويبدأ بشرح الخبر بما فيه من كلمات غامضة تحتاج إلى توضيح، معتمداً على كلام اللغويين والنحاة والشعراء، فكتاب الأمالي، أمشاج من الأخبار المتفرقة والمنوعة لا يوجد بينها رابط، وإنما كان

بتصدير محمد عبد الجواد الأصمعي). وذكر الدكتور عمر الدقاق أن طبعته الأولى كانت سنة ١٣٢٤هـ معتمدا على بروكلمان (٢٧٩/٢) وعلى عبد السلام هارون في مقدمة أمالي الزجاجي.(ينظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد (٤٤) الجزء الثاني، صفحة (٥٣١) ستة١٩٦٩).

ووضع المستشرق (كرنكو) فهرساً خاصاً طبعه في مدينة ليدن سنة ١٩١٣ مع فهرس آخر للقوافي وبعض تعليقات.

ثم طبع الأمالي ثانية في دار الكتب المصرية ستة (١٩٢٦)، وطبع مرة ثالثة سنة (١٩٥٣)بثلاثة مجلدات، وأعيد طبعه أكثر من مرة عن طريقة التصوير أما عن طبعة بولاق أو طبعة دار الكتب، في القاهرة ودمشق وأعيد طبعه في بيروت بطريقة التصوير بجزأين ملحقاً معه النوادر وكتاب (التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) للبكري مع فهارس أبجدية لكتابي (الأمالي والتنبيه) عني بوضعها محمد عبد الجواد الأصمعي.

(١) الأمالي: ٣/١.	(٢) الأمالي: ٣/١.

(٣) انباه الرواة: ٢٠٥/١.

يلقى الموضوع إملاء فينتهي الخبر، ويبدأ اليوم الآخر، بخبر يختلف عن الأول، فنلاحظه ينتقل من موضوع لآخر، فانتقل من شرح لآية قرآنية[١]، إلى شرح لحديث نبوي شريف[٢]، إلى الكلام عن خطبة لعبد الملك لما دخل الكوفة[٣]، إلى آخره من الأخبار المتفرقة والمتنوعة.

تجلت شخصية القالي في كتابه، فظهر العالم الواسع المعتمد بنفسه من حفظه الغزير فقال: «فأمليت هذا الكتاب من حفظي[٤]»، فالحفظ هي أعلى درجة يتسم بها العلماء، وإن الحفاظ في أسمى منزلة بين الفقهاء والمحدثين[٥].

ضم كتاب الأمالي مجموعة كبيرة من النصوص الشعرية والنثرية مما يندر وجودها في الكتب الأخرى، وهذا بطبيعة الحال يأتي من كثر ما سمع من شيوخه الذين تتلمذ عليهم، إضافة إلى احتوائه أنواعاً من الحكايات والأمثال والوصايا، وقد صرح القالي بذلك بقوله: «وأودعته فنوناً من الأخبار وضروباً من الأشعار، وأنواعاً من الأمثال وغرائب من اللغات[٦]».

وكتاب الأمالي، خال من التبويب والتنظيم بين موضوعات كتابه، وهذا يتأتى من كونه يضم مجموعة كبيرة من الأخبار الأدبية ومختارات الأشعار، والوصايا والحكم والأمثال، ومن الطريف من هذه الأخبار التي جلبها معه إلى الأندلس ونقل معه آداب المشارقة إليهم.

روى القالي كثيراً من هذه الأخبار عن طريق شيوخه، فأخباره جميعها كاملة السند، وتبدأ (أخبرنا[٧]....)، (حدثنا[٨]...)، (أنشدنا[٩]....)....الخ من هذه العبارات المألوفة في ذكر السند.

---

(١) الأمالي: ١/٧. (٢) الأمالي: ١/٨.
(٣) المصدر نفسه: ١/٣. (٤) المصدر نفسه: ١/٣.
(٥) أبو علي القالي وكتابه الأمالي: ٥٣٢، مقالة للدكتور عمر الدقاق نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد (٤٤) الجزء الثاني سنة ١٩٦٩ ونشرها في كتابه «مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم».
(٦) الأمالي: ١/٣. (٧) الأمالي: ١/٨٤.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٣٣. (٩) المصدر نفسه: ٢/١٢٤.

انفرد كتاب الأمالي بكثرة أحاديث ابن دريد (شيخ القالي) حتى بلغت الأخبار التي رواها عن شيخه أكثر من سبعمائة خبر[١]، وهذه الكمية من الأخبار تساوي ثلث كتاب الأمالي، إضافة إلى روايته عن اللغويين أمثال: الأصمعي، الرياشي، الأخفش، ثعلب، ابن الأعرابي، المبرد، أبو زيد، أبو عبيدة، الفراء، الزجاج، نفطويه، ابن درستويه، وغيرهم، من الشعراء استشهد للجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، مع عنايته باختياره النصوص الشعرية التي تدل على ذوقه، كذلك اهتم بالرجز وضمن كتابه كثيراً من أراجيز العرب وخاصة رؤبة والعجاج.

وصفوة القول أن كتاب الأمالي يعد من أمهات الكتب والمصادر المهمة لما احتواه من مختارات أدبية ولغوية ونحوية رفيعة المستوى متسمة بالأصالة والندرة وتنطوي على الفائدة والمتعة وقد وصفه القفطي بقوله: «وهذا الكتاب غاية في معناه، وهو أنفع الكتب، لأن فيه الخبر الحسن، المثل المتصرف، والشعر المنتقى في كل معنى، وفيه أبواب من اللغة مستقصاة، وليست توجد في شيء من كتب اللغة مستقصاة مثل ما هي في هذا الكتاب[٢]».

أمالي أبي موسى الحامض

(ت ٣٠٥ هـ)

وهو من تلاميذ ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وخلفه في مقامه وتصدر للتدريس بعده، وروى عنه بعضاً من كتبه، وكان أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر[٣].

من أماليه: «قال أبو علي الحاتمي اللغوي: أخبرنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الخواج: الجوع[٤]».

---

(١) أبو علي القالي وكتابه الأمالي: ٥٣٥.

(٢) إنباه الرواة: ١/٢٠٦.

(٣) معجم الأدباء: ١١/٢٥٤.

(٤) المنتظم: ٦/٣٨١، معجم الأدباء: ١٨/٢٢٨، إنباه الرواة: ٣/١٧٣، بغية الوعاة: ١/ ١٦٥.

أمالي الزجاج

(ت ٣١٠ هـ)

جلس أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١٠ هـ) للإملاء في الجامع الغربي في بغداد، وقد ذكر الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) في كتابه (الأمالي[١])، بعضاً من مجالس أستاذه وذكره الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في كتابه (تهذيب اللغة) فقال: «منهم أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي، صاحب كتاب – المعاني في القرآن- حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه[٢]».

أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) فقد ذكر السنين التي استغرقت إملاء الكتاب بقوله: «قرأ على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم – معاني القرآن- في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة[٣]»، وذكر الأزهري، وأبو جعفر النحاس والسيوطي جانباً من أماليه.

قال أبو جعفر النحاس: «قرأت في كتاب من أمالي أبي إسحاق الزجاج في قول الله عز وجل إخبارا: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ ﴾ [٤] أن الألف بدل من الياء، ويقال كيف يجوز أن ينادى العجب وهو مالا يجيب ولا يفهم؟ فالجواب عن هذا أن العرب إذا أرادت أن تعظم الخبر جعلته نداء، قال سيبويه: إذا قلت يا عجباً فكأنك قلت: تعال يا عجب فإن هذا من أبانك فهذا أبلغ من قولك: تعجبت، قال أبو إسحاق: ونظير هذا قولهم: لا أرينك هاهنا فإنه من يكن هاهنا أره، قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [٥]، فقد علم أنه لا ينهاهم عن الموت إذ ليس ذلك إليهم التقدير والله أعلم اثبتوا على الإسلام حتى يأتيكم الموت، وكذا قولك: يا عجباً قد علم أنك لا تنادي العجب، فالتقدير انتبهوا للعجب [٦]»، وقال الزجاج في بعض (أماليه) وذكر قول الرسول ﷺ: من قال:

---

(١) الأمالي: ٢٤٣. (٢) تهذيب اللغة: ١/٢٧.

(٣) معجم الأدباء: ١/١٥٩. (٤) هود الآية: ٧٢.

(٥) البقرة الآية: ١٣٢.

(٦) شرح القصائد التسع المشهورات: ١/١١٣- ١١٤.

سقينا بالنجم فقد آمن بالنجم وكفر بالله، ومن قال: سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بالنجم.

قال: ومعنى: مطرنا بنوء كذا، أي مطرنا بطلوع نجم وسقوط آخر. والنوء على الحقيقة سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق، فالساقطة في المغرب، هي الأنواء، والطالعة في المشرق هي البوارح.

قال: وقال بعضهم: النوء، ارتفاع نجم من المشرق وسقوط نظيره في المغرب وهو نظير القول الأول، فإذا قال القائل: مطرنا نبوء الثريا، فإنما تأويله: أنه ارتفع نجم من المشرق، وسقط نظيره في المغرب، أي: مطرنا بما ناء به هذا النجم، قال: وإنما غلظ النبي (ﷺ) فيها، لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي جاء بسقوط نجم هو فعل النجم، ولا يجعلونه سقيا من الله، وإن وافق سقوط ذلك النجم يجعلون النجوم هي الفاعلة، لأن في الحديث دليلا على هذا، وهذا قوله: من قال: سقينا بالنجم فقد آمن بالنجم وكفر بالله.

وقال أبو إسحاق: وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، ولم يرد ذلك المعنى، ومراده: أنا مطرنا في هذا الوقت ولم يقصد إلى فصل النجم، فذلك — والله أعلم- جائز كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس، فإنما أراد: كم بقي من الوقت الذي جرت به العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر(١).

وذكره السيوطي أيضاً بقوله: «وفي أمالي الزجاج، من أسامي العسل: السعابيب(٢)».

أمالي جحظة البرمكي

(ت ٣٢٤ هـ)

لم تذكر المصادر التي ترجمت لجحظة أن له كتاباً باسم الأمالي سوى ياقوت

(١) تهذيب اللغة: ١٥/٥٣٨-٥٣٩ (مادة بناء)، واللسان: ١/١٧٧ (مادة نوء) والأنواء لابن قتيبة ص ٥٨، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ج ١ ص: ١٣٨.

(٢) المزهر: ١/٤٠٩.

الحموي، فقد انفرد بذكر طائفة من أماليه في كتابيه (معجم الأدباء) (معجم البلدان).

وهذا يقودنا إلى أن للصولي كتاباً يحمل اسم (الأمالي)، وكان موجوداً إلى القرن السابع الهجري، بدليل ما أورد منه ياقوت طائفة منه(١).

قال جحظة في (أماليه) استهديت من بعض إخواني دواة فأخرها عني، ثم اجتمعنا في مجلس أبي العباس ثعلب، فقلت لأبي العباس ما أراد الشاعر بقوله:

أحاجيك: ما قبر عديم ترابــه ... بــه معشر موتى وإن لم يكفنوا
سلوت عن التبيان مدة قبرهم ... فإن نبشوا يوماً من الدهر بينوا

فسكت ساعة ثم قال: الدواة، فلما انصرفت إلى منزلي إذا الدواة قد سبقتني إليه(٢).

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه(٣):

قد نلتم صحة، وما نالها بشر ... وحزتم نعمــة ما نالها مــلك
فليت شعري أمقدار تعمدكم ... بما أتاكم به، أم وسوس الفلك

وأنشد جحظة في أماليه:

يا من دعاني وفر مــــني ... أخلفت والله حسن ظنــي
قد كنت أرضى بخبــز رز ... ومالــح أو قــليــل بــن
وسكرة من نبيــذ دبــس ... أقام يومــاً بــمــقــر دن
فكيف يغلو بمــا ذكرنــا ... مساعــد شاعر مغنــى(٤)

وتحدث جحظة في أماليه قال: قال لي أبو عبيد الله بن حمدون:

حسبت ما أوصلني به المتوكل في مدة خلافته وهي أربع عشرة سنة وشهور، فوجدته: ستين ألفاً وثلاثمائة ألف دينار، ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته، وهي ثلاث سنين ونيف وكان أكثر ما وصلني به

---

(١) انظر جحظة البرمكي: ١١٧.
(٢) معجم الأدباء: ٢/٢٨٠.
(٣) معجم الأدباء: ٢/٢٧٨، محاضرات الأدباء: ١/٨٥ (ط الشرفية).
(٤) لطائف المعارف: ٤٩، معجم الأدباء: ٢/٢٧٩.

المتوكل، ثم خلع المستعين وحدر إلى واسط، ومنع من كل شيء إلا القوت، فاشتهى نبيذاً، فخرجت دايته إلى أهل واسط فتشكت ذلك إليهم، فقال لها رجل من التجار:له عندي كل يوم خمسة أرطال نبيذ دوشاب فكانت تمضي إليه في كل يوم فتجيئه به سراً إلى أن حمل من واسط، فقتل بالقاطول[(١)].

حدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغني، وأبي العبيس المغني، وأنا يومئذ غلام على قباء[(٢)]، ومنطقة[(٣)]، وأنكرتني وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد الب مكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني وقربت مجلسي، ودعت بطنبور وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما وأمرت لي بمائة دينار[(٤)].

حدث جحظة في أماليه قال: «كنت أشرب عند بعض إخواني بباب حرب[(٥)] في ناعورة ثابت في يوم مطر، ومعنا شيخ خضيب حسن البزة متصدر، فتجارينا ذكر المطر، وما جاء به من الخبر، فقال الشيخ: حدثوا يا سيدي عن النبي (ﷺ) وعلى صاحبيه أبي بكر وأبي حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاص قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم القطائف«يريد يوم الطائف» أن النبي ﷺ قال: «ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يتبعها حتى يضعها في موضعها ثم يصعد ويدعها»، فقلت: يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف، والملك ينزل معه قال: نعم يا سيدي فيهم ما في

(١) معجم الأدباء: ٢١٨/٢.

(٢) ثوب يلبس فوق الثياب كالقفطان.

(٣) ما يُشَدُّ به الوسط.

(٤) معجم الأدباء: ٢٦٦/٢ـــ ٢٦٧.

(٥) باب حرب: من محال بغداد القديمة، وموضعها الآن شمال شرقي مدينة الكاظمية وخلف محطة البنزين الآن بعد جسر الأئمة من جهة الكاظمية، ويوجد فيها قبر الإمام الزاهد أحمد بن حنبل (رضي الله عنه) والنسبة إليها حربي، وتنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد المنصور. انظر أيضاً الأنساب: ٢٣٧/٢ ومعجم البلدان: ٢٣٧/٢.

الناس من الدناءة والخسة[١].

وهناك أخبار أخرى لجحظة في أماليه، ونظراً لكثرتها فقد قصرت حديثي على نتف منها[٢].

أمالي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري

(ت٣٢٨ هـ)

ولأبي بكر الأنباري مجالسات وأمال أملاها على طلابه في مجالسه تحتوي على علوم العربية من نحو، ولغة، وأخبار، وشعر وكان يملي في ناحية من المسجد، وأبوه من ناحية أخرى، ولم يكن يملي من كتاب، وإنما من حفظه، وإن كل ماكتب عنه من العلم كان إملاء[٣].

ومن أماليه[٤]:

فهلا منعتم إذ منعتم كلامها ... خيالاً يوافيني على النأي هاديا

سقى الله أطلالاً بأكتبة الحمى ... وإن كنَّ قد أبدين للناس ما بيا

منازل لو مرت بها جنازتي ... لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا

وأملى أيضاً[٥]:

ويا لهضبة البيضاء إن زرت أهلها ... مها مهملات ما عليهن سائس[٦]

خرجن لخوف الريب من غير ريبة ... عفائف باغي اللهو منهن سائس

وقال ياقوت الحموي: قرأت في أمالي أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري: أنشدنا أبو بكر لأحمد بن يحيى النحوي:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ... فلم تلبث النفس التي أنت قوتها

---

(١) معجم الأدباء: ٢/٢٧٩ـ ٢٨٠.

(٢) تراجع في معجم الأدباء: ٢/٢٤٥، ٢٤٥، ٢٥٥ وغيرها وينظر جحظة البرمكي ص: ١٧٤.

(٣) المنتظم: ٦/٣١٢، إنباه الرواة: ٣/٢٠٢، طبقات الحفاظ: ٣٤٩، طبقات المفسرين: ٢/ ٢٢٩.

(٤) معجم الأدباء: ١٨/٣١١.

(٥) المصدر نفسه: ١٨/٣١١.

(٦) سائس: قانط.

ستبقى بقاء الضب في الماء أو كمـــا يعيش لدى ديمومة البيد حوتهـــا

أمالي أبي عمر الزاهد

(ت ٣٤٥ هـ)

جلس أبو عمر الزاهد للإملاء بعد أن وجد في نفسه القدرة على ذلك، فتصدر حلقة بعد وفاة شيخه ثعلب وأبي موسى الحامض وأخذ يملي على تلاميذه ما كان يحفظه عن شيخيه ثعلب والمبرد، فأملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، وكان لسعة حفظه يطعن عليه بعض أهل الأدب بالكذب. وقد أملى كتاب الياقوت ارتجالاً في جامع المدينة – مدينة أبي جعفر– من غير كتاب ولا دستور، فمضى في الإملاء مجلساً مجلساً[١].

وذكر الزبيدي أمالي الزاهد بقوله: «روى أبو عمر الزاهد في أماليه عن السياري عن أبي خزيمة الكاتب قال: ما فتشنا أحداً فيه هذا الداء (أي الثفر) إلا وجدناه ناصباً[٢]».

أمالي ابن خالويه

(ت ٣٧٠ هـ)

قال ابن خالويه في أماليه: سمعت ابن الأنباري يقول: اللئيم: الواضع الذي يتخلل ويأكل خلاله، وقال: حدثنا نفطويه عن أبي الجهم عن الفراء أنه سمع أعرابيا يقول: قضت علينا السلطان، فقال ابن خالويه: السلطان يذكر ويؤنث، والتذكير أعلى ومن أنثه هب إلى الحجة[٣].

ذكر ابن خالويه في أماليه: أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة، هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟

فقالوا: لا، فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين، قال: ما هما، قلت: لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر، وهما صحراء،

---

(١) الفهرست: ٨٢، طبقات النحاة واللغويين: ١٦٧، نزهة الألباء: ١٩١، المنتظم: ٦/ ١٦٣، معجم الأدباء: ٢٣٦/٢٨، إنباه الرواة: ١٧٢/٣.

(٢) تاج العروس: ٧٦/٣ (مادة أثفر).

(٣) معجم الأدباء: ٢٠٣/٩، أعيان الشيعة: ٥٢/٢٥.

وصحارى، عذراء، وعذارى[١].

أمالي ابن فارس

(ت ٣٩٥ هـ)

انفرد بذكره ياقوت الحموي وأورد نصوصاً في كتابيه (معجم الأدباء) و(معجم البلدان).

قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي في أماليه: أنشدني أبي رحمه الله:

يا دار أقوت بأوطاس[٢]، وغيرها ... من بعد مأهولها الأمطار والمور
كم ذا لأهلك من دهر ومن حجج ... وأين حل الدمى والكنس الحور
ردي الجواب على حران مكتئب ... سهاده مطلق والنوم مأسور
فلم تبين لنا الأطلال من خبر ... وقد تجلى العمايات الأخابير[٣]

وذكره ياقوت أيضاً أثناء ترجمته لعلي بن إبراهيم بن سلامة القطان، قال: «وقرأت في أمالي ابن فارس قال: سمعت أبا الحسن القطان بعدما علت سنه وضعف يقول: كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة حديث، قال: سمعته يقول: أصبت ببصري وأظن أني عوقبت بكثرة بكاء أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم[٤]».

---

(١) معجم الأدباء: ٢٠٣/٩، أعيان الشيعة: ٥٢/٢٥.
(٢) أوطاس: دار في ديار هوازن فيه كانت وقعة حنين للنبي محمد ﷺ ببني هوازن. معجم البلدان: مادة أوطاس.
(٣) معجم الأدباء: ٨٠/٥.
(٤) معجم البلدان: ٥٨/١

المبحث الثالث

كتب النوادر

النوادر: جمع نادر أو نادرة، قال الجوهري في الصحاح: «ندر الشيء: يندر ندرا: سقط وشذ ومنه النوادر[(١)]»، وقال ابن منظور في اللسان: «نوادر الكلام تندر، وهي ما شذ وخرج من الجمهور[(٢)]»، وفي أساس البلاغة: «هذا كلام نادر أي غريب خارج عن المعتاد[(٣)]».واتفق أصحاب المعاجم على تسمية ما شذ عن الكلام وخرج عن اللفظ المألوف بالنوادر.

والنادر: هو تعبير لغوي يرد في كتب اللغة ومعجماتها كثيراً بمعنى خلاف الفصيح المعروف، على الأغلب[(٤)].

واهتم اللغويون بالألفاظ النادرة أيما اهتمام، وانصب اهتمامهم على استعمال اللفظ النادر والغريب، فاختلطت فيها موضوعات اللغة من نحو وصرف، وتعرضهم للعروض فيما كانوا من شعر وما شاكل ذلك من الاهتمام باللفظ، فكثر التأليف في وقت مبكر، بعد أن تجول العلماء في البوادي واختلاطهم بالسكان القاطنين هناك، إضافة إلى سفر عرب البادية إلى المركز الحضري، وساعدت هذه الأسفار على تبادل الألفاظ النادرة، وأخذ اللغويين يتسارعون في التأليف فيه، وصارت هذه الكتب والمؤلفات على مر الزمن مادة مهمة يبنى على أساسها إيراد اللفظ النادر من اللغة.

عزا أكثر الباحثين[(٥)] إلى أن أبا عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) أول مؤلف في النوادر معتمدين على عبارة ابن النديم التي تقول: «كتـــاب النوادر عن أبي

---

(١) الصحاح: ٢/٨٢٥.

(٢) اللسان: ٥/١٩٩.

(٣) أساس البلاغة: ٢/٤٣١، تاج العروس: ٣/٥٦٠.

(٤) مقدمة النوادر لأبي مسحل: ١/١٩.

(٥) د/حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره: ١/١٣٣. د/عزة حسن، مقدمة النوادر لأبي مسحل: ٢٦، د/ محمد آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث: ١١٨.

عمرو بن العلاء[١]»، وقد أفرد الدكتور حسين نصار باباً تحدث فيه عن كتب النوادر من بداية التأليف فيها إلى نهاية القرن السابع الهجري[٢]، ثم صنع الدكتور عزة حسن في مقدمة تحقيق كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي جدولاً بأسماء المؤلفين الذين ألفوا في النوادر[٣]، وتحدث الدكتور محمد حسين آل ياسين عن المؤلفين في النوادر إلى نهاية القرن الثالث الهجري[٤]. ولما طل القرن الرابع أصبح تسابق اللغويين في تأليفهم للنادر، فألف أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي[٥] (ت ٣١٠ هـ)، والزجاج[٦] (ت ٣١٠ هـ)، وابن دريد[٧] (ت ٣٢١ هـ)، ونفطويه[٨] (ت ٣٢٣ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[٩] (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو بكر الصولي[١٠] (ت ٣٣٥ هـ)، وأبو عمر الزاهد[١١] (ت ٣٤٥ هـ)، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)، وابن جني[١٢] (ت ٣٩٢ هـ)، وأبو هلال العسكري[١٣] (ت ٣٩٥ هـ).

ولم يصل إلينا من هذه الكتب سوى كتاب القالي وأجزاء من كتب ابن

---

(١) الفهرست: ١٣٠.

(٢) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١٣٣ـــ ١٤٥.

(٣) مقدمة النوادر لأبي مسحل الأعرابي: ٢٦ـــ٣٠.

(٤) الدراسات اللغوية عند العرب: ١١٨ ـــ١٢١.

(٥) إنباه الرواة: ١٩٩/٣، وجاء في حاشية الإنباه: قال ابن مكتوم (وله أيضا كتاب النوادر في اللغة جزأين لطيفين كبيرين، وهو عندي والحمد لله).

(٦) الفهرست: ٦٦ ، معجم الأدباء: ١٥٤/١ ،إنباه الرواة: ١٦٥/١، وفيات الأعيان: ١/ ٤٩.

(٧) الفهرست: ١٣٠، أمالي القالي: ٢٧٩/٢، كشف الظنون: ١٩٨٠/٢.

(٨) معجم الأدباء: ٢٦٨/١.

(٩) انفرد بذكره البكري في كتابه اللآلئ: ١٥٩، ينظر مؤلفات ابن الأنباري.

(١٠) ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء: ١٣/١٠، أثناء حديثه عن الحسين بن الضحاك، والمعري في رسالة الغفران: ٤٣٩.

(١١) الفهرست: ٨٣، تهذيب اللغة: ٦٩٢/١٥، معجم الأدباء: ٢٣٣/١٨، إنباه الرواة: ٣/ ١٧٧، وفيات الأعيان: ٣٣٠/٤، الوافي بالوفيات: ٧٢/٤، كشف الظنون: ١٩٨٠/٢.

(١٢) ذكره ابن جني في كتابه الخصائص: ٣٨٢/١، وسماه (النوادر الممتعة) وقال عنها في إجازته، ونقل ياقوت الحموي كلام ابن جني في كتابه (معجم الأدباء): ١١١/١٢.

(١٣) كشف الظنون: ١٩٨٠/٢.

دريد، ونفطويه، والصولي، وأبي عمر الزاهد متناثرة بين المصادر والمظان.

وقد عد أحد الدارسين المحدثين[١] أن كتب النوادر هي نفسها كتب الأمالي، وجعل أبا عمرو بن العلاء (١٥٧ هـ) أول من ألف النوادر، معتمداً على ابن النديم في فهرسته[٢].

والذي أراه هناك فرقاً بين النوادر والأمالي، فالنوادر تعني بالغريب والنادر في اللغة، بينما الأمالي تضم أمشاجاً متفرقة من الأخبار ـ وتكون النوادر هي جزء من كتب الأمالي، ومن ضمن حديث الأستاذ الذي يمليه على الطلبة.

وقد عد الدكتور حسين نصار النوادر الصغيرة من الأمالي[٣].

وخلاصة القول: أن اختلافاً بسيطاً يكون بين الأمالي والنوادر، وإن كانت النوادر جزءا من الأمالي، إلا أن كتب الأمالي لم تختص بموضوع معين، وإنما هي تسجيل لما كان يدور في مكان الدرس من قبل الأستاذ الذي يملي المادة على طلابه، بينما النوادر اختصت بالغريب والشاذ في اللغة وإن كانت تملى إملاءً.

نوادر ابن دريد

لم يصل إلينا كتاب يحمل اسم (النوادر) لابن دريد على الرغم من أن بعض المصادر، ذكرت أن لابن دريد كتاباً بالنوادر، ونقل منه القالي في أماليه[٤]، لكن ابن دريد ألحق في نهاية كتابه (الجمهرة) بعض الأبواب التي تعالج الموضوعات في النادر من اللغة، وقد قسمها إلى أبواب هي[٥]:

١. باب من النوادر.

٢. باب من نوادر ما جاء في القوس وصفاتها عن أبي عبيدة، معمر بن مثنى.

٣. باب من صفات القسي عنده.

---

(١) د. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب: ١١٨.

(٢) الفهرست: ١٣٠.

(٣) المعجم العربي: نشأته وتطوره: ١/١٤٢.

(٤) أمالي القالي: ٢/٢٧٩.

(٥) الجمهرة: ٣/٤٤٩ وما بعدها.

٤. باب ما جاء في صفة الأوتار.
٥. باب ما يوصف به السهام.
٦. باب ما جاء من النوادر في صفة النصال.
٧. باب من النوادر على صفة النعل.
٨. باب آخر من النوادر – مفردات بمعنى واحد.
٩. باب أسماء رحاب السحر عن الأصمعي.
١٠. باب من المصادر وغيرها من النوادر.
١١. باب من اللغات عن أبي زيد.
١٢. باب من النوادر عن أبي زيد.
١٣. باب من النوادر جمعناها في هذا الباب ليسهل مطلبها.

استعمل ابن دريد الغريب وغير الغريب في هذه الأبواب، وفي لغات مختلفة، مثل (يقنط، يقنط، يقنط، ثلاث لغات[١])، وتناول في حديثه عن حالات لغوية تحدث في النوادر كالإبدال مثلاً، من حيث الحروف والحركات، و اعتمد على الرواية والسماع[٢].

استقى ابن دريد أكثر مادته اللغوية من العلماء الذين ألفوا في النوادر، مثل أبي عبيدة[٣]، وأبي زيد[٤]، والأصمعي[٥]، حيث أكثر الاقتباس منهم.

ثم استشهد بكلام أبي مالك[٦]، وعمرو بن كركرة[٧]، والحرمازي[٨]، ولكنه كان قليل النقل عن هؤلاء الثلاثة، وذكر أيضاً الإشنانداني[٩]، وابن أخي الأصمعي[١٠].

ومنهج ابن دريد في هذه الأبواب غير مرتب ولا مبوب، وإن كان يبدأ

(١) الجمهرة: ٣/٤٥٠.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٤٥٥.
(٣) المصدرنفسه: ٣/٤٥٥.
(٤) المصدر نفسه: ٣/٤٥٢.
(٥) المصدر نفسه: ٣/٤٥٠.
(٦) المصدر نفسه: ٣/٤٤٩.
(٧) المصدر نفسه: ٣/٤٥٦.
(٨) المصدر نفسه: ٣/٤٥٨.
(٩) المصدر نفسه: ٣/٤٥١.
(١٠) المصدر نفسه: ٣/٤٥٥.

كلامه بقوله: «باب كذا....» وإنما يأتي بألفاظ غريبة ويبدأ بشرحها ويفسرها مستشهداً بكلام العلماء، ويورد عليها شواهد من الشعر وكلام لبعض العرب ولغاتهم.

وكان ابن دريد يحافظ على الترتيب الأصلي للكتب التي يأخذ منها فيورد القطعة بأكملها على ترتيب أصلها، وخاصة في الأبواب المنسوبة إلى أصحابها[١].

أما تقسيمه للأبواب، فلا يوجد هناك أساس أقام عليه هذا التقسيم، فالأبواب فيها الطويل وفيها القصير، وفيها كلام منسوب إلى ابن دريد نفسه، وأحياناً ينسبها للغويين، ولم يكن اهتمام ابن دريد بالألفاظ الغريبة والنادرة إلا مسايرةً للغويي عصره الذين اهتموا بهذه الألفاظ الغريبة، والتي كانت من صفات العالم اللغوي الضليع من اللغة[٢]، هذا وقد اختار ابن دريد من الألفاظ غريبها وجعلها في قصيدة وجهها إلى ابن زرعة الباهلي[٣]، ليختبر معرفته بغرائب الألفاظ، كما أن مقصورته الطويلة حوت على بعض النادر والغريب[٤].

وخلاصة القول أن ابن دريد أراد أن يستعمل ألفاظاً نادرة لم يستخدمها اللغويون قبله، حتى نعته أكثر اللغويين بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم[٥].

ومنهم من استخف به، ولم يوثقه في روايته كنفطويه[٦]، وقال عنه المسعودي: «وكان ممن برع في زماننا هذا في الشعر، وانتهى في اللغة، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين[٧]».

(١) المعجم العربي: ١٤٢/١.
(٢) العربية بين أمسها وحاضرها: ٦٤.
(٣) ينظر القصيدة في ديوان ابن دريد (ط عمر بن سالم) ص ١٤٥.
(٤) ابن دريد وجهوده في اللغة: ٢٥٩.
(٥) انظر تهذيب اللغة: ٣١/١.
(٦) انظر تهذيب اللغة: ٣١/١.
(٧) مروج الذهب: ٢٢٩/٤.(طبعة بيروت الرابعة ١٩٨١).

نوادر نفطويه

انفرد ياقوت الحموي بذكرها حيث قد أورد نصاً منها فقال[١]: «وكان نفطويه كثير النوادر ومن نوادره: قيل لبهلول في كم يوسوس الإنسان، فقال: ذاك إلى صبيان المحلة».

وقد ذكر الأزهري مجموعة من كتب النوادر التي اطلع عليها الزاهد.

يتبين من كلام الأزهري أن أبا عمر الزاهد نهج منهج القدماء في إيراد النادر من اللغة بدليل ما شاهده من أقوالهم في نوادر أبي عمر الزاهد كأبي عمر الشيباني وابن الأعرابي وغيرهم الذين أوردهم الزاهد في نوادره. لكن مع ذلك يبقى المنهج الذي نهجه في كتابه غامضاً لدينا لفقدان الكتاب.

وقد أورد الدكتور محمد جبار المعيبد مجموعة من النوادر استقاها من المصادر والمظان، معزوة إلى نوادر أبي عمر الزاهد ولذلك لم أجد فائدة في إعادة ما ذكر[٢].

النوادر لأبي عمر الزاهد

ذكرت أكثر المصادر أن لأبي عمر الزاهد كتاباً في النوادر[٣]، وكذلك ذكرت بعض الكتب التي ألفت في النوادر وقرأها أبو عمر الزاهد، أمثال نوادر ابن الأعرابي، وإصلاح المنطق، ونوادر أبي عمر الشيباني، ونوادر أبي مسحل، بالإضافة إلى تلمذته لأعلم علماء عصره، ثعلب والمبرد وأخذ بملازمهما، أضف إلى ذلك بأن الزاهد قرأ كتب النوادر وسجل في حواشيها بعض التعليقات[٤].

كان اهتمام الزاهد في اللغة وحفظها جعله يبحث عن غريبها ونادرها، وقلة تداولها على ألسنة العرب، فأخذ يبحث عن هذه الألفاظ ويتعقبها، وصارت له

---

(١) معجم الأدباء: ١/٢٦٨.

(٢) انظر: أبو عمر الزاهد، حياته وآثاره: الصفحات ٢٤٦، ٢٤٨ وما بعدها.

(٣) الفهرست: ٨٣، تهذيب اللغة: ١٥/٦٩٢، معجم الأدباء ١٨/٢٣٢، إنباه الرواة: ٣/ ١٧٧، وفيات الأعيان: ٤/٣٣٠، الوافي بالوفيات: ٤/٧٢، مرآة الجنان: ٢/٣٣٧، كشف الظنون: ٢/١٩٨٠.

(٤) أبو عمر الزاهد، حياته، وآثاره: ٢٤١.

ذاكرة قوية في اللغة، ولكثرة سعة علمه اتهم بالكذب[١].

ويروي الأزهري أنه عثر على نسخة النوادر للزاهد، فقال في خاتمة كتابه: «تهذيب اللغة» «وأما النوادر التي رواها أبو عمر الزاهد وأودعها كتابه فإني تأملتها، وما عثرت منها على كلمة مصفحة أو لفظة مزالة عن وجهها أو محرفة عن معناها، ووجدت عظم ما أورده لأبي عمر الشيباني وابن الأعرابي وأبي زيد وأبي عبيدة محفوظاً في كتبهم المعروفة لهم، والنوادر التي رواها الثقات عنهم[٢]».

النوادر للقالي

كثيراً ما ارتبط كتاب النوادر بالأمالي، فحينما يذكر المترجمون من كتب القالي (الأمالي) فإنهم يلصقون معه النوادر، فيصبح (الأمالي والنوادر[٣])، وطبع النوادر مع الأمالي أكثر من مرة[٤].

نبه ناشر الكتاب إلى نهاية كتاب الأمالي وذيله بقوله: «كمل كتاب الذيل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويليه كتاب النوادر للإمام أبي علي القالي أيضاً رحمه الله[٥]».

ونوادر القالي هي أمشاج من أخبار متفرقة من حديث نبوي شريف، وقول لخليفة أو وفاة لآخر أو مختار من كلام العرب وحكمائهم وأشعارهم وخطبائهم، مقرونة بإثارة من فنون الموازنة وأطراف من غريب اللغة ونادرها، وقد تطول أخباره إلى أن تصل خمسة صفحات[٦] أو تكون قصيرة لا تتعدى خمسة أسطر[٧].

وأول ما بدأ به القالي نوادره بأخبار عروة بن حزام مع ابنة عمه عفراء وقصيدته النونية، ثم يتكلم القالي عن هذه الحادثة فيوردها، ثم تكلم عن قصيدة عروة النونية

(١) معجم الأدباء: ٢٣٢/١٨، إنباه الرواة: ١٧٧/٣.
(٢) تهذيب اللغة: ٦٩٢/١٥.
(٣) إنباه الرواة: ٢٠٥/١.
(٤) انظر الحديث عن أمالي القالي وطبعاته في مبحث كتب الأمالي.
(٥) ذيل الأمالي والنوادر: ١٥٥.
(٦) النوادر: ١٥٧ - ١٦٢.
(٧) المصدر نفسه: ١٦٨.

واختلاف الناس حولها ثم يأتي بالقصيدة[1]، وهكذا في بقية الأخبار الأخرى.

ضم نوادر القالي مجموعة كبيرة من أخبار ومحاورات ضمت موضوعات متفرقة، الأدبية منها واللغوية، ويطغى الجانب الأدبي من النوادر على الجانب اللغوي.

وطريقته كانت إملاء على الطلبة مثل كتابه (الأمالي) وكانت الأخبار التي يرويها مسندة إلى الرواة الثقات من اللغويين، والكتاب خال من الترتيب والتبويب وإنما يورد الأخبار كيفما اتفق فلا ربط بينهما، والظاهر أن القالي عندما كان يملي الدرس وينتهي منه ثم يعود في اليوم التالي بخبر جديد يختلف عن الأول، مثلاً حديثه عن جواب الإمام علي (رضي الله عنه) لمن سأله عن الإيمان[2]، بعدها تحدث عن وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي[3]، بعدها صيغة الصلاة على النبي (ﷺ) التي كان الإمام علي (رضي الله عنه) يعلمها أصحابه[4]، ثم تفسير حديث نبوي شريف[5]، وهكذا، وينتهي كتاب النوادر بقصيدة لابن دريد لبعض البغداديين، حيث جاء في نهاية الكتاب: «انتهى ما أملاه أبو علي من النوادر على مافي الأمالي صلة لها بحمد الله وعونه، وآخر ما جمعت من ذلك قصيدة رثى بها أبو بكر بن دريد لبعض البغداديين يقولها فيه تغمده الله برحمته ورضوانه[6]».

وبهذا يعد كتاب النوادر من أمهات الكتب العربية حيث وصفه ابن خلدون مع ما وصف من أمهات الكتب حيث قال: «سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي: كتاب الكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها[7]».

وقال عنه ياقوت الحموي: «قال أبو محمد بن حزم: كتاب نوادر أبي علي مبارٍ كتاب الكامل الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً[8]».

وتتجلى أهميته بكثرة الأخبار المروية فيه.

(١) المصدر نفسه: ١٥٧.
(٢) النوادر: ١٧١.
(٣) المصدر نفسه: ١٧١.
(٤) المصدر نفسه: ١٧٣.
(٥) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.
(٦) المصدر نفسه: ٢٢٢.
(٧) مقدمة ابن خلدون: ٥٥١.
(٨) معجم الأدباء: ٢٨/٧.

الفصل الثاني

كتب الموضوعات اللغوية المستقلة

غريب الحديث – المذكر والمؤنث –

المقصور والممدود – الاشتقاق –

الأضداد – خلق الإنسان –

الخيل – الأمثال – الأنواء

غريب الحديث

لم يكن التأليف في غريب القرآن وحده مثار اللغويين، بل أخذوا من الحديث النبوي الشريف مادة لدوران البحث عندهم، حيث كثر التأليف فيه على مر العصور، فتناولوه من حيث معرفة غرابة ألفاظه وكلماته وإعرابه.... وعلى طيلة القرون كان الحديث النبوي ركيزة أساسية استند عليها اللغويون في بحث لغة الحديث.

فأول من ألف فيه في القرن الرابع، هو أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري[١] (ت ٣٠٤ هـ) وأبو موسى الحامض[٢] (ت ٣٠٥ هـ)، وابن دريد[٣] (ت ٣٢١ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[٤] (ت ٣٢٨ هـ)، وقيل عنه أن أبا بكر ألفه في خمسة وأربعين ألف ورقة، وقد أملاه إملاءً، وابن درستويه[٥] (ت ٣٤٧ هـ) وأبو عمر الزاهد[٦] (ت ٣٥٤ هـ)، وهو كتاب لغوي صنفه الزاهد على الكلمات وعلى حروف المعجم[٧]، وقد اتخذ من سند الإمام أحمد بن حنبل مصدراً لاستخراج غريب الحديث. وقد ذكر الدكتور محمد جبار المعيبد أن كتاب أبي عمر الزاهد من أوائل كتب غريب الحديث المرتبة والمنتظمة على حروف المعجم ولم يسبقه أحد فيمن صنف في هذا الفن من التأليف اللغوي[٨].

ولم تصل إلينا هذه المجموعة من الكتب وضاعت مع ما ضاع من كتب التراث المفقودة.

---

(١) الفهرست: ٨١.

(٢) الفهرست: ٣٢، تاريخ بغداد: ٦١/٩، نزهة الألباء: ١٦٥، المنتظم: ١٤٥/٦، البداية والنهاية: ١٢٨/١١، النجوم الزاهرة: ١٩١/٣.

(٣) الفهرست: ٨٧.

(٤) ذكره أبو بكر الأنباري (المؤلف) في كتابه الزاهر: ٢٤٨/٢، وهو كتاب مطبوع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن، في بغداد ١٩٧٩ عن وزارة الثقافة والإعلام. وابن النديم: ٨٢، تاريخ بغداد ٣/ ١٨٣، معجم الأدباء: ٣١٢/١٨، إنباه الرواة: ٣٠٨/٣.

(٥) الفهرست: ٦٣، إنباه الرواة: ١١٣/٣، وفيات الأعيان: ٤٥/٣، مفتاح السعادة: ١/ ١٦٧.

(٦) الفهرست: ٨٧، إنباه الرواة: ١٧٢/٣.

(٧) إنباه الرواة: ١٧٢/٣.

(٨) أبو عمر الزاهد، حياته، آثاره: ٢٤٨.

المذكر والمؤنث

اهتم اللغويون بظاهرة التذكير والتأنيث في اللغة العربية، واهتموا أيما اهتمام بها، فكثرت فيها المؤلفات وتعددت، فمنهم من ألف كتاباً ضخماً، ومنهم من وضع رسالة وجيزة، فكانت هذه الظاهرة تلازم اللغويين في حياتهم، فمنهم من صرفها على وجوه (المذكر والمؤنث) في أجزاء معينة دون الدخول في تفاصيل هذه الظاهرة ومنهم من فصلها تفصيلاً. وانحصر اهتمامهم بصورة خاصة بالمؤنثات السماعية والقياسية.

وتذكر المصادر أن أول من ألف في المذكر والمؤنث في المائة الرابعة: المفضل بن سلمة (ت ٣٠٠ هـ)، وأبو محمد القاسم بن محمد الأنباري[١] (ت ٣٠٤ هـ)، وأبو موسى الحامض (ت ٣٠٥ هـ)، والزجاج[٢] (ت ٣١١ هـ)، وابن شقير[٣] (ت ٣١٧ هـ)، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد[٤] (ت ٣٢٠ هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، وأبو الطيب الوشاء [٥] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو الحسين الخزاز[٦] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، وابن درستويه[٧] (ت ٣٤٧ هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم[٨] (ت ٣٥٤ هـ)، وأبو

---

(١) الفهرست: ٨١، معجم الأدباء: ٣١٧/١٦، إنباه الرواة: ٢٨/٣، كشف الظنون: ٢/ ١٦٧.

(٢) نزهة الألباء: ١٦٧، وسماه الفرق بين المذكر والمؤنث.

(٣) الفهرست: ٩٠، نزهة الألباء: ١٦٧، معجم الأدباء: ١١/٣، بغية الوعاة: ٣٠٢/١، كشف الطنون: ١٤٥٧/٢.

(٤) الفهرست: ٩٠، معجم الأدباء: ٢٥١/١٨، إنباه الرواة: ٢٦٩/١، كشف الظنون ٢/ ١٤٥٧.

(٥) الفهرست: ٩٣، معجم الأدباء: ١٣٣/١٧، إنباه الرواة: ٦٢/٣.

(٦) الفهرست: ٩٠، نزهة الألباء: ١٨، إنباه الرواة ١٣٥/٢، كشف الظنون: ١٤٥٨/٢.

(٧) الفهرست: ٦٣، إيضاح المكنون: ٣٣٠/٢، هدية العارفين: ٤٤٦/١.

(٨) الفهرست: ٣٦، إنباه الرواة: ١٠٠/٣، بغية الوعاة: ٨٩/١، كشف الظنون: ١٤٥٧/٢٨.

الحسين سعيد إبراهيم البغدادي[1] (ت ٣٦٠ هـ)، وابن خالويه[2] (ت ٣٧٠ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ) وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

وقد وصلت إلينا من هذه الآثار ستة كتب، وهي للمفضل بن سلمة، ولأبي موسى الحامض، ولابن دريد، ولأبي بكر الأنباري، ولابن جني، ولابن فارس.

ما يذكر و يؤنث من الإنسان ومن اللباس لأبي موسى الحامض

وهي رسالة صغيرة[3]، تحدث فيها أبو موسى الحامض عما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان، وما يستعمله في اللباس.

منهجه

قسم أبو موسى الحامض رسالته على قسمين: تناول في القسم الأول أعضاء الإنسان ابتداء بالرأس وانتهاء بالكعب.

وطريقته في عرض المادة أن يورد العضو المراد شرحه، ثم يذكر أنه مذكر أو مؤنث ويذكر أيضاً العضو الذي يشترك فيه التذكير والتأنيث مثل: (والعين

(١) إيضاح المكنون: ٣٣٠/٢، هدية العارفين: ٣٨٩/١، وقد ذكر الدكتور رمضان عبد التواب نسخة منها في دار الكتب المصرية وهي ذيل لكتاب في اللغة مجهول المؤلف برقم ٣٤٣ لغة، وتقع رسالة المذكر والمؤنث في (١١) صفحة، في كل صفحة ٢٥ سطراً في المتوسط وفي كل سطر (١٣كلمة تقريباً) وقد رتبت كلماتها على نسق حروف المعجم، والرسالة فيها خرم مقداره ورقة، يبدأ من آخر الصاد إلى نهاية باب العين وأول المخطوطة: (قال سعيد بن إبراهيم التستري الكاتب: ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما، كما يدعي بعض الناس....). انظر: مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب: ٢٨.

(٢) الفهرست: ٨٤، معجم الأدباء: ٢٠٤/٩، إنباه الرواة: ٣٢٤/١، بغية الوعاة: ٥٢٩/٢، كشف الظنون: ١٤٥٧/٢.

(٣) حققها الدكتور إبراهيم السامرائي ونشرها في كتاب (رسائل في اللغة) وطبع في بغداد سنة ١٩٦٤ واحتل الصفحات ١٠٥- ١٠٨. وحققها أيضاً الدكتور رمضان عبد التواب ونشرها في كتاب (التذكير والتأنيث في اللغة) وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٧.

أنثى وربما ذكرت[١]).

وإذا ما رأى أن هناك علة أو شرحاً في التذكير والتأنيث فإنه يذكر ذلك مثل: (اللسان ذكر وربما أنث، يريدون الرسالة والقصيدة[٢]).

وإذا ما وجد حاجة للشرح فإنه يكتفي بذكر التأنيث والتذكير فقط، كما في قوله (المرفق: ذكر وأنثى[٣]).

وتناول في القسم الثاني بعض الألفاظ التي يستعملها الإنسان في اللباس كالقميص والدرع والطيلسان والعمامة والكساء وغيرها من اللباس، وطريقته في عرض المادة، أن يورد اللفظة ثم يذكرها إذا كانت ذكراً أو أنثى، أو تذكر وتؤنث، مثل: (الطيلسان: ذكر، العمامة: أنثى[٤]) (والقميص: ذكر فإذا أنثوه أرادوا درع الحديد[٥]).

واحتوت الرسالة على مجموعة من الألفاظ التي أوردها في أعضاء الإنسان فتناول سبعين كلمة وثلاث عشرة لفظة في اللباس، وبعد أن انتهى من ذكر أعضاء الإنسان ولباسه، تناول مجموعة من الكلمات اللغوية والآيات القرآنية وفسرها مستعيناً بأقوال العلماء والمحدثين.

مصادره

على الرغم من صغر الرسالة إلا أن أبا موسى الحامض استشهد بآيتين من القرآن الكريم[٦] وستة أبيات من الشعر[٧]، وبعض أقوال العرب[٨]، ومن اللغويين الذين استشهد بكلامهم أبو عمرو بن العلاء[٩]، والأصمعي[١٠].

المذكر والمؤنث لابن دريد

وهي منظومة شعرية نشرها عمر بن سالم[١١]، ضمن ديوان ابن دريد.

---

(١) (ط) الدكتور رمضان عبد التواب: ٢٦. (٢) المصدر نفسه: ٢٦.
(٣) المصدر نفسه: ٢٧.
(٤) المصدر نفسه: ٢٨- ٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ٢٨.
(٦) (ط) الدكتور رمضان عبد التواب ٢٩.
(٧) المصدر نفسه: ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠.
(٨) المصدر نفسه: ٢٧.
(٩) المصدر نفسه: ٢٩.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٩.
(١١) طبع الديوان في تونس سنة ١٩٧٣.

تناول ابن دريد في المنظومة الألفاظ المذكرة والمؤنثة على صيغة أبيات شعرية.

منهجه

كان منهجه في شرح المادة، أن يضع العنوان المراد التحدث عنه، ثم يأتي بالأبيات المتضمنة للموضوع.

قسم ابن دريد المذكر والمؤنث على ثلاثة أقسام هي:

١. ما يذكر من الأعضاء ولا يؤنث، فأوردها بستة عشر عضواً ونظمها في خمسة أبيات من الشعر وهي:

يا سائلاً عما يذكر في الفتى ... لا غيـــره عن صادق لك يخبر
رأس الفتى وجبينه ومـــقده ... والثغر منه و أنفه والمنـــخـــر
والبطن و الفم ثم ظفر بعده ... ناب و خد بالحيـــاة معصفـــر
والثدي والشبر المديد وناجذ ... والباع و الذقـــن الذي لا ينكر

أما البيت الخامس فقد تحدث عن الأعضاء التي تذكر ولا تؤنث فقال:

هـــذي الجوارح لا تؤنثها فما ... فيه لها حظ إذا ما تذكر

٢. ما يؤنث من الأعضاء ولا يذكر فأوردها بواحد وعشرين عضواً، ونظمها في أربعة أبيات من الشعر وهي(١):

الساق والأذن والفخذان والكبـــد ... والقتب والضلع العوجاء والعضد
والرجل والكف والعجز التي عرفت ... والعين والعقب المجد وله الأحـــد
والسن والكرش والفرثى إلى قـــدم ... من بعدها ورك معروفـــة ويـــد .
ثم الشمـــال ويمنـــاها وإصبعهـــا ... ثم الكـــراع ومنها يكمل العـــدد

وتناول في البيت الخامس عددها فقال(٢):

إحدى وعشرين لا تذكير يدخلها ... طرا وتأنيثها في النحو يعتقد

٣. ما يذكر من الأعضاء ويؤنث وعددها بثمانية كلمات، ونظمها في بيتين

(١) ديوان ابن دريد: ١٤٣.
(٢) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

من الشعر، فقد تناول في البيت الأول عددها بقوله(١):

وهذي ثماني جارحات عددتها تؤنث أحياناً وحيناً تذكر

أما الأبيات التي ذكر فيها الأعضاء التي تؤنث وتذكر هي(٢):

لسان الفتى والعنق والإبط والقفا وعاتقه والمتن والضرس يذكر
وعنـــد ذراع المرء تـــم حسابها فأنث وذكر أنـــت في ذا مخير
كذا كل نحوي حكى في كتـــابه سوى سيبويه فهو عنـــه مؤخر
يرى أن تأنيث الذراع هو الذي أتى ويرى التذكير في ذاك منكر

أما مجموعة ما أورده من الألفاظ هو خمسة وأربعون عضواً.

لم يستشهد ابن دريد بأقوال العلماء سوى سيبويه حيث ذكره في البيتين الأخيرين من المنظومة الشعرية.

اقتصر ابن دريد في حديثه على التذكير والتأنيث فيما يختصر به الإنسان فقط ولم يتطرق إلى أية لفظة خارجة عن أعضاء الإنسان.

المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري(٣)

يعد كتاب (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري أضخم كتاب في العربية عالج ظاهرة التذكير والتأنيث، يسعفه بذلك حفظه الواسع لعلوم العربية.

منهجه

قسم ابن الأنباري كتابه على مقدمة، وخمسين باباً.

تناول في المقدمة طريقة تأليفه الكتاب قال: (.... أنا مفسر في كتابي هذا إن شاء الله التأنيث والتذكير ومبين باباً باباً وأصلاً أصلاً، وفرعاً فرعاً، ومحتج على التأنيث والتذكير بأشعار العرب ولغاتها، وذاكر اتفاق أهل اللغة والنحو فيما اتفقوا فيه واختلافهم فيما اختلفوا فيه.... الخ(٤)).

فهذه المقدمة الموجزة وضحت لنا الكتاب بصورة تفصيلية توخاها أبو بكر

(١) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٣- ١٤٤.
(٣) حققه الدكتور طارق عبد عون الجنابي، وطبع في بغداد سنة ١٩٧٨.
(٤) المذكر والمؤنث: ٨٧.

الأنباري ليظهر كتابه بالكتاب القيم والمفصل لهذه الظاهرة.

أما طريقته في عرض المادة فهو التفصيل والشرح والتقصي وهذا ما لاحظته في حجم كتابه حيث بلغ عدد صفحاته المطبوعة سبعمائة وتسعاً وثلاثين صحيفة، وهو بذلك يكون أوسع كتاب في العربية في ظاهرة التذكير والتأنيث.

تناول ابن الأنباري في كتابه كل ما يتعلق بالتذكير والتأنيث في العربية ورتبه على الأبواب مفصلة بالشرح والشواهد، أما الأبواب التي ذكرها في كتابه فهي:

١. باب تفصيل الأسماء والنعوت المؤنثة وذكر ما يجري منها وما لا يجري.

٢. باب ذكر ما تدخله علامة التأنيث ولا تدخله من النعوت التي جاءت على مثال فاعل.

٣. باب ما يستوي فيه المذكر والمؤنث مما التأنيث في المؤنث منه غير حقيقي لازم.

٤. باب تسمية علامات المؤنث وذكر ما يدون منها في الأسماء والأفعال والأدوات.

٥. باب شرح المعلومات وتفصيلها.

٦. باب ما يذكر ويؤنث باتفاق من لفظه واختلاف من معناه.

٧. باب ما يذكر من أسماء الأعياد والأيام والغدوات والعشيات ويؤنث منهن.

٨. باب ما يكون للمذكر والمؤنث والجمع بلفظ واحد ومعناه في ذلك مختلف.

٩. باب ما يكون المذكر والمؤنث والاثنين والجميع باتفاق من لفظه ومعناه.

١٠. باب ما يذكر من الإنسان ولا يؤنث.

١١. باب ما يؤنث من الإنسان ولا يذكر.

١٢. باب ما يذكر من الإنسان ويؤنث.

١٣. باب ما يذكر ويؤنث من سائر الأشياء.

١٤. باب ما يذكر من سائر الأشياء ولا يؤنث.

١٥. باب ما يؤنث من سائر الأشياء ولا يذكر.

ويبدأ الجزء الثاني من الأبواب الآتية:

١٦. باب ما يذكر ويؤنث باتفاق من لفظه واختلاف من معناه، وباتفاق من لفظه ومعناه.

١٧. باب ما يقال بالهاء وبغير هاء.

١٨. باب ذكر أسماء السور وحروف المعجم وما يذكر منهن ويؤنث.

١٩. باب فعيل.

٢٠. باب ذكر ما يؤنث من أسماء البلاد ويذكر وذكر ما يجري منها وما لا يجري.

٢١. باب ما جاء من المؤنث من النعوت على مثال فعول.

٢٢. باب ما جاء من النعوت على مثال مفعل.

٢٣. باب ما جاء من النعوت على مثال مفعال.

٢٤. باب ما جاء من النعوت على مثال مفعّل ومفاعل وفيعَل وفيعِل.

٢٥. باب ما يذكر من أسماء القبائل والاسم ويؤنث ما يجري منهن ولا يجري.

٢٦. باب ما يذكر من الجمع ويؤنث.

٢٧. باب ما تدخله الهاء من نعوت المذكر والمصادر ومن نعوت المؤنث التي لم تبن على الفعل.

٢٨. باب ما يضاف من المذكر إلى المؤنث فيحمل مرة على لفظ المذكر فيذكر ومرة على لفظ المؤنث فيؤنث.

٢٩. باب ما جاء على مثال فعال من الأسماء والنعوت.

٣٠. باب المذكر الذي يجعل اسم (كان) ويجعل خبره مؤنثاً مقدماً عليه.

٣١. باب من نداء المذكر والمؤنث.

٣٢. باب ذكر أفعال المؤنث إذا لاصقتها وإذا فصل بينها وبينها بشيء.

٣٣. باب ذكر عدد المذكر والمؤنث.

٣٤. باب ذكر المعدول عن جهته من عدد المذكر والمؤنث.

٣٥. باب ذكر العدد الذي ينعت به المذكر والمؤنث.

٣٦. باب ثاني اثنين، وثانية اثنتين، وثالث ثلاثة، وثالثة ثلاث، وما أشبه ذلك.

٣٧. باب من المذكر والمؤنث.

٣٨. باب ما يحمل الفعل على لفظه فيذكر وعلى معناه فيؤنث.

٣٩. باب الجمع بين المذكر والمؤنث.

٤٠. باب من جمع المؤنث.

٤١. باب ما جاء على مثال: (فُعلٍ) و (فَعْلول) من نعوت المؤنث.

٤٢. باب ما جاء على مثال (فِعلل) و (فَعلل) و (فِعلٍ) و (فُعْل) و (فَعِلٍ) من نعوت المؤنث.

٤٣. باب ذكر تصغير الأسماء المؤنثة التي لا تظهر فيها علامة التأنيث.

٤٤. باب من تصغير الأسماء المؤنثة التي تظهر فيها علامة التأنيث.

٤٥. باب من تصغير الأسماء المؤنثة.

٤٦. باب ما جاء من النعوت على مثال فعلى.

٤٧. باب ذكر ما يؤمر به المذكر والمؤنث من: هات، وتعال، وهلم، وهاء.

٤٨. باب الإشارة إلى المذكر والمؤنث الغائبين.

٤٩. باب من المذكر والمؤنث.

٥٠. باب آخر من المذكر والمؤنث.

هذا هو التقسيم الذي اتبعه ابن الأنباري في كتابه وهو بذلك يقدم جهداً عظيماً وعملاً رائعاً متكاملاً.

فصل ابن الأنباري في كتابه ظاهرة التذكير والتأنيث في جوانبها المتعددة، ووضع له منهجاً سار عليه في تقسيمه للأبواب، شارحاً ذلك بالتفصيل، وتتبع هذه الظاهرة منتقلاً من الأصول إلى الفروع، وامتاز منهجه بدقة المعلومات التي أوردها، وتلاحظه يعرض آراء العلماء من كلا المدرستين البصرية والكوفية، مثل يونس وأبي حاتم السجستاني والأصمعي والفراء وغيرهم، إضافة إلى ذلك فهو يناقش تلك الآراء، ويرد عليها إذا لم يعتقد بصوابها ويرجح رأيه أو آراء النحاة في مسألة من المسائل.

اهتم ابن الأنباري في كتابه بلغات القبائل وأقوال العرب والعلماء، كما اهتم بالقراءات القرآنية وأوجه الاختلاف فيها، ويعرض اختلاف المذاهب في تفسير المصطلحات.

ومن المميزات الأخرى التي امتاز فيها كتابه هي كثرة الاستطراد، فيورد قصة في بيت شعري أو يفصل القول في مثل من الأمثال، ويشرح مفرداته بالتفصيل، فإذا بدأ بشرح لفظة أتى بأقوال العلماء فيها مستشهداً بالآيات القرآنية والقراءات إن وجدت، مثلاً يقول ابن الأنباري: «والكأس: مؤنثة، وكذلك الفأس، قال الله عز وجل: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ ﴾ [1]»، ويقال في الجمع: أكواس، وكؤوس، وكئاس، قال الفراء: الكأس: الإناء بما فيه فإذا أخذ ما فيه فليس بكأس، وقال بعض المفسرين: الكأس الخمرة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ ﴾ [2]، وأنشد أبو عبيدة:

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول، الأول

قال السجستاني: «لا يقال للموت كأس، إنما هو: الموت كأس[3]». وهكذا منهجه في بقيه الكتاب قائم على التفصيل والتحري.

مصادره

كثرت مصادر ابن الأنباري في كتابه، نظراً لسعة مادته، ووفرة مفرداته، فكان القرآن الكريم المصدر الأول الذي نهل منه، فبلغت الآيات «سبعاً ومائتي» آية قرآنية، إضافة إلى اثنتين وستين قراءة أما الحديث النبوي فاستشهاده به قليل قياساً لمادة الكتاب، فبلغ (اثنين وعشرين) حديثاً نبوياً شريفاً.

وكان للشعر العربي حظ وافر في الاستشهاد حيث ضمن كتابه ألفاً وواحداً وعشرين بيتاً من الشعر، لشعراء مختلفين، وفي حقب زمنية متباينة.

أما أقوال الفصحاء والأعراب والأمثال السائرة الأخرى، فقد استشهد ابن

---

(١) الصافات: الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) الدهر: الآية: ٥.

(٣) المذكر والمؤنث: ٤١١- ٤١٢.

الأنباري بجملة صالحة منها، حيث بلغت خمسين شاهداً.

وخلاصة القول فإن كتاب (المذكر والمؤنث) لابن الأنباري، يُعدُّ من أمهات الكتب اللغوية، التي جمعت هذه المادة الغزيرة، ثم درستها وأصبح مصدراً رئيساً نهل منه العلماء الذين جاءوا بعده[1].

المذكر والمؤنث لابن جني

نشره ريتر في مجلة (العالم الشرقي[2])، ثم نقلته عنها (مجلة المقتبس[3])، ونشرته في عددها الثامن[4] لسنة ١٩١٤.

منهجه

قسم ابن جني كتابه على مقدمة وثمانية وعشرين باباً.

تناول في المقدمة الحديث عن الألفاظ المؤنثة والتي لا يجوز تذكيرها وعددها ست وثمانون لفظة مختلفة بين أعضاء الإنسان وسائر الأشياء الأخرى، وينتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الألفاظ المذكرة التي لا يجوز تأنيثها، وعدد منها حوالي أربعين لفظة مختلفة بين أعضاء الإنسان وملابسه وسائر الأشياء الأخرى، ثم عرج على الألفاظ التي لا تنون في النكرة، ولا تدخلها علامة التأنيث، وتحدث عن الألفاظ التي تدخل فيها الهمزة للتأنيث فلا تكون زائدة بعد لام الفعل نحو (حمراء، صفراء) ولا يجوز عليها علامة التأنيث فلا تقول (حمراءة، صفراءة) كما تقول (صلاءة، عباءة)، وبعد ذلك تحدث عن الألفاظ المؤنثة التي في آخرها همزة زائدة بعد ألف لم يجز دخول هاء التأنيث عليه مثل (الظرفاء، أصدقاء، عاشوراء)، أما الأبواب التي قسمها ابن جني فكانت على حروف المعجم ابتداء بالهمزة وانتهاء بالياء.

نهج ابن جني منهجا علميا دقيقا خالف فيه مناهج اللغويين الذين ألفوا في هذا الموضوع خلال القرن الرابع الهجري ، وكان منهجه يعكس ثقافة ابن جني

---

(١) انظر المذكر والمؤنث: ٦٣- ٦٥.

(٢) كانت تصدر في مدينة (أوبسالة) من بلاد السويد. انظر مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة: ٢٩.

(٣) كانت تصدر في دمشق والقاهرة لمنشئها الأستاذ محمد كرد علي (ت ١٩٥٣).

(٤) من الصفحات: ٥١١- ٥١٥.

الواسعة ودرايته في اللغة.

رتب كتابه - كما قلنا على حروف المعجم - فجعل كل لفظة تبدأ بالحرف الأول ضمن الباب الذي صنفه مثلاً (باب السين: السراويل: مؤنثة، السلم: مذكر وربما أنث، السلم: الصلح، مؤنثة وربما ذكرت... إلخ).

طريقته في عرض المادة هي أن يذكر اللفظة المراد شرحها ويضعها في باب الحرف الأول ويذكرها إذا كانت مذكرة أو مؤنثة وإذا جاز الأمران كما في قوله: (البسر: يذكر ويؤنث).

اعتمد ابن جني في كتابه على ثقافته اللغوية الواسعة فلم نر رأياً لعالم من العلماء اقتبس منه ابن جني سوى قول لأبي علي الفارسي كما في باب الباء: (الباز: مذكر، ويقال: بأز وباز، أخبرني أبو علي أنه يقال: باز وجمعه بواز، وبزاة، وبأز، وثلاثته أبواز، فإذا كثرت فهي البيزان[1]).

ثم يذكر لغات بعض القبائل كما في باب الزاي، (الزوج: مذكر وهو يقع على الذكر والأنثى عند أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون زوجة[2]).

وأخيراً فالكتاب مختصر لتلك الألفاظ فالكلمة التي تحتاج إلى توضيح يوضحها، وإذا لم تحتج إلى ذلك يذكرها فقط من ناحية التذكير والتأنيث.

جمع في كتابه حوالي ثلاث ومائتي لفظة.

المذكر والمؤنث لابن فارس[3]

منهجه

سماه ابن فارس مختصر المذكر والمؤنث وصرح بذلك في مقدمته حيث قال: «هذا مختصر في معرفة المذكر والمؤنث، لا غنى بأهل العلم عنه لأن تأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، قبيح جداً[4]».

والهدف من تأليفه لكتابه هو الاختصار في عرضه لهذه الظاهرة.

---

(١) المذكر والمؤنث: ٥١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٥١١.

(٣) حققه الدكتور رمضان عبد التواب، وطبع في مصر سنة ١٩٦٩.

(٤) المذكر والمؤنث: ٤٦.

قسم ابن فارس كتابه على مقدمة وأحد عشر باباً، تناول في المقدمة علامات التأنيث وهي:

(الألف الممدودة، والألف المقصورة، والهاء).

وقد عزز كلامه بالأمثلة كما في قوله: «الألف الممدودة في مثل: السراء والضراء»، والألف المقصورة في مثل: (حُبارى وسُعدى)، والهاء في مثل: (قائمة، قاعدة).

أما الأبواب التي تضمنها كتابه فهي:

١. باب في العدد.

٢. باب في العدد يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة.

٣. باب الفصل بين الذكر والأنثى بالهاء.

٤. باب ما رُدَّ من مفعول إلى فعيل.

٥. باب يغلب فيه التذكير لأن وصفه في الذكران أكثر.

٦. باب في صفات المؤنث.

٧. باب في الجمع والواحد.

٨. باب شذ عن نظائره.

٩. باب تناول فيه الألفاظ التي يختلف مذكرها عن مؤنثها مثل: (رجل وامرأة) و (حمار وأتان).

١٠. باب تقديم فعل المؤنث.

١١. باب جمع فيه الألفاظ من حيث وجوب التأنيث أو التذكير أو جواز الأمرين.

وطريقته في عرض مادته أن يأتي باللفظة المراد شرحها ويضعها في باب من الأبواب التي قسمها ثم يبدأ بشرحها وتوضيحها من ثبات أفكاره متوخياً في ذلك الاختصار والإيجاز، ونادراً ما يستشهد بآراء العلماء أمثال شيخه علي بن إبراهيم القطان[١]، الذي ذكره في أكثر من موضع بالإضافة إلى ورود ثعلب[٢]، وابن

---

(١) انظر المذكر والمؤنث: ٤٧، ٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ٦٢.

السكيت[١]، وأبي زيد[٢] في مواضع قليلة.

مصادره

تميز الكتاب بحضور المؤلف وشخصيته العلمية، فكانت أحكامه اللغوية هي السائدة في كتابه، فلذلك نجد قلة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والشعر والأمثال، وقد أشار إلى الآيات القرآنية في سبعة مواضع، وإلى الحديث النبوي الشريف في موضعين وموضع واحد لكل من الأمثال وأقوال العرب، وأربعة شواهد من الشعر[٣].

على الرغم من صغر كتاب المذكر والمؤنث لابن فارس، فإنه ذو مادة علمية غزيرة وهذا ما أكده الباب الأخير منه والتي أربت على مائة وخمسين كلمة ذكر فيها وجوب التأنيث والتذكير أو جواز الأمرين، ومعظم تلك الألفاظ من المؤنثات السماعية التي تخلو من علامات التأنيث المختلفة ويلتبس فيها الأمر على الناس.

كما في قوله: «والعين التي يبصر بها مؤنثة، وعين الماء مؤنثة، وعين السحاب مؤنثة، يقال: «أصابتهم عين منكرة»، وعين الركيَّة، مؤنثة يقال: «جئتك بالخبر من عين صافية» أي أتيتك على نصه[٤]».

وقال أيضاً: «والصراط: مذكر، والهدى: مذكر في سائر اللغات[٥]».

أما الألفاظ التي تذكر وتؤنث فأوردها أيضاً ووضح ذلك فقال: «والسلاح: يذكر ويؤنث، الطاغوت: يذكر ويؤنث[٦]». وهكذا في بقية الألفاظ الأخرى، وختم كتابه في أسماء البلدان والقبائل وغيرها من حيث التذكير والتأنيث، فقال: «وأسماء البلدان أكثرها مؤنثة، لأنك تقصد إلى أرض أو بلدة أو بقعة، و واسط: مذكر لأنه اسم مكان وسط بين الكوفة والبصرة. وأسماء القبائل: لـعل أكثرها مؤنثة وسبأ: مذكر، وأسماء السور: مؤنثة، وحروف المعجم: تؤنث وتذكر[٧]».

(١) المصدر نفسه: ٤٧.
(٢) المصدر نفسه: ٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ٦٧.
(٤) المذكر والمؤنث: ٥٥.
(٥) المصدر نفسه: ٥٨.
(٦) المصدر نفسه: ٦٠.
(٧) المصدر نفسه: ٦٢.

كتب المقصور والممدود

بدأ التأليف في موضوع المقصور والممدود بداية مبكرة، منذ أن ألف العلماء بفنون العربية، وقد أسهم اللغويون على مر العصور المختلفة في إبراز هذه الظاهرة اللغوية لحاجة الناس إليها في كلامهم.

وتشير المصادر إلى أن أول من ألف بهذا القرن في المقصور والممدود هو القاسم بن محمد الأنباري[١] (ت ٣٠٤ هـ)، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى اليزيدي[٢] (ت ٣١٠ هـ)، والزجاج[٣] (٣١٠ هـ)، وأبو بكر أحمد بن شقير[٤] (ت ٣١٧ هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، وأبو عبد الله نفطويه (ت ٣٢٣ هـ)، وأبو الحسين الخزاز[٥] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو الطيب الوشاء (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[٦] (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد[٧] (ت ٣٢٩ هـ)، وأبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ)، وابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن بن مقسم[٨] (ت ٣٥٤ هـ)، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦ هـ)، وأبو الحسين سعيد بن إبراهيم البغدادي[٩] (ت ٣٦٠ هـ)،

(١) الفهرست: ٨١، معجم الأدباء: ٣١٧/١٦، إنباه الرواة: ٢٨/٣، بغية الوعاة: ٢٦١/٢.
(٢) إنباه الرواة: ٢٤٠/٣.
(٣) كشف الظنون: ١٤٦١/٢، هدية العارفين: ٥/١.
(٤) نزهة الألباء: ١٧١، معجم الأدباء: ١١/٣، بغية الوعاة: ٣٠٢/١، كشف الظنون: ٢/ ١٤٦٢.
(٥) الفهرست: ١٢٨، نزهة الألباء: ١٨١، إنباه الرواة: ١٣٥/٢، كشف الظنون ١٤٦١/٢.
(٦) الفهرست: ١١٨، فهرسة ابن خير: ٣٥٤، ومعجم الأدباء: ٣١٣/١٨، إنباه الرواة: ٢٠٨/٣، بغية الوعاة: ٢١٤/١، مفتاح السعادة: ١٨٢/١، كشف الظنون: ١٤٦٢/٢، وقد ذكر أستاذنا الجليل رمضان عبد التواب أن من الكتاب اقتباسات في خزانة الأدب/ ١٢٤/١، وشرح شواهد الشافية: ٣٨٦/٤، وعلى هامش الخزانة: ٥١٣/٤، ٥٨٨/٤، انظر الممدود والمقصور للوشاء ص٢٠.
(٧) الفهرست: ١٢٧، معجم الأدباء: ٢٥٠/١٨، إنباه الرواة: ٢٦٩/١، ١٨٤/٣.
(٨) معجم الأدباء: ١٥٣/١٨، بغية الوعاة: ٨٩/١، طبقات المفسرين: ١٢٨/٢، كشف الظنون: ١٤٦٢/٢، هدية العارفين: ٤٨/٢.
(٩) ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست ١٩٩ على أنه على حروف المعجم، كما ذكره =

وابن خالويه[١] (ت ٣٧٠ هـ)، وأبو علي الفارسي[٢] (ت ٣٧٧ هـ)، وأبو الحسن علي بن أحمد المهلبي (ت ٣٨٥ هـ)، قال عنه الدكتور رمضان عبد التواب: «إنه لم يذكره أحد ممن ترجم له، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة دامادزاده باستنبول برقم (١٧٦٥)، في (١٩٢) ورقة من حجم الثمن ومسطرتها (١٣) سطراً، وصفها ريشر وقال عنها إنها مكتوبة بالخطِّ النسخي الكبير المشكول[٣]».

وألف في المقصور والممدود أيضاً في هذا القرن ابن جني[٤] (ت ٣٩٢ هـ)، لم يصل إلينا من هذه المجموعة سوى ستة كتب منها هي: لابن دريد ولنفطويه لأبي الطيب الوشاء لأبي عمر الزاهد لابن درستويه، ولأبي علي القالي.

المقصور والممدود لابن دريد[٥]

وهي أرجوزة شعرية تناول فيها ابن دريد، الكلمات الممدودة والمقصورة، وجعلهما في بيت واحد.

منهجه

قسم ابن دريد أرجوزته في المقصور والممدود على سبعة عناوين، هي:

١. ما يفتح أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف، وعدد أبياتها ثلاثة وثلاثون بيتاً[٦].

صاحب إيضاح المكنون: ٥/٣٣٥، ثم في هديه العارفين: ١: ٣٨٩.

(١) الفهرست: ٨٤، معجم الأدباء: ٩/٢٠٤، إنباه الرواة: ١/٣٢٥، وفيات الأعيان: ٢/ ١٧٩، بغية الوعاة: ١/٥٣٠، كشف الظنون: ٢/ ١٤٦٢.

(٢) نزهة الألباء: ٢١٦، إنباه الرواة: ١/٢٧٤، وفيات الأعيان: ٢/٨١، بغية الوعاة: ١/ ٤٩٧، كشف الظنون: ٢/١٤٦٢.

(٣) الممدود والمقصور للوشاء: ٢٢.

(٤) معجم الأدباء: ١/١١٠، إنباه الرواة: ٢/٣٣٦، وفيات الأعيان: ٤/٢٤٧، بغية الوعاة: ٢/١٣٢، كشف الظنون: ٢/١٤٦٢، وذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء في إجازة ابن جني لأبي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن نصر قوله: (وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة).

(٥) نشرها عمر بن سالم، ضمن ديوان ابن دريد، وطبع في تونس سنة ١٩٧٣.

(٦) ديوان ابن دريد: ١٣٦.

٢. ما يكسر أوله فيقصر ويمد والمعنى مختلف وعددها ثمانية أبيات[١].
٣. ما يكسر أوله فيقصر ويفتح فيمد، والمعنى واحد وعددها سبعة أبيات[٢].
٤. ما يضم أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد وعدد منها بيتاً واحد[٣].
٥. ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى واحد وعدد منها ستة أبيات[٤].
٦. ما يفتح أوله فيقصر ويكسر فيمد والمعنى مختلف وعدد منها بيتاً واحداً[٥].
٧. ما يضم أوله فيقصر ويفتح فيمد، والمعنى مختلف وعدد منها بيتاً واحداً[٦].
٨. أما طريقته في عرض المادة: أنه يأتي باللفظة، ويستعملها مرة في المقصور ومرة في الممدود، وفي البيت نفسه، وعدد الأبيات التي ذكرها في المقصور والممدود، هي سبعة وخمسون بيتاً.

المقصور والممدود لنفطويه[٧]

منهجه

قسم نفطويه كتابه على مقدمة واثنين وعشرين باباً، تكلم في المقدمة على أحكام معتل الآخر من الأفعال والأسماء والمصادر، وبعد أن انتهى من الكلام عن أحكام المعتل تكلم عن الهمز والمقصور والممدود وكل منها تناوله بالتعريف والتمثيل، ففي باب الهمز قال: «اعلم أن الأفعال المهموزة كتابتها بالألف إذا كانت على ثلاثة أحرف أو أربعة أحرف في كل حال من الثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك[٨]»، ثم تناول بعد ذلك المقصور فيقول: «اعلم أن المقصور كله لا يقع عليه رفعٌ ولا نصب ولا خفض ويقع التنوين على ما كان منه منصرفاً[٩]».

ويقول في الممدود: «فأما الممدود فيجري عليه الإعراب[١٠]».

(١) المصدر نفسه: ١٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٦) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٧) حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود، ونشر في القاهرة سنة ١٩٨٠.
(٨) المقصور والممدود ٢٨.
(٩) المصدر نفسه: ٣١.
(١٠) المقصور والممدود: ٣١.

وبعد أن انتهى من التعريف قسم المقصور والممدود على أبواب فجعل الممدود بتسعة أبواب، والمقصور بثلاثة عشر باباً، ومنهجه في الكتاب هو أن يورد الألفاظ التي تدخل ضمن الباب المراد شرحه ولكن لا يسير على خطة واحدة، وإنما يتفاوت شرحه من باب لآخر ففي باب من المقصور يكتب بالألف يورد الألفاظ دون شرحها أو التعليق عليها مثل«المنايا والحشايا والخطايا والبغايا......الخ[١]».

ثم يفصل في باب من المقصور مضموم الأول - منصرف، «السرى: السَّير بالليل، والعرى: جمع عروة، والزبى: حفرة الأسد....إلخ[٢]».

وهكذا في بقية الأبواب الأخرى.

مصادره

لم يعتمد النقل من اللغويين الذين سبقوه، حيث لم نعثر على أي قول من أقوالهم، أما بالنسبة للآيات القرآنية فإنه استشهد بثلاث آيات فقط الأولى كانت في المقدمة عند حديثه عن الأفعال المقصورة التي تكتب بالياء[٣]، والثانية في الباب المقصور الذي يكتب بالألف وهو منصرف[٤].

والثالثة في باب المقصور الذي يكتب بغير ياء إذا حسن فيه التنوين[٥]، واستشهد في بيتين من الشعر، الأول كان في باب الهمز[٦]، والآخر في باب المقصور والذي يكتب بالألف وهو منصرف[٧]، أما شروحه الواردة في الكتاب فهي مقتضبة ويعزز الشرح بكثير من آراءه وثقافته اللغوية.

ويعد كتاب المقصور والممدود لنفطويه من الكتب المهمة التي حصر فيها نفطويه الألفاظ المقصورة والممدودة، في كتاب واحد جامع لهما.

---

(١) المصدر نفسه: ٤٠.
(٢) المصدر نفسه: ٤١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ٤٠.
(٥) المقصور والممدود: ٤٤.
(٦) المصدر نفسه: ٣٠.
(٧) المصدر نفسه: ٤٠.

الممدود والمقصور لأبي الطيب الوشاء[١]

أسهم أبو الطيب الوشاء مع غيره من اللغويين في التأليف في ظاهرة المقصور والممدود في العربية، وأراده أن يكون مختصراً، مفيداً لطالبي اللغة.

منهجه

يتألف الكتاب من مقدمة وسبعة أبواب، تكلم في المقدمة عن المقصور والممدود فقال: «اعلم أن الممدود كله يكتب بالألف لا اختلاف فيه ويجرى عليه الإعراب في الرفع والنصب والخفض، إذا كان منصرفاً ويدخله التنوين[٢]».

وبعد أن انتهى من الحديث عن الممدود تحدث عن المقصور بقوله «وأما المقصور فلا يدخله رفع ولا نصب ولا خفض ويستوي فيه لفظ ذوات الواو والياء وينون ما كان منصرفاً[٣]».

تناول بعد ذلك الحديث عن الممدود القياسي والمقصور القياسي معززاً كلامه بالأمثلة، ثم الممدود السماعي والمقصور السماعي مؤيداً ما يذهب إليه بالأمثلة أيضاً وبعد المقدمة يبدأ الوشاء تقسيمه على أبواب ، هي:

١. باب المقصور الذي يدرك بالقياس والعلامات.

٢. باب الممدود المفتوح الأول الذي له نظير من المقصور يتفق لفظاهما ويختلف معناهما.

٣. باب الممدود المكسور الأول الذي له نظير من المقصور يتفق لفظاهما ويختلف معناهما.

٤. باب الممدود المفتوح الأول الذي له نظير من المقصور، يتفق لفظاهما ويختلف معناهما.

٥. باب الممدود المكسور الأول الذي له نظير من المقصور يتفق لفظاهما ويختلف معناهما.

٦. باب الممدود المكسور الأول الذي له نظير من المقصور مفتوح الأول

---

(١) حققه الدكتور رمضان عبد التواب، وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٩.

(٢) الممدود والمقصور: ٢٩.

(٣) الممدود والمقصور: ٣٠.

يتفقان في الخط ويختلفان في اللفظ والمعنى.

٧. باب من المهموز الذي له نظير من المقصور يتفقان في الخط ويختلفان في اللفظ والمعنى.

وطريقته في عرض المادة، هو أن يذكر الباب سواء من الممدود أم من القصور ثم يتحدث عن أنواعه مثلاً: «باب الممدود المكسور الأول الذي له نظير من المقصور يتفق لفظاهما، ويختلف معناهما، وهو على وجهين: النداء من الصوت والندى من الشيء الندي مقصور يكتب بالياء، لأن التثنية نديان[١]»، وهكذا في بقية الأبواب الأخرى.

أورد الوشاء في كتابه (الممدود والمقصور) كثيراً من أمثلة الممدود والمقصور مراعياً التشابه في اللفظ والاختلاف في المعنى، أو الاختلاف في اللفظ والمعنى جميعاً.

استطاع الوشاء في كتابه حصر الألفاظ الممدودة والمقصورة معتمداً في شرحها على أحكامه اللغوية فنراه لا يستشهد بأقوال العلماء باستثناء موضع واحد فقط، عندما استشهد بكلام الفراء[٢]، وكذلك الحال بالنسبة إلى القرآن الكريم، فكان استشهاده بآية قرآنية واحدة فقط[٣]، أما الشعر فقد استشهد بثمانية أبيات في مواضع مختلفة من الكتاب[٤].

المقصور والممدود لأبي عمر الزاهد[٥]

والكتاب يخلو من المقدمة ومن ذكر السند، يبدأ أبو عمر الزاهد كتابه بالبسملة، ويذكر بعدها الكلمات المقصورة، ثم يذكر معنى الكلمة التي تحتاج إلى

(١) الممدود والمقصور: ٤٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥، والآية القرآنية هي: ﴿ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (سورة النجم، الآية: ٥).
(٤) انظر فهرس الأبيات ص٦٣.
(٥) حققه الدكتور محمد جبار المعيبد، ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد العشرين) الجزء الثاني، تشرين الثاني سنة ١٩٧٤. وحققه ثانية الدكتور عبد الحسين الفتلي ونشره في مجلة كلية أصول الدين – العدد الأول – سنة ١٩٧٥ في بغداد.

ذلك.

منهجه:

قسم أبو عمر الزاهد كتابه على قسمين: الأول: الألفاظ المقصورة التي تكتب بالياء وعدد منها إحدى وأربعين لفظة.

الثاني: الألفاظ المقصورة التي تكتب بالألف وعدد منها إحدى عشرة لفظة. وبعد أن انتهى من المقصور، بدأ بالممدود وقسمه على ستة أقسام هي:

١. أسماء ممدودة وعلى ألفاظها مقصورة مختلفة المعاني، تناول منها ثماني عشرة لفظة.

٢. حروف المد المستعمل المحفوظ الأول، وعدد منها أربعاً وخمسين لفظة.

٣. الممدود المفتوح الأول، وفيها ثمان وأربعين لفظة.

٤. الممدود المضموم الأول، ويضم ست عشرة لفظة.

٥. ما يمد ويقصر فإذا قصر كتب بالياء، ويضم تسعة ألفاظ.

٦. ما يقصر فإذا غير بعض حركات بنائه مُدَّ، ويضم تسع عشرة لفظة.

تناول تحت كل عنوان الألفاظ الممدودة مع معناها وتناول في العنوان الأول الألفاظ المقصورة والممدودة المتشابهة في اللفظ والمختلفة في المعنى مثلاً: «هواء الجو: ممدود، وكذلك الرجاء، من الطمع[1]....»، وتناول في المقصور الألفاظ نفسها: «هوى النفس، ورجاء البير[2]...».

مصادره

الرسالة خالية من شواهد القرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر وكلام العرب، وكذلك لم يستشهد بقول أي عالم من العلماء الذين تتلمذ عليهم المؤلف باستثناء قول واحد لأبي موسى الحامض في لفظة الطلاء، حين قال: «والطلاء: الشراب، قال أبو موسى في شعر عبيد مقصور هي الخمر تكنى الطلى[3]».

وكان أبو عمر يميل كثيراً في شرحه للفظة إلى أحكامه اللغوية، قد اعتمد

(١) المقصور والممدود: ط الفتلي: ١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦١.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٣.

على كتابي الفراء وابن درستويه في الموضوع ذاته وإن لم يصرح بذلك.

شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال على حروف المعجم لابن درستويه

تختلف هذه الرسالة عن بقية ما ألف في المقصور والممدود[١]، لأن مؤلفها خص الأسماء والأفعال المقصورة التي تكتب بالياء، دون استعماله للألفاظ الممدودة فصرف تأليفه في المقصور فقط.

منهجه

قسم ابن درستويه رسالته على مقدمة وثمانية وعشرين باباً.

تناول في المقدمة شرح المقصور من الأسماء والأفعال من حيث الحركات والحروف، وما يتعلق بأصل الألف المقصورة إذا كانت واواً أو ياءً وبعد أن انتهى من المقدمة وبين غرضه من تأليف كتابه، تناول المقصور من الأسماء والأفعال مرتباً الأبواب على حروف المعجم فبدأ بالألف وانتهى بالياء.

وطريقته في عرض المادة، أن يأتي باللفظة المراد شرحها سواء أكانت فعلاً أم اسماً، فإذا كانت اللفظة فعلاً، بين نوع الفعل ثم شرحه كقوله: «كرى: فعل ماض من كري الأنهار، والكرى: النوم[٢]».

وقوله أيضاً: «خلى فعل ماض من قولك: خليت الحشيش، أي قطعته وقلعته، ويقال أيضاً: خليته بالسيف والخلى: اسم الحشيش الذي يختلى[٣]».

أما إذا كانت اللفظة اسماً فيأتي معناها مثلاً: «الردى: الهلاك، وهو مصدر قولك ردى يردى[٤]».

وإذا كانت اللفظة تحتاج إلى شرح أكثر بينها وبين اللغات المستعملة فيها

---

(١) حققها الدكتور عبد الحسين الفتلي ونشرها في مجلة كلية الآداب — بغداد — العدد السابع عشر لسنة ١٩٧٣.

(٢) شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال: ١٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٠.

(٤) شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال: ١٦١.

كقوله: «الصغى: الميل، يقال: صغاة مع فلان، وفيه لغتان[١]».

اعتمد في شرحه للألفاظ على ثقافته حيث لم يستشهد بأحد من العلماء.

بلغت الألفاظ الواردة في رسالته أكثر من خمسة وسبعين فعلاً وأكثر من أربعين اسماً.

مصادره

استشهد بالآيات القرآنية حيث بلغت ثماني آيات واستشهد باثني عشر بيتاً من الشعر، وبيتين من الرجز.

على الرغم من صغر الرسالة إلا أنها ضمت في ثناياها مادة لغوية غزيرة، اقتصر فيها على المقصور من الأسماء والأفعال الثلاثية فقط، وقد رتبت ترتيباً جيداً، وقد أحسن مؤلفها صنعاً حينما رتبها على حروف المعجم وعلى الحرف الأول من الكلمة.

المقصور والممدود لأبي علي القالي[٢]

عالج أبو علي القالي ظاهرة المقصور والممدود، على ترتيب التفعيلة ومخارج الحروف، وهو بهذا الصنيع فإنه يختلف عن غيره من اللغويين الذين درسوا المقصور والممدود.

نشر أحمد هريدي مقدمة الكتاب[٣] في ست صفحات وتكلم عن كتاب المقصور والممدود للقالي، وتراث المقصور والممدود في اللغة العربية، وتناول آراء العلماء اللغويين في تعريفهم لهذا الفن فذكر رأي ابن دريد، وابن خالويه، وابن جني وغيرهم، كذلك ذكر هريدي أسماء العلماء الذين ألفوا في المقصور والممدود من الذين سبقوا القالي، أو الذين تأخروا بعده حسب التسلسل الزمني، ثم أشار إلى الكتاب المطبوع أو المخطوط، كذلك وضع فهرساً لكتاب القالي في

(١) المصدر نفسه: ١٦٣.

(٢) حققه أحمد عبد المجيد هريدي، ونال فيه درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣، والرسالة لم تطبع بعد.

(٣) نشرها في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد العشرون – الجزء الثاني-) الصادر في تشرين الثاني سنة ١٩٧٤، في الصفحات (٤٩- ١٣٠).

المقصور والممدود.

منهجه

قسم القالي كتابه على مقدمة وقسمين، تناول في المقدمة خطبة الكتاب، ثم أهمية المقصور والممدود للكتاب والشعراء والخطباء، ذاكراً سبب تأليفه فقال: «فإن مما بعثني عليه وأمرني به تأليف هذا الكتاب، الذي لا يستغني عنه العالم المبرز ولا الأديب المتقدم، ولا الكاتب المرسل، ولا الخطيب المسلق ولا الشاعر المفتق، إذ كل طائفة ممن ذكرنا محتاجة إلى معرفة الممدود والمقصور للفظ والخط[١]».

رتب القالي كتابه على مخارج الحروف حيث ذكر ذلك في المقدمة: «فوجب أن نضعه على الأمثلة ونؤلفه على الحروف على ما رسم أيده الله، ولا نعتمد في ذلك إلا على أوائل الكلم دون حشوها وأواخرها[٢]».

كان الترتيب الذي سار عليه هو بأقصى الحروف مخرجاً ثم الذي يليه ثم الذي يليه إلى أن ينتهي إلى آخر الحروف، فجعل الهمزة أقصى الحروف، والواو أدناها.

بين القالي الضوابط القياسية للألفاظ المقصورة، ثم تبع ذلك بضوابط تثنية المقصور مبينا ذلك بالأمثلة وعلى الحركات فقال: «وأن نبتدي من الأمثلة بالثلاثي، لأن عليه جمهور الكلام، وبالمفتوحة الأوائل لأن الفتحة أخف الحركات، إذ لا يتكلف المتكلم لها إلا فتح الفم الذي لا بد للناطق منه، دون استعمال عضو، ولأنها أكثر، ثم بما حركات أوائلها الكسرات، لأن الكسرة دون الضمة في الثقل، إذ يستعمل لها عضو واحد، ثم بما حركات أوائلها الضمات لأن الضمة أثقل الحركات، إذ يستعمل لها عضوان[٣]».

خصص القالي القسم الأول من الكتاب للمقصور من الألفاظ، فقسمه على المقصور مفتوح الأول، فالمقصور مكسور الأول، فالمقصور مضموم الأول، ثم

(١) المقصور والممدود: ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٠.

المقصور مهموز الأول، ثم ما يمد ويقصر من الألفاظ مستعملاً الترتيب السابق مفتوح الأول، مكسور الأول، مضموم الأول، وبعد نهاية تقسيم المقصور أورد بعض أحرف النوادر نقلها عن صاحب كتاب العين وعن ابن دريد وقسمها على التفصيلات مراعياً الحركات التي قسمها في المقصور.

وخصص القسم الثاني من الكتاب للممدود من الألفاظ، وقسم الممدود على الأقسام الخاصة بالمقصور، وقسمه على الممدود المفتوح فالممدود المكسور، فالممدود المضموم وختم كتابه بنوادر الممدود ذكرها صاحب كتاب (العين) وابن دريد، بالإضافة إلى تناوله الألفاظ المقصورة والممدودة ما كان اسماً وصفةً.

إنفرد القالي بمنهجه في المقصور والممدود عن بقية الكتب الأخرى التي ألفت في هذا القرن، فهو الكتاب الوحيد الذي تناول مؤلفه الألفاظ المقصورة والممدودة على مخارج الحروف.

مصادره

ضم الكتاب ألفاً وخمسمائة وأربعاً وأربعين لفظةً للمقصور والممدود مقسمة على الأبواب، واستشهد بمائة وعشر آيات من آي القرآن الكريم، وخمسة وأربعين حديثاً نبوياً شريفاً، وألف وتسعمائة وخمسة عشر بيتاً من الشعر، ومائة وأربعة وسبعين مثالاً وقولاً، ثم استشهد بما كان اسماً لا غير وبما كان صفة لا غير وبما كان منها صفة واسماً، فعدد خمسة وثلاثين اسماً وثلاثة عشر اسماً وصفة وتسع صفات(١).

نقل القالي في كتابه آراء العلماء اللغويين أمثال: أبي زيد والفراء والأصمعي وابن السكيت وغيرهم(٢).

يمتاز كتاب أبي علي القالي بسعة مادته اللغوية قياساً إلى الكتب التي ألفت في هذه الظاهرة، فجاء كتابه شاملاً للألفاظ والكلمات بالإضافة لآراء العلماء فيه، فنقل لنا آراء اللغويين من كتبهم المفقودة ووثق كلامهم بذلك وهناك ميزة

(١) المقصور والممدود: ١٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٣.

أخرى امتاز بها كتابه هي سعة المادة المروية فيه من ناحية، وترتيب الكتاب على التفعيلة ومخارج الحروف ابتداء من حروف الحلق، من ناحية ثانية.

الاشتقاق

أشغل الاشتقاق اللغويين، فاهتموا به، فمنهم من ألف فيه كتاباً تناوله بالتعريف وذكر أنواعه، ومنهم من أفرد له رسالة صغيرة، وقد تفننوا في تقسيمه وأنواعه، فمنهم من قسمه على الاشتقاق الكبير والاشتقاق الصغير، ومنهم من أنكر وجوده في العربية، فألف فيه مؤلفات ذكر فيها حجته مثل: إبراهيم بن عرفة المعروف بنفطويه[١].

وأول من ألف في هذا القرن في الاشتقاق أبو إسحاق الزجاج[٢] (ت ٣١٠ هـ)، وابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، وابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، وأبو بكر السجستاني[٣] (ت ٣٣٠ هـ)، وسماه (معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن)، والزجاجي (ت ٣٣٧ هـ)، وابن درستويه[٤] (ت ٣٤٧ هـ)، وابن خالويه[٥] (ت ٣٧٠ هـ)، وعلي بن حمزة البصري[٦] (ت ٣٧٥ هـ)، وأبو الحسن الرماني[٧] (ت

(١) الاشتقاق لابن السراج: ٣١، إنباه الرواة: ١/١٧٨.

(٢) الفهرست: ٦٦، معجم الأدباء: ١/١٥٩، إنباه الرواة: ١/١٦٥، وذكره السيوطي في كتابه المزهر ونقل منه نصاً: (قال الزجاج: الاشتقاق الأكبر، مما ذكره الزجاج في كتابه قال: قولهم: شجرت فلاناً بالرمح تأويله جعلته فيه كالغصن في الشجرة)، المزهر: ١/٣٥١، ٣٥٤.

(٣) ذكره بروكلمان: ٢/٢١٦، وذكر مكان وجوده فقال: (مخطوط الاسكوريال ثاني ١٣٢٦) ويعمل طالب في المملكة العربية السعودية على تحقيقه. أخبرني بذلك الدكتور عبد الله الجبوري في أثناء عمله في السعودية.

(٤) الفهرست: ١٠١، وذكره الدكتور عبد الله الجبوري في تصحيح الفصيح: ١/٢٩٤.

(٥) الفهرست: ٩٢، معجم الأدباء: ٩/٢٠٤، إنباه الرواة: ١/٣٢٤، كشف الظنون: ٢/ ١٣٩١، وهناك كتابان آخران في الاشتقاق لابن خالويه الأول اسمه (اشتقاق ابن خالويه) ذكره ياقوت في معجم الأدباء: ٩/٢٠٤، والسيوطي في بغية الوعاة: ١/٥٢٩، وأعيان الشيعة: ٢٥/٢٨، والكتاب الآخر اسمه (اشتقاق الشهور والأيام).

(٦) وفيات الأعيان: ١/٦٢٨، وبروكلمان: ٢/١٦٧ نقلاً عن وفيات الأعيان.

(٧) له كتابان في الاشتقاق الأول: (الاشتقاق الكبير) والآخر (الاشتقاق الصغير)، =

٣٨٣ هـ)، ومحمد بن محمد الصبحي، وابن جني[1] (ت ٣٩٢ هـ)، تحدث عنه في كتابه (الخصائص)، وابن فارس[2] (ت ٣٩٥ هـ)، في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة)، وقد وصل إلينا من هذه المجموعة كتب (ابن السراج، وابن دريد، والزجاجي، والصبحي).

الاشتقاق لابن السراج[3]

وصل إلينا خالياً من سند الرواية، ويبدأ بقوله: «قال أبو بكر بن محمد السري رحمه الله».

منهجه

بدأ ابن السراج كتابه بمقدمة وجيزة، تحدث فيها عن الاشتقاق ثم ذكر فيها سبب تأليفه، فقال: «هذا كتاب نوضح فيه الاشتقاق الواقع في كلام العرب، لما يعرض من الحيرة والاضطراب لكثير من الناس فيه، فهم مختلفون، فمنهم من يقول: لا اشتقاق في اللغة البتة وهم الأقل، ومنهم من قال: بل كل لفظتين متفقتين فإحداهما مشتقة من الأخرى، ومنهم من يقول: بعض ذلك مشتق، وبعضه غير مشتق، هؤلاء هم جمهور أهل اللغة[4]».

وبعد أن انتهى ابن السراج من التعريف بالاشتقاق ، أو ضح المراد منه من خلال ستة أقسام وضعها وهي:

الأول: الاشتقاق ما هو ؟

الثاني: هل جميع الألفاظ التي تتفق حروفها بعضها مأخوذ عن بعض، أم بعضها دون بعض؟

الثالث: إن كان بعضها مشتقاً بم يعرف الأصل من الفرع؟

الفهرست: ٦٤، معجم الأدباء: ٧٥/١٤، إنباه الرواة: ٢٩٥/٢، هدية العارفين: ١/ ٦٨٣.

(١) الخصائص: ١٣٣/٢، ١٣٩.

(٢) الصاحبي: ٦٧.

(٣) حققه الدكتور محمد صالح التكريتي وطبعه في بغداد ١٩٧٣.

(٤) الاشتقاق لابن السراج: ٣١.

الرابع:إذا اشتق لشيء من كلمة بناء من الأبنية ، فهل يلزم أن يكون ذلك اللفظ والبناء لكل ما وجد فيه ذلك المعنى أم لا؟

الخامس: ما الغرض من الاشتقاق ؟ ولم وقع في الكلام؟ وما الحاجة إليه؟

السادس: هل في العلم به منفعة في علم اللغة؟

ولما انتهى من هذا التقسيم ، بدأ بشرح كل نوع من هذه الأنواع معززاً كلامه بالأمثلة وكلام العلماء، فقال: شرح الأول، شرح الثاني، وهكذا....إلى أن ينتهي من الأقسام الستة[1].

ثم ذكر بعد ذلك باب ما يجب على الناظر في الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه، حيث ميز فيه ما يشتق من لغة العرب والتفريق بينها وبين لغة العجم، وتكلم عن مزج العرب لحروف العجم وما يأتلف منها وما لا يأتلف، حيث تكلم عن حروف الحلق وما يأتلف منها مع الحروف الأخرى.

ثم تكلم عن الحروف الأخرى ومدى تآلفها مع حروف جنسها أو غيرها من الحروف، فتناول جميع حروف المعجم حسب التقسيم الصوتي للحروف، فبدأ بحروف الحلق، فحروف الذلق، فالحروف المصمتة، مع ذكر سبب تسميتها، وذكر الحروف التي استعملها العرب في أصول أبنيتهم.

أما الباب الآخر فذكر فيه الألفاظ المتشابهة في اللفظ والمعنى، فأورد الألفاظ التي تتشابه في اللفظ والمعنى مع ذكر التشابه والاختلاف، وينتهي كتابه بذكر حروف الصحاح من الاشتقاق دون ذكر الحروف المعتل منها، فذكر جميع الحروف ما عدا حروف العلة، وهي: الألف والهمزة، والواو والياء. وبهذا تمت الرسالة.

وتوجد في نهاية الكتاب زيادتان تناول في الأولى حالة البناء إذا كانت اللفظة من حروف مختلفة فقال: «واعلم أن أحسن ما يكون البناء إذا كان مؤلفاً بحروف مختلفة الأجناس، مستقيمة، المدارج بعضها على أثر بعض، مثل: حسن الحاء من حروف الحلق: والسين من وسط الفم، والنون من حروف الذلاقة، على مدرج الصوت، فإذا قلبت كان سهلا لتباعد المخارج، وهو أثقل من حين، وكذلك

(١) الشرح في صفحات الاشتقاق من ٣٢-٤١.

حرب وما أشبه[١]».

وذكر بعدها حالات البناء والتقلبات والحالات التي تنتج من اللفظة إذا كانت حرفين أو ثلاثة.

أما الزيادة الثانية فتناول فيها مجلساً لأبي سعيد السيرافي بين فيه شرح شواهد اصطلاح المنطق لابن السكيت[٢].

الواضح من الزيادتين أن الزيادة الثانية بعيدة عن موضوع الاشتقاق، فهي تعرض لسبب تأليف السيرافي لشرح شواهد (اصطلاح المنطق).

رتب أبو بكر السراج رسالته ترتيباً منظماً، حيث تناول شرح الاشتقاق حسب المعنى، فابتدأ بتعريف الاشتقاق وانتهى في منفعة علم اللغة بالاشتقاق، مستعيناً بثقافته اللغوية، وإن كان استشهاده بأقوال العلماء قليل، فلم نر من آرائهم فيه سوى رأي الخليل[٣] وسيبويه[٤]، وثعلب[٥]، والزجاج[٦]، وإن لم يذكرهم صراحة، والرسالة خالية من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر، اللهم إلا بيتاً واحداً للأعشى[٧].

على الرغم من صغر كتاب الاشتقاق لابن السراج إلا انه يحتوي على مادة غزيرة أفاد منها اللغويون الذين جاءوا بعده، مثل ابن جني[٨]، وابن فارس[٩]، والجواليقي[١٠]، والسيوطي[١١] وغيرهم.

---

(١) الاشتقاق: ٥٥.

(٢) الاشتقاق: ٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤١، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥، ٣٨، ٤٨.

(٥) المصدر نفسه: ٣١، ٤٢، ٤٥.

(٦) المصدر نفسه: ٣٣، ٣٤.

(٧) المصدر نفسه: ٣٩.

(٨) الخصائص: ٣/٧٨، ٢٢٧، سر صناعة الأعراب: ١/٤٤.

(٩) الصاحبي في فقه اللغة: ٩٦، ٩٧.

(١٠) المعرب: ٩.

(١١) المزهر: ١/٤٠٤.

اشتقاق أسماء الله، لأبي القاسم الزجاجي[(١)]

منهجه

بدأ الزجاجي كتابه بمقدمة قصيرة استهلها بحمد لله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد (ﷺ) ثم بين منهجه في الكتاب بقوله: «هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته المذكورة في الأثر، من أحصاها دخل الجنة، حسب ما رواها أهل العلم[(٢)]».

تكلم بعدها عن محتويات كتابه وذكرها بقوله: «وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت، ووجوه النعت في كلام العرب، ومجاري صفات الله عز وجل، وموقعها من ذلك، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والرد عليه، وبالله التوفيق، فهو حسبنا ونعم الوكيل[(٣)]».

وبعد أن انتهى من الحديث عن تأليفه الكتاب ومحتوياته، ذكر حديث النبي محمد (ﷺ) عن عدد أسماء الله سبحانه وتعالى ذاكراً سند رواية الحديث عن أبي هريرة، ثم يذكر بعدها أسماء الله تعالى البالغة تسعة وتسعين اسماً وحسب تسلسل سور القرآن الكريم، ابتداء من فاتحة الكتاب وانتهاء بسورة الإخلاص ذاكراً عدد الأسماء التي تضمها كل سورة من سور آي الذكر الحكيم كقوله: «في فاتحة الكتاب: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك، وفي البقرة ستة وعشرون اسماً: يا محيط، يا قدير، يا عليم[(٤)].....» إلى أن ينتهي من ذكر جميع الأسماء في سورة البقرة وبعدها آل عمران فالنساء فالأنعام فالأعراف.....الخ.

بدأ بشرح اشتقاقات أسماء الله تعالى ابتداء بلفظ الجلالة (الله) ذاكراً في اشتقاقه أربعة أقوال، القول الأول: «قال يونس بن حبيب والكسائي والفراء وقطرب والأخفش: أصله الإله ثم حذفت الهمزة تخفيفاً فاجتمعت لامان، فأدغمت الأولى والثانية فقيل: (الله) فإله: فَعَال بمعنى مفعول كأنه مألوه، أي

---

(١) حققه الدكتور عبد الحسين مبارك، وطبع في بغداد سنة ١٩٧٤.

(٢) اشتقاق أسماء الله: ٢١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢.

(٤) اشتقاق أسماء الله: ٢٤.

معبود مستحق العبادة يعبده الخلق ويؤلهونه[١]».

والقول الثاني قول الخليل بن أحمد الفراهيدي، والثالث قول سيبويه والرابع قول أبي عثمان المازني، ويشرح قول كل واحد منهم في اشتقاق لفظ الجلالة (الله)، ويتناول بعدها الاسم الآخر (الرب) ويشرح اشتقاقه معتمداً على قول العلماء فيه، ذاكراً المشتقات التي اشتق منها الاسم المراد شرحه مثل: «الرحمن الرحيم: صفتان لله عز وجل، مشتقتان من الرحمة، فالرحمن: فعلان والرحيم: فعيل[٢]»، «والباسط: الفاعل من بسط يبسط فهو باسط[٣]»، وهكذا في بقية الأسماء الأخرى.

وذكر بعد ذلك القول في اشتقاق الاسم ثم باب القول في النعت والوصف والفرق بينهما حيث يفترقان والجمع بينهما حيث يجتمعان، وبعدها باب معرفة ما يجوز نعته من الأسماء مما لا يجوز نعته، ويذكر بعد ذلك باب امتناع «بعض وكل[٤]» في حال الإفراد من أن ينعتا أو ينعت بهما، ثم باب الفرق بين الاسم والنعت لفظاً ومعنى، ثم باب القول في صفات الله التي تقدم ذكرها وكيف مجراها عليه تبارك وتعالى، ثم باب القول في نسبة الاشتقاق والرد على من أنكره، تكلم فيه على اللغويين من خلال تقسيمه لأقوالهم، قال: «اعلم أن للناس في الاشتقاق ثلاثة أقوال[٥]» فيهمّ بذكرهم مبتدئاً بعلماء البصرة فالكوفة.

اختتم الزجاجي كتابه بباب القول في اشتقاق اسم النبي (ﷺ) ومذاهب العلماء في ذلك، فيورد قولين في ذلك، هما: قول سيبويه في حكايته عن الخليل، والقول الآخر: رأي أبي عمرو بن العلاء ويبدأ بشرحهما ومناقشتهما، وهذا الباب لم يصرح به في المقدمة.

شرح الزجاجي في كتابه تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله تعالى مستنداً إلى الحديث الشريف حيث ذكره في مقدمة كتابه بعد أن ذكر سند رواية الحديث قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من

(١) المصدر نفسه: ٢٦- ٢٧. (٢) المصدر نفسه: ٥٣.
(٣) المصدر نفسه: ١٦٢. (٤) اشتقاق أسماء الله: ٢٧٤.
(٥) المصدر نفسه: ٤٨٠.

أحصاها دخل الجنة[1]».

وكانت طريقته في شرح المادة، أن يذكر الاسم المراد شرحه، بعدها يذكر من أي المشتقات ويرجعه إلى فعله ثم يبدأ بشرحه مستنداً إلى أقوال علماء البصرة كالخليل وسيبويه والأصمعي والأخفش الأوسط والمازني والمبرد والزجاج وغيرهم، وأقوال علماء الكوفة مثل: الكسائي وابن السكيت وأبي عمرٍو الشيباني وثعلب وغيرهم.

مصادره

أما مصادره التي اعتمد عليها بالإضافة إلى أقوال العلماء، فهي كثيرة، ذكر منها: كتاب أمثال القرآن لنفطويه[2]، والاشتقاق لابن دريد[3]، الاشتقاق للزجاج[4]، والكتاب لسيبويه[5]، ومعاني الشعر لابن قتيبة[6]، وغيرها من الكتب اللغوية الأخرى والتي صرح بها في كتابه.

جاء كتابه حافلاً بالشواهد المختلفة، ففيه الآيات القرآنية، حيث استشهد بمائة وخمس وتسعين آية، وبعشرة أحاديث نبوية شريفة، وأكثر من مائة وتسعين بيتاً لشعراء العرب، فاستشهد للجاهليين: أمثال امرئ القيس والنابغة الذبياني وعمرو بن كلثوم، والإسلاميين أمثال: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وجرير والفرزدق، والأمويين أمثال: ذي الرمة، والعباسيين أمثال: أبي نؤاس وغيره.

كما استشهد برجز الرجازين العرب أمثال: العجاج ورؤبة العجلي وغيرهم، واستشهد أيضاً بالأمثال العربية وأقوال العرب.

---

(١) المصدر نفسه: ٢٣.

(٢) اشتقاق أسماء الله: ٤٩٨، ٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤٩٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨١- ٤٨٢.

(٥) المصدر نفسه: ٤٨٢.

(٦) المصدر نفسه: ٢٢٦، وهو المعروف بـ (المعاني الكبير) ينظر: قائمة مؤلفات ابن قتيبة للدكتور عبد الله الجبوري، مجلة كلية الآداب - الجامعة المستنصرية — العدد الثالث، سنة ١٩٧٨.

ضم كتاب الزجاجي بين دفتيه كثيراً من آراء العلماء العرب، فجاء كتابه كثير المادة، كبير الحجم، امتاز بكثرة التفسير والشروح في تناوله الأسماء، فهو يناقش المسألة المراد شرحها طويلاً وثبت صحتها أو خطأها إذا اعتقد أنها غير صحيحة أو فاسدة بالشرح والأمثلة.

وتتجلى أهميته بأنه يتناول الأسماء المقدسة لله سبحانه وتعالى، وهو من أوائل الكتب المستقلة التي ألفت في تفسير أسماء الله(١) تعالى، بالإضافة إلى حاجة الدارسين إلى مثل هذا الكتاب حيث تكلم الزجاجي نفسه عن أهميته متضمناً الحديث الشريف «أن من أحصاها دخل الجنة(٢)».

الاشتقاق وشرح الصفات من كلام العلماء ولغة الفصحاء

لأبي عبد الله محمد بن محمد الصبحي

وهو من الكتب التي وصلت إلينا من كتب الاشتقاق، ومؤلفه من رجال القرن الرابع الهجري (محمد بن محمد الصبحي).

وما يؤسف له أن ترجمته مجهولة، حيث قد اجتهدت في تتبعها في جملة من المظان المتيسرة لدي، ولكن دون جدوى.

وقد أخبرني الدكتور محمد جبار المعيبد(٣) أنه قرأ في كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سيزكين، أن مؤلف هذا الكتاب من رجال القرن الرابع الهجري(٤).

واستقرأت الكتاب، فرأيته حافلاً بآراء العلماء، وأهل الفصاحة، واستشهد بكثير من كلامهم، وآخر عالم ذكره هو (أبو عمر الزاهد ت ٣٤٥ هـ) فرجحت

(١) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٧٢.

(٢) اشتقاق أسماء الله: ٢٢.

(٣) أخبر ني الدكتور المعيبد عن الكتاب ومواده ومكان وجوده أثناء زيارتي له في محافظة البصرة بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٨.

(٤) رأى الخبر المذكور في الجزء الثامن من كتاب (تاريخ التراث العربي) الطبعة الألمانية، ولم تصل إلى العراق، علماً أنه ترجم إلى العربية وصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، بعشرة أجزاء ولم يتم بعد.

أن يكون الصبحي من رجال هذا القرن، إضافة إلى إشارة الدكتور المعيبد إلى كتاب فؤاد سيزكين، وبما أن هذا الكتاب لم نعثر عليه في المكتبات المتيسرة في العراق، فقد اعتمدت على كلام الدكتور المعيبد، بالإضافة إلى ما لاحظناه في كتابه من استشهاده لعلماء لم يتجاوزوا القرن الرابع، والكتاب مخطوط تحتفظ به مكتبه برلين برقم (٧٠٤٢) وهو خال من تاريخ النسخ وعدد أوراقه (٦٨) ورقة، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٢٢) سطراً.

وتوجد منه نسخة مصورة بحوزة الدكتور محمد جبار المعيبد.

منهجه

قسم الصبحي كتابه على مقدمة وثلاثة عشر باباً، تكلم في مقدمة موضوع الكتاب فقال: «هذا كتاب يشتمل على اشتقاقات الألفاظ وعبارات عن كلمات عربية يحتاج الفقهاء إلى معرفتها ولا يستغني الأدباء عنها، ومن مقدار الانتفاع بهذا الكتاب – التفسح في اللغة – وانطلاق اللسان في جميع أقراء البلاغة، والتفقه فيما وقع منه من كتاب جل ذكره[١]».

وفي هذه المقدمة أوضح المؤلف الغرض من تأليفه، وتكلم بعد ذلك عن اللسان العربي مستشهداً بآيات من القرآن الكريم، ذكر قوله جل اسمه: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[٢].

ويورد بعد ذلك أخبار النبي محمد (ﷺ).

أما تقسيمة الكتاب على أبواب فقد أشار إليه بقوله: «وقد جعلنا هذا الكتاب ثلاثة عشر باباً، وجمعنا كل لفظة في باب إلى ما جانسها وبالله التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل[٣]».

أما أبواب الكتاب فهي[٤]:

١. الباب الأول: في اشتقاق الأمر والقضاء والقدر.

---

(١) الاشتقاق للصبحي: الورقة ٦٢.

(٢) الشعراء: الآية ١٩٥.

(٣) الاشتقاق: الورقة ٦٢.

(٤) الاشتقاق: الورقة ٦٣.

٢. الباب الثاني: في اشتقاق الخلق والدنيا والآخرة واللوح والقلم والعرش والكرسي.

٣. الباب الثالث: في اشتقاق الملائكة وما لها من الأسماء والصفات ومعنى الجن والإنس.

٤. الباب الرابع: في اشتقاق الجنة وما لها من الأسماء والنار ونعوتها.

٥. الباب الخامس: في معنى الصراط والأعراف والبرزخ.

٦. الباب السادس: في معنى الثواب والعقاب والوزر والإثم والقيامة.

٧. الباب السابع: في معنى العالم والحيوان مثل الإنسان والبهيمة والنبات.

٨. الباب الثامن: في معنى الأسماء والأرض والفلك والبروج والنجوم والكواكب والأنواء والشمس والقمر.

٩. الباب التاسع: في معنى الإقليم والجزيرة والمصر والمدينة والبلدة والكورة والطرق والمنازل وأسماء مدن عربية.

١٠. الباب العاشر: في صفة الجبال والأودية والرمال والمياه والبحار والآبار.

١١. الباب الحادي عشر: في الرياح والسحاب والرعد والبرق والمطر.

١٢. الباب الثاني عشر: في معرفة الأيام والليالي والشهور والأزمنة.

١٣. الباب الثالث عشر: في اشتقاق الروح والنفس والعقل والعلم والأدب والحكمة.

وبعد أن انتهى من هذا التقسيم بدأ بالكلام عن الاشتقاق لكل باب من الأبواب التي ذكرها، وقال: «ونبدأ أولاً باشتقاق الأمر والقضاء والقدر[(١)]»، وبدأ الحديث عن هذا الباب بحديث للنبي محمد ﷺ بقوله: «روي عن النبي محمد ﷺ أنه جعل (بسم الله الرحمن الرحيم) آية في فاتحة الكتاب خاصة[(٢)]»، ويورد بعد ذلك آراء العلماء والمفسرين ثم يشرح الآية من الناحية النحوية مستشهداً

(١) الاشتقاق، للصبحي: الورقة ٦٢.

(٢) وعليه رأى من عدها (الفاتحة) سبع آيات وقالوا: إنها السبع المثاني، ومن العلماء من قال بقراءة البسملة معها في الصلاة.

بآراء النحاة واللغويين.

ثم يتناول الباب الثاني فالثالث فالرابع إلى نهاية الباب الثالث عشر.

التزم الصبحي في كتابه المنهج الذي وضعه لنفسه ووفى بذلك إلى نهاية الكتاب فأول ما يبدأ بشرح اللفظة من الناحية الاشتقاقية ويفصل تفصيلاً لما ورد في اللفظة المراد شرحها مثل قوله في الباب الثالث: «الملائكة: تذكر وتؤنث، روى مغيرة عن إبراهيم، قال: كان عبد الله بن مسعود يذكر الملائكة في جمع القرآن، قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش: الملائكة، جمع ملك وحقه في الأصل (ملايك) بغير هاء، ولكن الهاء تأتي لتبين تأنيث الجمع كقولك الكواسجة والمناذرة، وحق هذا كله أن يكون بلا هاء في الأصل ولكنها دخلت لما قلنا لأنك تريد الجماعة[(١)]».

ثم يأتي بآيات من القرآن الكريم يعزز رأيه بقوله: «قال الله عز وجل: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم[(٢)]» فهمزت الملائكة في جميع القرآن، والواحد، ملك، بغير همز، قال أبو عبيدة: «أصله مهموز من الملائكة، والملائكة هي الرسالة، وهما لغتان[(٣)]».

وهكذا يستمر في شرح أسماء الملائكة وصفاتها، وينتقل بعد ذلك إلى أبواب الكتاب المتبقية، فيشرحها حسب طريقته التي رسمها له.

مصادره

لما كان الكتاب يتحدث عن اشتقاق ألفاظ القضاء والقدر والخلق والسماء والجنة والنار والطبيعة، فقد لزم على المؤلف أن يكون القرآن من أول المصادر التي اعتمدها في الاستشهاد لحديثه عن الاشتقاق فذكر آيات كثيرة من القرآن الكريم والتي استشهد بها في أثناء حديثه، مثل قوله: «قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ ﴾[(٤)]، قال الزجاج عن المبرد: سميت بروجاً لظهورها وعظمها، ومنه البرج في العين وهو السعة[(٥)]».

---

(١) الاشتقاق: ١٢أ.

(٢) البقرة: الآية ٣٤.

(٣) الاشتقاق: ١٣ب.

(٤) البروج: الآية ١.

(٥) الاشتقاق: الورقة ٣٥ أ.

وإلى جانب القرآن الكريم استشهد بالأحاديث النبوية الشريفة[١]، ذاكراً مَعَ ذلك الرواة الذين رووا الأحاديث النبوية عن النبي محمد (ﷺ)، أما نقوله من أقوال اللغويين والنحويين فقد حفل بها كتابه، وأكثر من النقل عنهم، حيث أورد أصحاب المدرستين (البصرة والكوفة) وغيرهم من علماء العربية، أمثال:

أبي عمرو بن العلاء[٢]، والخليل[٣]، وسيبويه[٤]، والأصمعي[٥]، وأبي حاتم السجستاني[٦]، والمبرد[٧]، والزجاج[٨]، و غيرهم، ومن علماء المذهب الكوفي أمثال: الكسائي[٩]، والفراء[١٠]، وابن السكيت[١١]، وابن الأعرابي[١٢]، وأبي عمر الزاهد[١٣]، وغيرهم، ويستشهد بكلام أهل اللغة دون ذكر اسمهم، قوله في الباب الثالث عشر في ذكر النفس والروح، «قال أهل اللغة: النفس الدم ومنه سمي النفساء، واحتجوا بما ذكره الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[١٤][١٥]».

ومن المفسرين الذين استشهد بهم ابن عباس[١٦]، وعبد الله بن مسعود[١٧]، كما نقل عن آخرين لم يسمهم، مثل قوله: «قال الله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ﴾[١٨]، قال بعض المفسرين: هي الكواكب الخمسة[١٩]».

ويعد الشعر والرجز من المصادر الأخرى التي اعتمد عليها الصبحي فكتابه زاخر بطائفة جليلة من كلام الشعراء العرب على مختلف عصورهم.

فاستشهد بالشعر (الجاهلي) للشعراء: أوس بن حجر[٢٠]، وقيس بن

(١) المصدر نفسه: الورقة: ٢١ أ، ٢٢ ب.
(٢) المصدر نفسه: الورقة ٢أ، ٤٧ب.
(٣) المصدر نفسه: ١٥ب.
(٤) المصدر نفسه: الورقة ١٣أ.
(٥) المصدر نفسه: الورقة ٤٥ ب، ٥١ب.
(٦) المصدر نفسه: الورقة ٣٢ أ.
(٧) الاشتقاق: الورقة ٤٦ ب.
(٨) المصدر نفسه: الورقة ٣٥ أ.
(٩) المصدر نفسه: الورقة ٣٦ أ.
(١٠) المصدر نفسه: الورقة ٣٦ أ.
(١١) المصدر نفسه: الورقة ٣٦ ب.
(١٢) المصدر نفيسه: الورقة ٤٤ب.
(١٣) المصدر نفسه: الروقة ٣٢ أ، ٣٩ ب.
(١٤) يوسف: الآية ٥٣.
(١٥) الاشتقاق: الورقة ٦٧ ب.
(١٦) المصدر نفسه: الورقة ١٧أ.
(١٧) المصدر نفسه: الورقة ١٦ ب.
(١٨) التكوير: الآية ١٥.
(١٩) الاشتقاق: الورقة ٤٥ب.
(٢٠) الاشتقاق: الورقة ١٥ب.

الخطيم[١]، والمتلمس[٢]، وشعر المخضرمين، أمثال: لبيد[٣]، وأمية بن أبي الصلت[٤]، والأعشى[٥]، وبكلام الأمويين أمثال: ذي الرمة[٦]، وجرير[٧]، والفرزدق[٨]، والكميت[٩]، وآخر من استشهد بشعرهم هو أبو تمام[١٠] من شعراء القرن الثالث الهجري، وهناك أشعار أخرى لم ينسبها إلى قائليها[١١].

الاشتقاق لابن دريد

نشر الكتاب مرتين[١٢]، الأولى بعناية المستشرق فردناند وستنفلد، والثانية بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

منهجه

بدأ ابن دريد كتابه بالحديث عن الأسماء العربية التي كانت تسمى بها القبائل، ثم ذكر سبب تأليفه بقوله: «وكان الذي حرانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوماً ممن يطعن على اللسان العربي وينسب أهله إلى التسمية إلى مالا أصل له في لغتهم وإلى ادعاء ما لم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم، وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ علمهم في الفحص عنها[١٣]».

وكان الدافع أيضاً لتأليفه هو الرد على الشعوبية ونحوهم، وبعض مطاعنهم على العرب.

وتحدث ابن دريد عن طريقته في تناوله للأسماء المشتقة حيث بدأ اولا باشتقاق اسم النبي محمد (ﷺ) وصرح بقوله: «.... فابتدأنا هذا الكتاب

(١) المصدر نفسه: الورقة ٢٠ب.
(٢) المصدر نفسه: الورقة ١٦ب.
(٣) المصدر نفسه: الورقة ١٩ب.
(٤) المصدر نفسه: ٤٦ب.
(٥) المصدر نفسه: الورقة ٢١أ.
(٦) المصدر نفسه: الورقة ٣٨أ.
(٧) المصدر نفسه: الورقة ١٧أ.
(٨) المصدر نفسه: الورقة ٣٢أ.
(٩) المصدر نفسه: الورقة ١٥ب.
(١٠) المصدر نفسه: الورقة ٢٢ب.
(١١) المصدر نفسه: الورقة ١٢أ، ٣٠ب، ٤٠أ.
(١٢) نشره سنة ١٨٥٤، وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٨ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون بجزأين، كما أعيد نشره بطريقة التصوير (أوفسيت) في الرياض سنة ١٤٠٣هـ، وصدر عن دار الرفاعي والخانجي.
(١٣) الاشتقاق لابن دريد: ٤.

باشتقاق اسم نبينا محمد ﷺ، إذ كان المقدم في الملأ الأعلى، ثم باشتقاق أسماء آبائه إلى معد بن عدنان حيث انتهى ﷺ بنسبه[١]».

تناول اشتقاق أسماء النبي محمد ﷺ، ثم أسماء آبائه إلى معد بن عدنان حيث ينتهي نسب النبي محمد ﷺ، وبعد ذلك تكلم عن اختلاف النسابين في الاشتقاق حول نسب ما بعد عدنان فقال: «كذب النسابون، فما بعد عدنان فهي أسماء سريانية لا يوضحها الاشتقاق[٢]».

وبعد أن انتهى من اشتقاق أسماء النبي محمد ﷺ تكلم عن اشتقاق أسماء أمهات النبي محمد ﷺ فاشتقاق أسماء أعمام النبي، فاشتقاق أسماء العشرة المبشرة من أصحاب رسول الله، فاشتقاق أسماء ولد النبي محمد، فاشتقاق أسماء بني أعمامه، فاشتقاق أسماء رجال بني هاشم، وهكذا إلى أن ينتهي من اشتقاق رجال قريش، ثم يبدأ بالقبائل العربية الأخرى، وهكذا يستمر في اشتقاق أسماء القبائل ذاكراً كل قبيلة برجالها.

امتاز كتاب ابن دريد بكثرة الأسماء المشتقة حيث تكلم فيه على ما يزيد عن ألفين وخمسمائة اسم مشتق، وجعل محور كلامه وبحثه اللغوي عليها، وكان يسعى في ارجاع كل اسم من الأسماء المشتقة إلى أصولها التي تطور عنها، ذاكراً جميع الوجوه التي يعتقد أنها تحتمل إلى رجوع المادة المشتقة إلى أصول العربية.

والميزة الأخرى لكتاب ابن دريد هي كثرة الاستطراد والتفصيل مستعيناً بالآيات القرآنية في أثناء شرحه بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة وأشعار العرب وأمثالهم.

تتجلى شخصية ابن دريد بشخصية العالم الواسع بالدراية، فكتابه حافل بأخبار العرب ونوادرهم وأيامهم وأحاديث رجال القبائل العربية، بالإضافة إلى الحوادث التاريخية التي يدعم فيها كلامه.

وانفرد كتابه بغزارة مادته والأخبار المروية من تاريخ الأعلام وأخبارها، وانفراده بالنادر والغريب من المعارف قد لا يعثر عليها الباحث غير كتابه[٣].

---

(١) الاشتقاق لابن دريد: ٤. (٢) المصدر نفسه: ٦.

(٣) مقدمة الاشتقاق: بتحقيق عبد السلام هارون.

اهتم ابن دريد باللهجات العربية اهتماماً واضحاً وهذا بسبب من عناية الشديدة بها، فقد أظهر ذلك في أثناء شرحه لمعاني المفردات وقد ذكر ذلك عندما أطلق لفظة لغات على المفردة المرادة مشيراً بذلك إلى لغتين أو أكثر.

مصادره

يعد القرآن الكريم من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها ابن دريد، فجاءت الآيات القرآنية موزعة على مائة وواحد وخمسين موضعاً ومجموعها مائة وست وثلاثون آية، أكثرها كانت موزعة على المعنى الاشتقاقي والمعجمي، حيث بلغت الآيات المستشهد بها أربعاً ومائة آية قرآنية وكان إلى جانب القرآن الكريم الحديث النبوي الشريف، حيث استشهد بتسعة وستين حديثاً، وزعها على أربعة وسبعين موضعاً، كان غرضه من الاستشهاد بالحديث النبوي هو استخدامها على الأصول الاشتقاقية وعلى معاني الكلمات التي تناولها بالأخبار والحوادث، وأثناء تعريفه بالقبائل ورجالها.

وكان الاستشهاد بالشعر لا يقل أهمية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فجاء كتابه زاخراً بذكر مجموعة من الشعراء على مختلف العصور والبيئات، حيث بلغ الشعر المستشهد به حوالي تسعمائة واثنين وثلاثين بيتاً، موزعة على أغراض مختلفة من موضوعات اللغة والاشتقاق.

وكانت الأمثال مصدراً آخر من مصادر ابن دريد حيث استشهد بثلاثة وثمانين مثلاً، موزعة على المفردات الاشتقاقية والمعاني اللغوية الأخرى.

ويعد كتاب الاشتقاق لابن دريد من أهم الكتب التي ألفت في هذا القرن، بالإضافة إلى أن كتابه جاء رداً على الشعوبية الذين ينتقصون فضل العرب، كذلك تناول بالتفصيل قبيلة النبي محمد ﷺ وذكر نسبه، وحرص أن يبدأ بالقبائل العدنانية، لأن نسب النبي محمد ينتهي إلى عدنان هذا بالإضافة إلى أنه ساق في كتابه أنساب القبائل العربية العدنانية والقحطانية، وأراد أن يفرد كتاباً للأعلام والرجال حيث جاء كتابه خلواً من ذكر اشتقاق النساء، ما عدا فصل خصصه لأسماء أمهات النبي محمد (ﷺ).

الأضداد

وهو ضرب من الاشتراك اللفظي غير أن اللفظ فيه يكون مؤدياً معنيين متضادين، ومن ثم اصطلح اللغويون على تعريفه: بأنه كل لفظة تتصرف إلى معنيين متضادين بلفظ واحد(١).

وقال عنها ابن الأنباري بأنها: «الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً على معنيين مختلفين(٢)».

أمثال: (الجون) الذي يطلق على الأبيض والأسود، (والجلل) الذي يطلق على العظيم والحقير، (والصارخ) الذي يطلق للمستغيث و المغيث.

وكانت هذه الظاهرة مدار بحث اللغويين، فمنهم من أقر ورودها في اللغة فألف بذلك كتاباً مستقلاً أمثال: قطرب والأصمعي وابن السكيت وابن الأنباري، وفريق آخر درسها واعترف بها وفق منهجية خاصة(٣).

فتحدث عنها في أثناء كتبه أمثال: الخليل، سيبويه، وأبي عبيدة، وابن دريد والأزهري وفريق ثالث أنكر وجودها، ويقف على رأس هؤلاء ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ)، والآمدي (ت ٣٧٠ هـ) وقد بين كل واحد منهم موقفه من الأضداد، ودعم حديثه بالأدلة، فهذا قطرب يسير إلى سبب جمع وتدوين الأضداد بقوله: «وكانت قلة الأضداد وظرافتها هما الدافع الذي دفع اللغويين إلى جمعها وتدوينها(٤)»، وبين ابن الأنباري سبب تأليفه لهذه الظاهرة بأنه ردٌّ على أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب الطاعنين بحكمتهم وقلة بلاغتهم(٥).

أما الذين أنكروا الأضداد، فإنهم وضحوا ذلك بالأدلة فألفوا كتباً بذلك أمثال: ابن درستويه الذي ألف (إبطال الأضداد(٦))، والآمدي(٧)، وفي رأيي أن

(١) رواية اللغة: ٣٣٣، الأضداد في اللغة: ٩٩.
(٢) الأضداد: ١.
(٣) رواية اللغة: ٣٣٨.
(٤) أضداد قطرب: ٦.
(٥) الأضداد: ١.
(٦) انظر ابن درستويه: ٤٧.
(٧) انظر الأضداد في اللغة: ٣١٥.

ابن الأنباري بالغ فيما جمع من الألفاظ وعدها من الأضداد، وتعسف ابن درستويه فيما صنع، وإنما يقضي الإنصاف أن نسلم بقدر من هذا التضاد وقع في اللغة على نحو ما وقع فيها من الاشتراك في أثناء تكونها من كلمات متحدة اللفظ متضادة الدلالة على أصل ما كانت عليه في وضعها الأول لدى القبائل، فضلاً عن تداخل اللغة بين حي وآخر، فهذا أبو زيد الأنصاري يقول في لفظ (السدفة): «السدفة في لغة تميم الظلمة، والسدفة في لغة قيس الضوء[١]».

ومثلها ألفاظ أخرى وقعت في كلام القبائل. ويظل السياق هو الذي يعين الغرض من اللفظ، على نحو قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهبه الأمل

فدل ما تقدم قبل (جلل) وما تأخر بعده على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير، ولا يتأتى في هذا السياق أن يكون معناه (العظيم[٢]).

أما المنكرون للتضاد – ويقف على رأسهم ابن درستويه فإنهم لن يستطيعوا أن ينكرونه البتة، فقد اضطر ابن درستويه إلى الاعتراف ببعض هذه الألفاظ فقال: «وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين وأحدهما ضد الآخر، كما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل[٣]».

وخلاصة القول فإن التضاد – على الرغم من مؤيد ومنكر له – يعد من الظواهر اللغوية، حيث أصبح وسيلة من وسائل التنوع في الألفاظ والأساليب، واختصت فيه لغتنا العربية دون سائر اللغات الحية الأخرى[٤].

وتشير المصادر إلى أن القرن الثالث الهجري هو بداية التأليف في الأضداد، وكان قطرب[٥] (ت ٢٠٦ هـ)، من أوائل المؤلفين فيه، ويعد ابن الأنباري (ت

---

(١) المزهر: ١/٣٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ١/٤٠٠. وانظر دراسات في فقه اللغة: ٣١٢.

(٣) المزهر: ١/٣٨٥، وانظر فقه اللغة العربية وخصائصها: ١٨٣.

(٤) دراسات في فقه اللغة: ٣١٣.

(٥) صنع الدكتور محمد حسين آل ياسين في كتابه (الأضداد في اللغة) من الصفحات ٣١٢ – ٣١٨، جدولاً بأسماء العلماء الذين ألفوا كتباً في الأضداد.

٣٢٨ هـ)، من أوائل المؤلفين في الأضداد في القرن الرابع، و ألف ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) كتاباً أنكر فيه الأضداد باسم (إبطال الأضداد[١])، وألف في الأضداد ايضاً الآمدي[٢] (ت ٣٧٠ هـ)، وابن فارس[٣] (ت ٣٩٥ هـ)، ومن اللغويين من تحدث عنها في كتبه مثل ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) في كتابه (الجمهرة) والقالي في (الأمالي) والأزهري في (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عباد في كتابه (المحيط في اللغة).

وقد وصل إلينا كتاب (الأضداد) لابن الأنباري.

كتاب الأضداد لابن الأنباري

يعد كتاب الأضداد[٤] لابن الأنباري من اوسع كتب الأضداد التي وصلت إلينا، إذ يمثل مرحلة متقدمة من التأليف في الأضداد.

منهجه

استهل ابن الأنباري كتابه بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه الكريم محمد (ﷺ) وبعدها بدأ بمقدمة جليلة نافعة، حيث ابتدأ بتعريف الأضداد معرجاً على

---

(١) ذكره ابن درستويه في كتابه (تصحيح الفصيح) ٣٥٩/١، والورقة ٢٥٦أ – انظر ابن درستويه ٤٧.

(٢) إنباه الرواة: ٢٨٧/١، معجم الأدباء: ٨٦/٨، بغية الوعاة: ٢١٨/١، هدية العارفين: ٢٧١/١، روضات الجنان: ٧٥/٣.

(٣) ذكره ابن فارس في كتابه (الصاحبي) ص ٦٦، «ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو (الجون) للأسود (و الجون) للأبيض، وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحد وقد جردنا في هذا كتاباً، ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا رد ذلك ونقضه فلذلك لم نكرره».

(٤) نشره محققاً المستشرق هوتمسا في ليدن سنة ١٨٨١، وهي طبعة علمية جيدة، ثم طبع في مصر سنة (١٣٢٥هـ) بتحقيق الشيخ محمد بن عبد القادر سعيد الرافعي بمشاركة الشيخ أحمد الشنقيطي، وحققه أخيراً محمد أبو الفضل إبراهيم وطبع في الكويت سنة ١٩٦٠.

ينظر مقدمة الأضداد، والأضداد في اللغة ص ٣١٤ في هامش الصفحة.

هدفه من التأليف في هذا الفن فقال: «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً معنيين مختلفين، ويظن أهل البدع والزيغ والازدراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم[١]».

وبعد أن بين دوافع تأليفه وهي الرد على أهل البدع والزيغ والذين يسعون إلى الطعن على العرب، أجاب على ما أثاروه بأجوبة مختلفة مدعمة بالأمثلة، فذكر بقوله: «فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة: أحدهن: أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد[٢]».

ويشرح الكلام الذي ذكره مستشهداً بالآيات القرآنية والشعر، فضلاً عن ثقافته اللغوية في تفسيره للفظه، ثم يعقب بعد ذلك على حروف الأضداد بقوله: «ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة، وإن لم تكن متضادة، فلا يعرف المعنى إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله[٣]»، ويسوق الأمثلة على كلامه من الألفاظ المتضادة مستعيناً بأقوال العلماء، ومن جملة رده على الذين أسماهم أهل البدع والزيغ، أن هذه الألفاظ كثيرة يطول إحصاؤها وتعديدها تصحبها العرب من الكلام ما يدل على المعنى المخصوص منها، ثم يعد الأضداد من القليل في كلام العرب بقوله: «وهذا الضرب من الألفاظ هو القليل الظريف في كلام العرب[٤]»، بعدها يعدد نوعين من الأضداد وردت في كلامهم، فقال: «وأكثر كلامهم يأتي على ضربين آخرين: أحدهما أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين المختلفين كقولك: الرجل والمرأة والجمل والناقة... والضرب الآخر أن يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد،

---

(١) الأضداد: ١. (٢) المصدر نفسه: ٢.

(٣) الأضداد: ٤. (٤) المصدر نفسه: ٦.

كقولك: البُرّ والحنطة، والعِير والحمار[١]...».

ثم ينتقل بعد ذلك إلى نشوء الأضداد من جهة الاتساع فقال: «وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فالأصل، لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع[٢]»، ويدعم كلامه هذا بالأمثلة المختلفة من الألفاظ مستشهداً بالشواهد الشعرية وأقوال العلماء، وهو بذلك يؤيد فكرة الاتساع، بأن تكون اللفظة في أصل وضعها في اللغة مشتملةً على كلا المعنيين وصالحةً للانصراف لكل منها على حدة لاشتراكها فيها على جهة الاتساع وشمولية المدلول[٣].

وقد تحدث ابن الأنباري أيضاً عن اللهجات العربية وتفسيرها للأضداد من قبيلة لأخرى فقال: «وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربي أوقع عليهما بمساواة منه بينهما ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب، والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجون: الأبيض في لغة حي من العرب، والجون: الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر، كما قالت قريش: حَسِبَ يَحسِبُ[٤]».

ويختتم ابن الأنباري مقدمته عن كتب الأضداد التي اطلع عليها، فجمعها في كتابه كي يكون شاملاً جامعاً لهذه الظاهرة اللغوية فجاء في كلامه: «وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا في احصائها كتباً، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءاً، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي، ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه، إذ اشتمل على جميع ما فيها، ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد[٥]» وبعد هذه المقدمة التي تعد تفسيراً لظاهرة

(١) المصدر نفسه: ٦. (٢) المصدر نفسه: ٨.
(٣) الأضداد في اللغة: ٤٣٥. (٤) الأضداد: ١٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٢.

الأضداد في اللغة، راداً على الشعوبية من جانب، وجامعاً لكتب المتقدمين من جانب آخر، فضلاً عن دراسته لها وتعليلها، محاولاً أن يثبت حقيقة هذه الظاهرة والوجوه التي تنصرف إليها، مشيراً إلى أن اللفظة لا يمكن أن تدل على الشيء وضده في الوقت نفسه، أما خصوصية التضاد فهي مستفادة من خارج اللفظة(١)، فضلاً عن تداخل معانيها وما أحدثته اللهجات المختلفة من اجتماع المعنيين المتضادين في اللفظة الواحدة(٢).

وبعد أن انتهى من المقدمة وشرحه المستفيض للأضداد بدأ بذكر الألفاظ المتضادة، حيث أورد سبعة وخمسين وثلاثمائة لفظة.

وطريقته في كتابه، أن يذكر اللفظة ويذكر حالات التضاد فيها، شارحاً قوله: «فأول ذلك الظن، يقع على معان أربعة، معنيان متضادان أحدهما الشك، والآخر اليقين الذي لا شك فيه، فأما معنى اليقين فمنه قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾(٣)، ثم يكثر من الشرح والإطالة، وقوله أيضاً: «وخليت: حرف من الأضداد، يكون شكاً، ويكون يقيناً(٤)»، وقوله: «قال قطرب: الصرعان من الأضداد، يقال للغداة، ويقال للعشي(٥)»، ومثله أيضاً: «ومن الأضداد أيضاً قولهم: أقسمت أن تذهب معنا، يحتمل معنيين: أحدهما أقسمت ألا تذهب معنا والآخر أن تذهب معنا(٦)». وهكذا في بقية الألفاظ الأخرى التي حفل بها كتابه.

لم يتَّبع ابن الانباري منهجاً واحدا في كتابه، فإن الألفاظ التي جمعها غير مبوبة ومرتبة، وإنما يأتي اللفظة كيفما اتفق، كذلك لم يوازن في شرحه للألفاظ، فنراه في لفظة يشرح ويفسر ويعلق كثيراً، ويأتي بأقوال العلماء فضلاً عن ابداء رأيه، ويورد أكثر من شاهد منوع، ونراه في لفظة أخرى يكتفي بذكرها فقط مثل قوله: «ومنها: البيع، المشترى والبائع(٧)»، أما أمثلته في الأضداد التي تضمنت

(١) التطور اللغوي التاريخي: ٩٧. (٢) الأضداد في اللغة: ٤٣٦.
(٣) الجن: ١٢. (٤) المصدر نفسه: ٢٢.
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٢. (٦) الأضداد: ٣١٠.
(٧) المصدر نفسه: ١٩٩.

شرحاً مطولاً، فإنها تشكل أكثر من نصف الكتاب[١].

ويلاحظ على الكتاب أيضاً أن مؤلفه لم يفرق بين الألفاظ[٢] والحروف[٣]، وإنما جمعها الواحدة تلو الأخرى، دون طريقة متبعة له.

وقد حرص ابن الأنباري أن يكون كتابه منصباً على الألفاظ التي جاءت في القرآن واعتبرها السابقون من الأضداد وأخطؤوا فيها التأويل[٤].

مصادره

تنوعت وكثرت مصادر ابن الأنباري في كتابه، حيث فاقت هذه المصادر مادة الكتاب نفسه، ويظهر على رأسها القرآن الكريم، حيث استشهد بتسعة وستين ومائتي آية، واستشهد أيضاً بالحديث النبوي الشريف حيث بلغت الأحاديث عنده ثلاثة وخمسين حديثاً، ويقف الشعر في أكثر مصادره الرئيسة، إذ بلغت ستة وتسعين وسبعمائة بيتاً، فهذا العدد الكبير يمثل سعة علمه وحفظه لها، ويتوزع الشعراء على مختلف العصور فاستشهد بكلام الجاهليين أمثال: امرئ القيس[٥]، وطرفة بن العبد[٦]، والنابغة الذبياني[٧]، وزهير بن أبي سلمى[٨]، والخنساء[٩]، وغيرهم، ومن الإسلاميين أمثال: حسان بن ثابت[١٠]، وعبد الله بن الزبعرى[١١]، وكعب بن زهير[١٢]، وكعب بن مالك الأنصاري[١٣]، وغيرهم، ومن الأمويين أمثال: الأخطل[١٤]، والكميت[١٥]، وجرير[١٦]، والفرزدق[١٧]، وذي الرمة[١٨]، وغيرهم.

---

(١) المصدر نفسه: ٦٠-٦٢، ٩٥- ٩٩.
(٢) المصدر نفسه: ٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ٩٥.
(٤) الأضداد في اللغة: ٤٤٠.
(٥) الأضداد: ٣٣، ١٨٦، ٣٠٣.
(٦) المصدر نفسه: ٣٥، ١٨٣، ٢٠٧.
(٧) المصدر نفسه: ٧٠، ١٢٢، ٢٦٥.
(٨) المصدر نفسه: ١٩، ٨٦، ٢٠٣.
(٩) المصدر نفسه: ٣٧، ١١٢، ٣٨٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٤، ٨٠، ٣٩٦.
(١١) المصدر نفسه: ٧٨.
(١٢) المصدر نفسه: ١٦.
(١٣) المصدر نفسه: ٣٧٧.
(١٤) المصدر نفسه: ٣١، ١١٧، ٣٠٨.
(١٥) المصدر نفسه: ٥٦، ١٧٠، ٣٠٩.
(١٦) المصدر نفسه: ٧٣، ٢٢٥، ٣٢٢.
(١٧) الأضداد: ١٠١، ٢٥٦، ٣٣٠.
(١٨) المصدر نفسه: ٥٤، ١٤٦، ٤٢٢.

أما الشعراء العباسيون فإنه لم يستشهد بكلام أحد منهم، فقد كان استشهاده نهاية شعراء العصر الأموي، والذين أسقطهم غيره من اللغويين من دائرة الاحتجاج بلغتهم والاستشهاد بشعرهم[١].

أما الأرجاز فأخذت موقعها من بين مصادره فبلغت تسعة وتسعين رجزا أغلبها لرؤبة[٢]، والعجاج[٣]، وأبي النجم[٤]، واستشهد أيضاً بمجموعة من الأمثال وأقوال البلغاء والحكماء لا تقل عدداً من عدد الأرجاز.

أما أقوال اللغويين فقد ضم مجموعة كبيرة من أقوالهم، وخاصة الكوفيين، ويقف على رأسهم أستاذه ثعلب[٥]، فقد روى معظم مادته منه، ويطالعنا من اللغويين أيضاً الكسائي[٦]، والفراء[٧]، وابن السكيت[٨]، وأبي عبيدة[٩]، والأصمعي[١٠]، وقطرب[١١]، وابن الأعرابي[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، وغيرهم، وقد نقل كثيراً من آرائهم.

وظهرت شخصيته في أثناء كتابه حينما ناقشهم وفند آراءهم داعماً كلامه بالأدلة، فقد خطأ ابن قتيبه في لفظة (بعد) فقال: «وقال ابن قتيبة: خلق الأرض قبل السماء ربوة بيومين، ثم دحا الأرض بعد خلقه السماوات في يومين، ومعنى (دحاها) بسطها، قال ابو بكر: وهذا القول عندنا خطأ، لأن دحو الأرض قد دخل في ارسائها والتبريك فيها[١٤]...»، وأطال الحديث عنها تفصيلاً، وهناك أمثلة أخرى غلط فيها اللغويين، حفل بها كتابه[١٥].

---

(١) الأضداد في اللغة: ٤٤٠.
(٢) الأضداد: ٤٤، ١٧٢، ٣٧٨.
(٣) المصدر نفسه: ٤٦، ١٩٢، ٢٧٣.
(٤) المصدر نفسه: ٩٧، ١٦٣، ٢١٤.
(٥) المصدر نفسه: ٥، ١٤، ٢٠، ٧٩، ١٩٣، ٢٣٩، ٣٥٩، ٤٢٧.
(٦) المصدر نفسه: ١٢، ١٦٠، ٤١٦.
(٧) المصدر نفسه: ٥٦، ١٥٠، ٤١٥.
(٨) المصدر نفسه: ٥٥، ٢١٣، ٤٢١.
(٩) المصدر نفسه: ٢٨، ١٧٤، ٣٩٧.
(١٠) المصدر نفسه: ٢٧، ٢٢٦، ٣٢٧.
(١١) المصدر نفسه: ٧٠، ١٨٥، ٣٨٣.
(١٢) المصدر نفسه: ٥٩، ١٨٠، ٣٢٥.
(١٣) الأضداد: ٩٣، ١٨٧، ٢٤١.
(١٤) المصدر نفسه: ١٠٨.
(١٥) المصدر نفسه: ١٣٢، ١٣٩، ٢٢٨ وما بعدها.

واستشهد أيضاً بكلام المفسرين(١) وكلام اللغويين(٢) دون الإشارة إليهم.

لقد برزت شخصية ابن الأنباري واضحة في كتابه، فثقافته اللغوية الواسعة وذوقه اللغوي الرفيع استطاع أن يجمع هذه الكمية الكبيرة من الألفاظ التي لم يستطع أحد قبله أن يقوم بهذه المهمة، فجاء كتابه جامعاً لها، فضلاً عن الزيادات الكثيرة التي استدرك فيها عليهم، وتطرقه للظواهر اللغوية الأخرى، مثل (المقلوب) وجوازه في اللغة إذا أمن اللبس، وتغير معنى اللفظ المفرد إلى معنى الاثنين(٣)، كذلك تطرقه للمسائل النحوية والبلاغية، وخلاصة القول، فإن كتاب الأضداد لابن الأنباري يعد من أوسع كتب الأضداد، حيث أتى على جمع ما ألف قبله وأربى عليهم، فضلا عن بروز ملكته العلمية الواسعة التي تجلت في وضوح التعبير، وسهولة الأسلوب، ووفرة روايته وكثرة سماعة، شارحاً المعنى الدقيق لها، راداً على الطاعنين للغة العرب، منتصراً إليهم ووفرة ما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد، حيث وصلت دراسته قمة في النضج في مجال الدراسات اللغوية، وإكمالاً للمحاولات لدراسة هذه الظاهرة بشيء من التفصيل.

كتب خلق الإنسان

وكتب خلق الإنسان من الموضوعات اللغوية التي تناولت خلق الإنسان وأعضاءه وهيئته، وكثر التأليف فيها في مختلف العصور.

فألف في هذا القرن المفضل بن سلمة(٤) (ت ٣٠٠ هـ)، وأبو محمد القاسم بن محمد الأنباري(٥) (ت ٣٠٤ هـ)، وأبو موسى الحامض(٦) (ت ٣٠٥ هـ)، ومحمد بن حبيب النحوي(٧) (ت ٣٠٥ هـ)، والزجاج (ت ٣١٠ هـ)،

---

(١) المصدر نفسه: ٣٨، ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه: ٦٥، ٢٦٠.

(٣) الأضداد في اللغة: ٤٤٢.

(٤) الفهرست: ٩٠، معجم الأدباء: ١٨/١٩٦، إنباه الرواة: ٣/٣٠٦، وفيات الأعيان: ٣/ ٣٤٣.

(٥) الفهرست: ٨١، كشف الظنون: ١/٧٢٢.

(٦) الفهرست: ٨٦، نزهة الألباء: ١٦٥، معجم الأدباء: ١١/٢٥٣، إنباه الرواة: ٢/٢٢.

(٧) كشف الظنون: ١/٧٢٢.

وداود بن الهيثم التنوخي[١] (ت ٣١٦ هـ)، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد[٢] (ت ٣٢٠ هـ)، وأبو الطيب الوشاء[٣] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[٤] (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو علي القالي[٥] (ت ٣٥٦ هـ)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ).

وقد وصل إلينا من هذه المجموعة كتابا، الزجاج، وابن فارس.

خلق الإنسان للزجاج[٦]

وهو من الكتب التي تناولت أعضاء الإنسان وصفاته وعلى ما سمعته العرب منها.

منهجه

قسم الزجاج كتابه على مقدمة وثلاثة وثلاثين باباً، مقصور على خلق الإنسان، وكل ما يتعلق فيه، ابتداء بالرأس وانتهاء بالقدمين.

أما في مقدمة الكتاب فتحدث فيها عن موضوع كتابه بقوله: «هذا كتاب يذكر فيه خلق أسماء أعضاء الإنسان وصفاته على ما سمعت من العرب[٧]».

بعد ذلك بدأ بوصف أعضاء الإنسان وكل ما يتعلق به من أسماء وصفات وأول كلامه كان عن الرأس حيث قال: «باب الرأس الظاهرة يقال لها: القروة

---

(١) معجم الأدباء: ٩٨/١١، كشف الظنون: ٧٢٢/١.

(٢) الفهرست: ٩٠، نزهة الألباء: ٢١٣، كشف الظنون: ٧٢٢/١.

(٣) الفهرست: ٩٣، تاريخ بغداد: ٣٢٥/١، بغية الوعاة: ٢١/١، كشف الظنون: ٧٢٢/١.

(٤) الفهرست: ١١٨، معجم الأدباء: ٣١٧/١٦، إنباه الرواة: ٨/٣، البلغة: ٢٤٦، كشف الظنون: ٧٢/١.

(٥) سماه الزبيدي في طبقاته (٢٠٣)، وابن خير في فهرسته (٣٥٥)، وياقوت في معجم الأدباء: (٣٢٥/٢)، والقفطي في إنباه الرواة: (٢٠٦/١)، سماه (حلى الإنسان)، وسماه حاجي خليفة في كشف الظنون ٧٢٢/١ (بخلق الإنسان)، والحقيقة أن تسمية (حلى الانسان) هي تحريف.

(٦) حققه الدكتور إبراهيم السامرائي، ونشره أول مرة في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العاشر سنة ١٩٦٢ ثم أعاد نشره في كتاب (رسائل في اللغة) في بغداد سنة ١٩٦٤.

(٧) مقدمة الكتاب.

والشواة[١]»، ويتابع الشرح في كل مايتعلق بالرأس وبعده يتكلم عن صفات الرأس ويعددها فيقول في باب صفة الرأس: «منها الكروس، يقال: رجل كروس، وهو العظيم الرأس، ومن الرؤوس: الأكيس، وهو العظيم المستدير[٢]».

ويستمر بالحديث في صفات الرأس، ثم ينتهي منه ويبدأ بالحديث عن العضو الآخر في جسم الإنسان والذي يأتي بعد الرأس، فيسمي أعضاء الإنسان ظاهرها وباطنها ذاكراً صفاتها، ويسير على هذا المنهج في جميع أبواب كتابه.

واعتمد الزجاج في كتابه على ثقافته اللغوية في شرح المادة فنراه لا يستشهد بأقوال العلماء في هذا الموضوع غير خمس مرات استشهد فيها للأصمعي فقط[٣]، وكذلك نلاحظ قلة اهتمامه بالشواهد الشعرية، فلا نجد في كتابه سوى بيتين[٤]، الأول استشهد به في حديث عن الوجه والآخر في صفة الإنسان.

رتب الزجاج كتابه ترتيباً عضوياً، بحسب هيكل الإنسان، فقد تناول كل عضو من أعضاء الإنسان الواحد تلو الآخر إلى أن ينتهي من جميعها.

خلق الإنسان لابن فارس

نشر مرتين[٥] وبعنوان (مقالة في أسماء أعضاء الإنسان)، أشار ابن فارس إلى أن الرسالة تقع في خلق الإنسان، وصرح بذلك في المقدمة بقوله: «هذا ما يجب

---

(١) خلق الانسان: ص٢٢ ط (١٩٦٤).

(٢) المصدر نفسه: ٢١.

(٣) خلق الانسان: ١١، ٢٦، ٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٨، ٢٦.

(٥) نشرها الدكتور داود الجلبي أول مرة في مجلة لغة العرب – الجزء الثاني– من السنة التاسعة سنة ١٩٣١ في الصفحات (١١٠ – ١١٦).

وأعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد الثاني والأربعون– الجزء الثاني – سنة ١٩٦٧، وضمت الصفحات (٢٤٢ – ٢٦٤)، وعليه أدار البحث الدكتور صلاح الدين الكواكبي، فوضع كتابه (نظرة عيان وثبات في مقالة أعضاء الإنسان) نشر منجماً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ثم جرده بكتاب نشر في سنة ١٩٦٧ وصدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق مطبعة الترقي بدمشق.

على المرء حفظه من خلق الإنسان[١]».

وبعد أن بين موضوع رسالته نبه عن طريقته في شرحه للمادة قال: «...فقد نرى من تعمق في غريب الكلام ووحشية، وإذا أراد الإخبار عن عضو من أعضائه بوجع يعتريه، أومأ إليه باليد قصوراً عن معرفة اسمه وهذا قبيح[٢]».

هكذا بين منهجه في رسالته متوخياً منها مدى فائدة مثل هذه الرسائل.

تناول ابن فارس في رسالته أعضاء الإنسان جميعها، ابتداء بالرأس وانتهاء بالساق، وبعد أن انتهى من وصف أعضاء الإنسان تكلم عن مراحل نشوء الإنسان منذ ولادته حتى وفاته فيقول: «ويكون ابن آدم طفلاً رضيعاً ثم فطيماً ثم يافعاً ثم حالماً حين يحتلم ثم طاراً إذا طر شاربه ثم مجتمعاً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم دالفاً إذا قارب الخطو[٣]».

وطريقته في عرض المادة هو أن يصف عضو الإنسان بالتفصيل وما يحتويه من معنى التذكير والتأنيث، وكان شرحه يعتمد على ثقافته اللغوية. وهذا ما وقفنا عنده في شرحه للرسالة، حيث لم ينقل كلاماً من اللغويين السابقين كالأصمعي والفراء وغيرهما، بالإضافة إلى ذلك أنه لا يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية وكلام العرب وحكمائها وأمثالها.

تناول في رسالته بالإضافة إلى أعضاء الإنسان صفات كل عضو من أعضائه إن وجدت[٤].

---

(١) المقدمة: ٢٤٢ مجلة مجمع اللغة العربية المجلد ٤٢، الجزء الثاني سنة ١٩٦٧.

(٢) المقدمة: ٢٤٥.

(٣) خلق الانسان: ٢٦٠.

(٤) كانت طبعة الدكتور داود الجلبي خالية من التحقيق والشرح والتعليقات، أما طبعة الدكتور فيصل دبدوب ففيها بعض الشروحات والتعليقات، وربما يعود السبب إلى أن النسخة هي فريدة ولا توجد هناك نسخ أخرى.

كتب الخيل

اهتم العرب بالخيل منذ وقت مبكر لما لها من دور في حياة الإنسان العربي، فقد أفادوا منها في نواح متعددة من حياتهم اليومية، فاعتمدوا عليها في الحرب والسلم، وفي التجارة والزراعة والتنقل والترحال من مكان إلى آخر، وقد اهتم اللغويون بها، فتناولوها بالبحث منذ عصر مبكر جداً من حيث أنواعها، أنسابها، أشكالها، صفاتها، وكل ما يتعلق بها، فمنهم من ألف فيها كتاباً ومنهم من خصص لها فصولا في كتبه، وألف فيه خلق كثير من اللغويين، منهم في القرن الرابع الهجري، أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري[(١)] (ت ٣٠٤ هـ)، والزجاج[(٢)] (ت ٣١٠ هـ)، وأبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي[(٣)] (ت ٣١٠ هـ)، وابن دريد[(٤)] (ت ٣٢١ هـ)، وأبو الطيب الوشاء[(٥)] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[(٦)] (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو علي القالي[(٧)] (ت ٣٥٦ هـ)، والحسين بن علي النمري[(٨)] (ت ٣٨٥ هـ).

وقد ضاعت هذه الكتب، حيث لم تصل إلينا، وهي مازالت في عالم المفقودات.

---

(١) الفهرست: ٨١.
(٢) الفهرست: ٣٦، إنباه الرواة: ١/١٦٥، وفيات الأعيان: ١/٤٩.
(٣) الفهرست: ٥١، طبقات النحويين واللغويين: ٦٥، وفيات الأعيان: ١/٥٠٢، الوافي بالوفيات: ٣/١٩٩.
(٤) الفهرست: ٦١، إنباه الرواة: ٣/٩٦، وقد ذكرها باسم الخيل الكبير والخيل الصغير.
(٥) الفهرست: ٩٣، كشف الظنون: ١/٧٢٣.
(٦) الوافي بالوفيات: ٤/٣٤٥، البلغة: ٢٤٦.
(٧) فهرسة ابن خير الأشبيلي: ٣٨٣، وذكره القالي في أماليه، ووضع عنواناً سماه (ما في الفهرس من أسماء الطير). أمالي القالي: ١/٢٥٢.
(٨) هدية العارفين: ١/٣٠٦.

كتب الأمثال

تمثل الأمثال جانباً مهما من حياة العرب، وهي مرآة صافية تنعكس عليها عادات تلك الشعوب، وتقاليدها وأساليبها، « فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسرْ شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل: أسير من مثل[١] »، وتعد لوناً آخر من التأليف في الدراسات اللغوية، لما يمثله (المثل) من حكاية لقصة أو حادثة معينة، ولما يحتويه من ألفاظ وتراكيب، كانت تستعملها القبائل في أوقات مختلفة، حتى أثرت على الخصائص اللغوية لكل قبيلة، وما اختصت كل واحدة منها بالمثل دون سواه.

وقد اهتم اللغويون بالأمثال، وراحوا يجمعونها في كتب مستقلة فنشطت على أثر ذلك حركة التأليف في الأمثال[٢]، حتى أخذت تضاهي حركة التأليف في علوم العربية. وممن ألف في الأمثال في القرن الرابع، أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري[٣] (ت ٣٠٤ هـ)، نفطويه[٤] (ت ٣٢٣ هـ)، وأبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو علي القالي[٥] (ت ٣٥٦ هـ)، وأبو أحمد العسكري[٦] (ت ٣٨٢ هـ)، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)، والخالع[٧] (ت ٣٨٨ هـ).

---

(١) العقد الفريد: ٣/٦٣.

(٢) صنع الدكتور رمضان عبد التواب في نهاية كتاب الأمثال العربية القديمة جدولا عدد فيه أسماء المؤلفين في كتب الأمثال منذ القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن السادس الهجري. انظر الأمثال العربية القديمة: ٢٢٣ — ٢٢٥.

(٣) الفهرست: ٨١، معجم الأدباء: ١٦/٣١٧، إنباه الرواة: ٣/٢٨.

(٤) الفهرست: ١٢٧، معجم الأدباء: ١/٢٧٢، إنباه الرواة: ١/١٨٠، وذكر له السيوطي كتاب (أمثال القرآن)، بغية الوعاة: ١/٤٢٨.

(٥) مخطوط في دار الكتب المصرية برقم (٧٤٤٢) أدب في (٧٨لوحة) جمع فيه أمثال المتقدمين الذين ذكرهم في مقدمته، ورتبها على ثلاثين بابا تشمل على الأمثال مرتبة على حروف المعجم، فهرست المخطوطات المصورة: ٢٥. وهو غير كتابه الآخر في الأمثال (أفعل من كذا).

(٦) معجم الأدباء: ٨/ ٢٣٦، إنباه الرواة: ١/٣١٢.

(٧) وهو الحسين بن محمد بن جعفر الرافعي المعروف بالخالع، سكن بغداد توفي سنة ٣٨٨ هـ. انظر ترجمته: لسان الميزان: ٢/٢١٠، معجم الأدباء: ١٠/١٥٥، أما كتابه =

وقد وصلت من هذه المجموعة كتب: ابن الأنباري، وأبي علي القالي، والصاحب بن عباد.

الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري(١)

وهو من الكتب الأدبية القديمة، تناول فيه مؤلفه مسائل كثيرة لغوية ونحوية وصرفية، فضلاً عن احتوائه على مجموعة كبيرة من الأمثال، وما يستعمله عامة الناس في محاوراتهم وكلامهم.

وقد تناوله بالدرس والتفصيل الدكتور حاتم صالح الضامن، فأغنانا عن الخوض في دراسته.

كتاب أفعل لأبي علي القالي(٢)

وكتاب القالي من كتب الأمثال على صيغة أفعل التفصيل، التي اعتنت بجمع الأمثال العربية التي جاءت على وزن أفعل من كذا.

منهجه

أول ما يمكن ملاحظته على الكتاب، أن مؤلفه جمع في كتابه الأمثال التي جاءت على صيغة (أفعل من كذا) من العربي والمولد، حيث بدأ حديثه عن العربي، أعقبه بالحديث عن المولد، متمثلاً بالعبارة التالية: «ومن كلام أهل الحضر(٣)» أو «ويقول أهل الحضر(٤)».

لم يتبع القالي منهجاً مبوباً ومرتباً في كتابه، وإنما ساق الأمثال كيفما اتفق، لكنها سيقت على نحو من التناسق المعنوي الراجع إلى حكم الذوق، فأحياناً يتبع

(الأمثال) فقد ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء: ١٠/١٥٥، وحاجي خليفة في كشف الظنون: ١/١٥٠.

(١) حققه الدكتور حاتم صالح الضامن، ونشرته وزارة الثقافة والإعلام، وطبع في بغداد سنة ١٩٧٩، وصدر في جزأين.

(٢) حققه الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور وطبع في تونس سنة ١٩٧٢.

(٣) كتاب أفعل: ٣٦.

(٤) المصدر نفسه: ٦٧.

المادة بضدها مثل «أحسن بأقبح[١]»، حيث تعاقبت عنده اللفظتان، ومرة يتبع مجانستها اللفظية[٢]، كما أتبع «أشكر بأشهر[٣]»، أو يتبع على المناظرة والمجانسة لفظاً ومعنىً[٤].

لقد طغى الجانب اللغوي في شرحه للأمثال، وكان جلّ اهتمامه تفسير الألفاظ الغريبة، والاستشهاد عليها، ويذكر لكل مثل من الأمثال التي أوردها قصة، مع ذكره الاسم الذي أطلق عليه المثل أول مرة، مثل قوله: «ويقال أحمق من جهيزة، وهي أم شبيب الخارجي[٥]»، وقوله أيضاً: «هو أبعد من العيوق، وهو نجم[٦]».

وكان في أثناء ذكره الأمثال أيضاً يقتصر على ذكره فقط، دون الخوض بالشرح والتفصيل، مثل قوله: «أصبر من الحجر[٧]»، «أبيض من قرن الشمس[٨]» «وأمر من الهجر[٩]».

لقد اشتمل كتاب القالي على ثلاثمائة وستة وخمسين مثلاً كما أحصاها محقق الكتاب[١٠]، لقد خلا الكتاب من اسم راويه، وإنما بدأ برواية «أبي علي إسماعيل بن القاسم رحمه الله وغفر له[١١]».

مصادره

على الرغم من صغر كتابه، إلا أنه استشهد في أثناء تفسيره للمثل، بالشعر، حيث مثل مصدره الوحيد في كتابه، إذ تقف شواهده الشعرية عند شعراء العصر العباسي، فاستشهد من الجاهليين بكلام امرىء القيس[١٢]، والنابغة الذبياني[١٣]،

(١) انظر المصدر نفسه: ٣٥- ٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣٢.
(٣) انظر المصدر نفسه: ٤٧ — ٤٨.
(٤) انظر مقدمة محقق الكتاب: ٣٢.
(٥) كتاب أفعل: ٦٢.
(٦) المصدر نفسه: ٦٤.
(٧) المصدر نفسه: ٤٦.
(٨) المصدر نفسه: ٧٠.
(٩) المصدر نفسه: ٩٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٣١.
(١١) المصدر نفسه: ٣٥.
(١٢) كتاب أفعل: ٤٩.
(١٣) المصدر نفسه: ٤٢.

وعدي بن زيد[١]، وعنترة[٢]، ومن الإسلاميين أمثال: لبيد[٣]، حميد بن ثور[٤]، ومن الأمويين استشهد بكلام الفرزدق[٥]، والكميت[٦]، والطرماح[٧]، ومن العباسيين أمثال: بشار بن برد[٨]، وقد ذكر بعض شواهده الشعرية دون نسبة[٩].

وليس للشواهد القرآنية من نصيب في الكتاب، والحديث النبوي الشريف أما روايته عن العلماء، فقد روى عن أبي عمرو بن العلاء[١٠]، والأصمعي[١١]، وابن السكيت[١٢]، وغيرهم.

وهناك ظاهرة في كتاب (أفعل) للقالي، جديرة بالتقييد وهي، أن القالي أكثر من النقل عن محمد بن حبيب، من كتابه «المنمق في الأمثال على أفعل». وقد أشار إليه الدكتور محمد حسين آل ياسين في أثناء حديثه عن كتب الأمثال، إلا انه أغفل ذكر كتاب القالي، ومواضع الأخذ من ابن حبيب، حيث ذكر أن الكتاب مفقود، وفيه سبعة أمثال فقط، وجعلها قطعة من أمثال ابن حبيب[١٣].

تجلت أهمية كتاب القالي، في أن مؤلفه، أورد أمثالاً عربية ومولدة وردت على صيغة (أفعل) فضلاً عن انفراده بمجموعة من الأمثال، فقد لا تحتويه كتب الأمثال على صيغة (أفعل) ولا في تضاعيف كتبهم أمثال: حمزة الأصفهاني (ت ٣٦٠ هـ) وجمهرة الأمثال للعسكري (ت ٣٩٥ هـ)، وكتاب المستقصى للزمخشري (ت ٥٣٨هـ[١٤]).

---

(١) المصدر نفسه: ٣٦، ٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٨٦.

(٣) المصدر نفسه: ٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ٧٣.

(٦) المصدر نفسه: ٦١.

(٧) المصدر نفسه: ٧١.

(٨) المصدر نفسه: ٣٧.

(٩) المصدر نفسه: ٤٣، ٥٧، ٧٥.

(١٠) المصدر نفسه: ٥٠.

(١١) المصدر نفسه: ٥١.

(١٢) المصدر نفسه: ٦٤.

(١٣) الدراسات اللغوية عند العرب: ١٨٦.

(١٤) انظر مقدمة محقق كتاب (أفعل): ٣٠، وانظر الأمثال العربية القديمة: ١٩٧ — ١٩٨.

الأمثال السائرة من شعر المتنبي، للصاحب بن عباد[١]

ألفه الصاحب بن العباد (ت ٣٨٥ هـ) لفخر الدولة، وبدأه بحمد الله ثم استشهد بآية قرآنية فيها ذكر للمثل، قوله عز وجل: ﴿ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[٢]، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد (ﷺ)، بعدها تحدث عن فخر الدولة، وما يتصف من صفات، ثم تكلم عن المثل بصورة عامة، ثم تحدث عن المتنبي وبراعته في الشعر، وصناعته الألفاظ فقال: «وهذا الشاعر مع تميزه وبراعته، وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصاً مذهب سبق به أمثاله، فأمليت ما صدر عن ديوانه من مثل رائع في فنه، بارع في معناه ولفظه، ليكون تذكرة في المجلس العالي، تلحظها العين العالية، وتعيها الأذن الواعية[٣]».

وأول ما يمكن ملاحظته على الرسالة، بُعدها عن الميدان اللغوي، ولا تُعد من كتب الأمثال، لخلوها من الشروح اللغوية والتفسيرات المعنوية، وذكر غريب الأمثال، واشتقاقها ، ومصادرها ،وما يتصل بذلك ، كذلك خلوها من المناسبة التي قيلت فيها ، وإنما اكتفى بذكر الأبيات ، دون ترتيب أو تبويب ، حيث بلغت ثلاثمائة وتسعة وستين بيتاً.

وصفوة القول فإن هذه الرسالة لا يمكن أن نضعها في التأليف في كتب الأمثال ، وذلك لخلوها من التعليقات على الأمثال التي قالها المتنبي ، حيث يطغى الجانب الأدبي ، وقد علم فخر الدولة على الأبيات التي قرأها في هذه الرسالة من باب الاستحسان أو الانتقاد.

الأنواء

اهتم العرب منذ بداية حياتهم بالأنواء، فقد عولوا على معرفة شروق الشمس وطلوع القمر ، وأيام السنة الشمسية والقمرية ، ومعرفة الأحوال الطبيعية من حر وبرد مقترنة بالمواسم التي تتعرض لها الحياة الطبيعية ، فعرفوا الكواكب والنجوم ، وما هو عددها وكل ما يتعلق بها وقت المغيب والمشرق ، والأمطار

(١) حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، ونشرته مكتبة النهضة وطبع في بغداد سنة ١٩٦٥.

(٢) البقرة: ٢٦.

(٣) الأمثال السائرة: ٢٢.

والرياح ، فكان التوقيت عندهم يعتمد على طلوع القمر، وهكذا في بقية الأحوال الطبيعية الأخرى.

بدأ التأليف في هذا الفن في وقت مبكر من الحياة العلمية عند العرب، ويطالعنا البيروني (ت٤٤٠ هـ) في كتابه «الآثار الباقية من القرون الخالية[١]»، بالتعريف بهذا الفن بقوله: «ولم يبق من استغراق هذا الفن إلا معرفة طلوع ومنازل القمر في أيام السنة الشمسية، فإنه أمر يستعمل لما فيه من عموم المنفعة به في تقديم المعرفة بالأحوال الطبيعية التي لا تخلو من الانتقال فيها والتردد بترددها فلنصرف القول إلى ذكر جوامع ذلك وعيوبه، ونضيف إليها نيفاً من أمثالها ملتقطةً من الكتب المؤلفة في هذا المعنى ككتاب الكلثومي وكتاب إبراهيم بن السري الزجاج وأبي يحيى بن كناسة وأبي حنيفة الدينوري في الأنواء[٢]».

وألف في هذا القرن جماعة من اللغويين في الأنواء ، فألف المفضل بن سلمة[٣] (ت ٣٠٠ هـ)، والزجاج[٤] (ت ١٠ هـ)، والأخفش الصغير[٥] (ت ٣١٥ هـ) وابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، وأبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ) وسماه يوم وليلة[٦].

ولم يصل إلينا من هذه المجموعة من الكتب سوى كتاب (يوم وليلة) لأبي عمر الزاهد، ونقولات من كتاب الزجاج ذكره البيروني في كتابه: «ومن خلال مطالعتنا لكتاب البيروني (الآثار الباقية من القرون الخالية) نستطيع أن نعرف مادة الزجاج في كتابه، على الرغم من قلة النصوص التي أوردها البيروني، منها قوله: «الهنعة: وهي كوكبان زاهران في المجرة، قال الزجاج: الهنعة من هنعت الشيء إذا

(١) نشرته مكتبة المثنى بطريقة التصوير(أوفست) على طبعة ليبزك سنة ١٩٢٣م.

(٢) الآثار الباقية /٣٣٦.

(٣) الفهرست: ١١٦، معجم الأدباء: ١٩/١٦٣.

(٤) الفهرست: ٦٦، الآثار الباقية: ٣٣٦، معجم الأدباء: ١/١٥٩، إنباه الرواة: ١/ ١٦٩، وفيات الأعيان: ١/٤٩.

(٥) الفهرست: ٩١، معجم الأدباء: ١٣/٢٤٦، إنباه الرواة: ٢/٢٧٦.

(٦) الفهرست: ٦٧، إنباه الرواة: ٣/٩٦، نزهة الألباء: ١٦٧.

عطفته، وثنيت بعضه على بعض فكان كل واحد منهما ينعطف على صاحبه[١]»، وقال أيضاً (العواء: وهو خمسة كواكب على خط معقف الطرق، ولذلك سمي بهذا الاسم، يقال: عويت الشيء إذا عطفته، قال الزجاج: ولا أعرف أحداً غيري فسره على هذا، وإنَّ من قال بأنها هي كلاب تتبع الأسد وتعوي، غلط، وهي على صدر العذراء وجناحها[٢]».

ونقل البيروني من كتاب الزجاج قوله: (البلدة: وهي رقعة من السماء، قفر لا كوكب فيها، قال الزجاج: شبهت بالفرجة التي تكون على الحاجبين، إذا لم يكونا مقرونين، ويقال رجل أبلد، إذا كان غير مقترن ما بين الحاجبين[٣]).

وذكر البغدادي في كتابه (خزانة الأدب) أنه رأى الكتاب وجعله من مراجعه اللغوية وسماه: (كتاب الأنواء وأسماء الشهور[٤])، ونقل منه نصوصاً قال: (والذراعان والجبهة من منازل القمر الثمانية والعشرين، فالذراعان، أربعة كواكب، وكل كوكبين منهما ذراع قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه الأنواء: ذراع الأسد المقبوضة، وهما كوكبان بينهما كواكب صغار، يقال لها: الأظفار، وإنما قيل الذراع المقبوضة لأنها ليست سمت الذراع الأخرى، وهي مقبوضة عنها، ونؤوها يكون لليلتين تمضيان من كانون الثاني يسقط الذراع في المغرب غدوة وتطلع البلدة والنسر الطائر في المشرق غدوة، وفيه يجمد الماء ويشتد البرد[٥]).

يتبين من خلال النصوص التي أوردها (البيروني) و(البغدادي) أن الزجاج كان يعرف الأيام والليالي والكواكب والسماء، ونراه أيضاً يورد آراء جديدة لم يفسرها أحد قبله[٦]، كما ذكر ذلك في كتابه، كما غلط التعريفات التي عرفها من

---

(١) الآثار الباقية: ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٤.

(٣) الآثار الباقية: ٣٤٥، وينظر أيضاً في الصفحات ٣٤٥، ٣٤٦.

(٤) خزانة الأدب: ١/١٦٥.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٦٥.

(٦) الآثار الباقية: ٣٤٤.

سبقه[1].وكان الزجاج يميل إلى الشرح والتفضيل، لكن يبقى منهج الزجاج غامضاً لدينا، والمصادر التي اعتمدها في كتابه لفقدان الكتاب.

كتاب يوم وليلة لأبي عمر الزاهد

حققه الدكتور محمد جبار المعيبد ضمن رسالته عن أبي عمر الزاهد[2].

ووضعته ضمن كتب الأنواء، لأن الزاهد تحدث فيه عن الأيام والشهور والليالي والشمس والقمر، وكل ما يتعلق بالأنواء من أيام الحر والبرد، فيكون أقرب إلى كتب الأنواء من الموضوعات اللغوية الأخرى.

وأشارت أكثر المصادر إلى أن أبا عمر الزاهد ألف كتاباً في الأيام والليالي سماه «يوم وليلة في الغريب واللغة[3]».

منهجه

الكتاب خالٍ من المقدمة ومن ذكر سبب تأليفه الكتاب، ومن الراوي وسند الرواية.

وكتاب الزاهد مقسم على خمسة وعشرين باباً هي:

١. باب الأيام.
٢. باب الشهور.
٣. باب من الشهور.
٤. باب من أسماء أيام الشهور.
٥. باب من الأيام والشهور والحول والليالي ما كان من ذلك كاملا تاماً.

---

(١) المصدر نفسه: ٣٤٥.

(٢) رسالة ماجستير بعنوان(أبو عمر الزاهد حياته وآثاره مع تحقيق كتاب يوم وليلة والرسالة لم تطبع بعد، محفوظة في مكتبة الدراسات العليا ـــ جامعة بغداد) ونشر المعيبد (يوم وليلة) في مجلة معهد المخطوطات، المجلد الرابع والعشرون، الجزء الثاني سنة ١٩٧٨م.

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست: ٨٣، وياقوت في معجم الأدباء: ٢٣٢/١٨، والقفطي في إنباه الرواة: ١٧٧/٣، والصفدي في الوافي بالوفيات: ٧٢/٤، وعند ابن خلكان: ٤/ ٣٣٠، والبغدادي في خزانة الأدب: ١١/١ (باسم اليوم والليلة والشهر والسنة والدهر). وينظر أبو عمر الزاهد، حياته وآثاره.

٦. باب من أسماء السنين والدهور.
٧. باب العلم وأسمائه.
٨. باب أسماء الليالي ونعوتها.
٩. باب من صفة الليالي وأنواعها.
١٠. باب من أوقات الليل.
١١. باب تسمية ساعات الليل.
١٢. باب أسماء الليالي، ثلاثاً ثلاثاً، الثلاث الأولى من كل شهر.
١٣. باب الهلال وأسمائه.
١٤. باب القمر وما قيل فيه.
١٥. ومن أسماء القمر.
١٦. باب الشمس والقمر وما يقال فيها.
١٧. باب في عدد الشهور.
١٨. باب الأيام المعلومات والمعدودات.
١٩. باب البرد.
٢٠. باب في ذكر الأيام.
٢١. باب في شدة الأيام والطول والقصر.
٢٢. باب في اليوم الطويل والقضاء.
٢٣. باب في صفة أيام الحر وشدته.
٢٤. باب في السراب والآل.
٢٥. باب الأزمنة.

هذا هو تقسيم الكتاب، والزاهد في تناوله المادة كان يشرحها شرحاً مفصلا مستشهداً بذلك بكلام اللغويين والأشعار والأرجاز، بالإضافة إلى آيات من القرآن الكريم.

ضمن الزاهد كتابه مسائل لغوية نادرة فاتت معجمات اللغة فلم تذكرها مثل: «يوم سخدان وسخدان: أي شديد الحر[1]»، والمعروف أن الكلمة هي

---
(١) أبو عمر الزاهد: ٢٤٦.

بالصاد، ففي اللسان: «صخد، يوم صخدان وصخدان: شديد الحر[1]».

مصادره

والذي يطالع كتاب الزاهد يلاحظ أنه حافل بآراء ثعلب والمبرد، حيث كان يكثر من الرواية عنهما، فهما من طلائع مصادره، وكذلك روى عن لغويين كثيرين بعد شيخيه أمثال: الفراء، وابن الأعرابي والأصمعي، وغيرهما. فقد صدر كتابه بقوله: «أخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء...» ويبدأ بالشرح.

وكان استشهاده بالشعر لا يقل شأنا عن كلام اللغويين، فاستشهد لمجموعة كبيرة من الشعراء الجاهليين والإسلاميين والأمويين والعباسيين. والشعر الذي يستشهد به مرة ينسبه وأخرى يهمله.

واعتمد الزاهد في كتابه على كتاب الفراء، فأكثر النقل عنه، وفي أماكن كثيرة من كتابه.

ويعد كتاب الزاهد من الكتب المهمة والقليلة التي تناولت موضوع الأيام والليالي، والتي وصلت إلينا، وتجلت أهميته بوجود نصوص لشيخيه ثعلب والمبرد مما خلت منه الكتب الأخرى، كذلك وجود نصوص كثيرة مما خلا منها كتاب الفراء، ويشير الزاهد بذلك وينسب القول إلى الفراء نفسه.

(١) اللسان: ٣/٢٤٥ مادة (صخد).

الفصل الثالث

علوم القرآن

مقدمة

المبحث الأول: معاني القرآن.

المبحث الثاني: غريب القرآن.

المبحث الثالث: القراءات.

المبحث الرابع: الوقف والابتداء.

مقدمة

اختار الله سبحانه وتعالى العرب من سائر الأمم لأن يحملوا شرف هذه الأمانة، حتى كرمها بالنبي محمد (ﷺ) وحمل لواء نشر الإسلام في أرجاء الأرض.

أنزل الله تعلى قرآنه الكريم باللغة العربية، فقد قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [1]، فوجب على المسلمين من العرب والأعاجم أن يتعلموا العربية ويتقنوها، لأنها لغة القرآن وبها نزل، ودخلت أقوام كثيرة تحت راية الإسلام، فأخذ النبي محمد (ﷺ) يشرح للناس ما يأتي به الوحي من أحكام الدين الجديد متمثلة في القرآن الكريم، حيث كان يقيم مجالسه في المسجد والناس حوله يتلقون معرفة هذه الأحكام وأسباب نزولها، ويتعلمون القراءة الصحيحة، وما أن انتقل النبي (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى، حتى أخذ الصحابة والتابعون يفسرون ويشرحون الآيات القرآنية تتبعا لزيادة معرفة الإسلام. وهكذا استمرت الحلقات تعقد في المساجد لفهم نصوص القرآن الكريم، وعلى مر العصور أخذ العلماء يؤلفون فيه، فكان العراق من أوائل الحواضر الإسلامية التي نشأت فيها علوم القرآن، فكان الصحابي عبد الله بن مسعود[2] (ت ٣٢ هـ) أول من أنشأ مدرسة (للتجويد) كان مقرها العراق، واستمر الصحابة يحفظون القرآن ويشرحون ألفاظه، فجلس ابن عباس[3] (ت ٦٨ هـ) وحوله الناس متحلقين، وهو يشرح لهم آيات القرآن الكريم مستعيناً على تفسيره بالشعر العربي. فلما كثر الداخلون إلى الإسلام من غير العرب، واختلفت القراءات بسبب عدم ظهور التنقيط، تصدى أبو الأسود الدؤلي[4] (ت ٦٩ هـ) لمواجهة هذا الحدث العظيم، فأخذ نفسه بأمر عظيم، هو نقط المصاحف تنقيطاً لوجوه الأعراب، وهو بذلك يُعد أول من نقط المصاحف، ووضع النحو بإشارة من الإمام علي عليه السلام.

وزاد اهتمام الناس بالقرآن الكريم منذ نزوله على النبي (ﷺ) فهموا إلى

---

(١) يوسف: الآية٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ت ٤٩٥٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم.

(٤) انظر طبقات الشعراء: ١١، ورسالة السيوطي (الأخبار المروية في سبب وضع العربية) ص ١٦٣.

معرفة كل ما يتعلق به، فنشأ التأليف في علومه، فألف في التجويد والقراءة، والوقف والابتداء، وفي تفسير القرآن، وأسباب نزوله... إلخ من العلوم الأخرى، فكان المقرئ يؤلف في القراءات وعددها والقراء، وأخذ علماء النحو يدرسونه في مختلف الوجوه النحوية واللغوية.

المبحث الأول

كتب معاني القرآن

نشأ الدرس اللغوي مختلطاً ومتداخلاً في كتب علوم القرآن الكريم، فكان للقرآن الكريم أثر في نشأته، وقد اهتم اللغويون في وضع مؤلفاتهم في معاني آيات القرآن الكريم وشرحها، وبيان مشكلاتها اللغوية وما فيها من غريب الألفاظ وغوامضها، وإزالة اللبس فيها، فكان التأليف في معاني القرآن جمع بين الشرح اللغوي والتفسير.

وقد ألف في هذا الموضوع علماء كثيرون حتى كان لعلماء القرن الرابع حظ كبير في التأليف فيه، فألف المفضل بن سلمة[١] (ت ٣٠٠ هـ)، والزجاج (ت ٣١٠ هـ)، وأبو بكر بن الخياط[٢] (ت ٣٢٠ هـ)، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد[٣] (ت ٣٢٠ هـ)، وأبو عبد الله الخزار[٤] (ت ٣٢٥ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري[٥] (ت ٣٢٨ هـ)، وسماه (المشكل في معاني القرآن)، وعلي بن عيسى الجراح[٦] (ت ٣٣٤ هـ)، وابن درستويه[٧] (ت ٣٤٧ هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش[٨] (ت ٣٥١ هـ)، وسماه (الموضح في القرآن ومعانيه).

وقد وصل إلينا من هذه المجموعة (معاني القرآن للزجاج) أما بقية الكتب فما تزال في عداد المفقود.

(١) نزهة الألباء: ١٣٨.

(٢) الفهرست: ٨٩، نزهة الألباء: ١٦٩، معجم الأدباء: ٦/٢٨٣، بغية الوعاة: ١/١٩.

(٣) الفهرست: ٩٠.

(٤) الفهرست: ٩٠.

(٥) الفهرست: ١١٨، تاريخ بغداد: ٣/١٨٤، معجم الأدباء: ١٨/٣١٢، إنباه الرواة: ٣/ ٢٠٨، طبقات المفسرين: ٢/٢٢٩، والجميع أكدوا أنه لم يتمه.

(٦) الأعلام: ٥/١٣٣.

(٧) الفهرست: ٦٨، إنباه الرواة: ٢/١١٤، هدية العارفين: ١/٤٣٦، وقد أكدت المصادر أنه لم يتمه.

(٨) الفهرست: ٣٦.

معاني القرآن للزجاج[1]

أملى الزجاج كتابه (معاني القرآن) على التلاميذ، حيث نص الزجاج على ذلك بقوله: «وجميع ما أملي عليكم في هذا الباب[2]»، ويؤيد ذلك ما أورده الأزهري في كتابه (تهذيب اللغة) بقوله: (منهم أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي صاحب كتاب – المعاني في القرآن – حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب، فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه، وكان متقدماً في صناعته، بارعاً صدوقاً، حافظاً لمذاهب المصرين في النحو ومقاييسه[3]).

أما ياقوت الحموي فقد ذكر السنين التي استغرقت إملاء الكتاب بقوله: «قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم (بمعاني القرآن) في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة[4]».

يتبين لنا من كلام الأزهري وياقوت أن الزجاج استغرق في إملائه ست عشرة سنة، وصرح ياقوت بذلك، أما الأزهري، فإن دخوله بغداد كان بعد سنة (٣٠٠ هـ)، أي بعد فراغ الزجاج من إملاء كتابه.

منهجه

وصل إلينا كتاب الزجاج خاليا من اسم راويته ومن المقدمة، يبدأ بشرح آيات القرآن الكريم من ناحية الإعراب والمعنى، وقد ذكر الزجاج ذلك قائلاً: «هذا مختصر في إعراب القرآن ومعانيه، ونسأل الله التوفيق في كل الأمور[5]».

عالج الزجاج آيات القرآن الكريم من ناحية الإعراب والمعنى، فابتدأ أولاً بالبسملة ثم الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران.... وهكذا إلى نهاية سور القرآن،

---

(١) حققه الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، وطبع في بيروت سنة ١٩٧٨ بأربعة أجزاء، وهناك نسخة مصورة بحوزة الدكتور صالح التكريتي، الأستاذ في كلية التربية – جامعة بغداد – وقد أطلعني عليها مشكوراً.

(٢) معاني القرآن: ٤/١١٠ وانظر الزجاج النحوي: ٨٨.

(٣) تهذيب اللغة: ١/٢٧.

(٤) معجم الأدباء: ١/١٥٩.

(٥) معاني القرآن: ١/١.

وحسب تسلسل الآيات، فبدأ بالآية الأولى ثم الثانية ثم الثالثة.... إلى نهاية السورة، وإنما يفسر ويشرح ما يراه في إشكال معاني الآية، وما تحتاج إليه من إيضاح.

ويطغى الجانب النحوي على مادة الكتاب، فأول ما يبدأ بذكر الآية، حيث يقوم بشرحها من الناحية الإعرابية، مبيناً وجوه الإعراب المختلفة، ثم يأتي بمعناها بعد ذلك.

لقد جاء كتاب الزجاج مشحوناً بالمادة النحوية، كما ضم جمهرة من أقوال القراء والمفسرين، ورفده بالنافع من كلام أهل البلاغة والبيان، حيث أورد فيه طائفة من آراء النحاة،.... ومنها على سبيل المثال: قوله: قال تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (١)، موضع (ريب) نصب، قال سيبويه: «(لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه، ونصبها لما بعدها كنصب (أنَّ) لما بعدها، إلا أنها تنصبه بغير تنوين، وزعم أنها مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد لأنها جواب لما تكون بمنزلة شيء واحد كأنها جواب قول القائل: هل من رجل في الدار(٢)».

وتناول معنى الألفاظ، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ (٣).

تناول معناها بقوله: «يعني أن المن والسلوى أرفع من الذي طلبتم(٤)».

واعتمد الزجاج على قراءة القراء في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ ﴾ (٥) «أجمعت القراء على فتح الميم وقد روي عن الرؤاسي (ألم الله) بتسكين الميم، وقد روى هذه القراءة بعضهم عن عاصم في رواية أبي بكر بن عباس، وأبي عمرو، فتح الميم، وفتح الميم إجماع(٦)».

---

(١) البقرة: الآية: ٢.
(٢) معاني القرآن: ١/٧.
(٣) البقرة: الآية: ٦١.
(٤) معاني القرآن: ١/٢٤.
(٥) آل عمران: الآيتان: ١، ٢.
(٦) معاني القرآن: ١/٨١.

وتحدث الزجاج أيضاً عن ظاهرة الاشتقاق والإبدال ذاكراً الكلمات المشتقة والحروف المبدلة، ففي حديثه عن الاشتقاق قوله في اشتقاق (اسم) «وما قلناه في اشتقاق اسم ومعناه قول لا نعلم أحداً فسره قبلنا[1]»، وقوله أيضاً في قوله تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [2] «الذلة: الصغار، والمسكنة: الخضوع، واشتقاقه من السكون إنما يقال مسكين للذي قد أسكته الفقر أي قلل حركته[3]»، وأما حديثه عن الإبدال فوقف عند كلمة (بكة، ومكة) (فأما مكة بالميم فيصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة، والميم تبدل من الباء، يقال: ضربة لازب ولازم[4]).

اجتهد الزجاج في كتابه أن يكون جامعاً لكل فنون العربية، مفيداً في بابه، فهو عندما يشرع بشرح الآية يتحدث عنها من جميع الوجوه، ويشبعها درساً وتفصيلاً، وقد غلب عليه المنهج النحوي، لذلك نراه يهتم بالنحو اهتماماً بالغا فلم نجد آيةً من القرآن، الكريم إلا وقد بين وجوهها الإعرابية، وقد أبدع في إيراد الآراء النحوية، وكأنه أراد أن يسد الفراغ الذي تركه المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في النحو.

بدأ بتأليف الكتاب في السنة نفسها من وفاة شيخه[5]، ونراه يترحم عليه في ثنايا كتابه[6]، واستطاع الزجاج أن يخلف أستاذه المبرد في الدرس، حيث انتهت إليه الرئاسة بعد موته[7].

تناول الزجاج إلى جانب النحو المسائل الصرفية من حيث بناء الكلمة وأوزان الأسماء والمفرد والجمع، وتناول ظاهرة التذكير والتأنيث وقد أطال التفسير في شرحه، وأول ما يطالعنا كتابه نراه يطيل في سورة البقرة، وتقل هذه

---

(١) معاني القرآن: ١/٥، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ج ١/٦.
(٢) البقرة: الآية: ٦١.
(٣) معاني القرآن: ١/٢٤، وقارن بكتاب: الفروق اللغوية للعسكري ص/٣.
(٤) معاني القرآن: ١/٩٨، وانظر ابدال ابن السكيت: ٧٤.
(٥) معجم الأدباء: ١/١٥٩.
(٦) معاني القرآن: ١/٩٤، ١٨٨.
(٧) الفهرست: ٦٦.

الإطالة كلما تناول سورة من سور القرآن، وأراد الزجاج ألا يكرر ما شرحه إذا تشابهت الألفاظ في السور فكان يحيل على ما تقدم من شرح، فمثلاً ما ورد من كلامه في قوله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ﴾[١]» لم يشرح هذه الآية لتناولها سابقاً، حيث صرح بقوله: «وقد بينا في أول البقرة ما قيل في (ألم) وما أشبه ذلك[٢]».

واهتم أيضاً برسم المصحف، وكل قراءة خالفت المصحف تكون عنده غير جائزة، وإن كانت ثابتة في الرواية، أو وافقت العربية، ويعلل ذلك بقوله: «إن المصحف مجمع عليه»، ويدعم رأيه بالأمثلة، حيث كان يختار أفضل وجوه أهل العلم في ما يذهب إليه.

مصادره

جعل الزجاج القرآن الكريم في مطلع مصادره، حيث تمكن من تفسير ما أبهم فيه بآي آخر منه.

وتناول القراءات القرآنية المختلفة، فعرض لقراءات شتى، وكان غرضه من ذلك هو أن يدعم رأيه ويقوي بها مذهبه، فذكر القراء السبعة، وفي إيراده للقراءة نلاحظه يعالج وجوهها ويقيم عليها رأيه بعد ذلك. وكان للشعر حظه من مصادره، فحفل كتابه بكثير من الأبيات الشعرية، والرجز، وكثيراً ما يورد شواهده، غير منسوبة إلى قائليها[٣]، ويندر أن يذكر اسم الشاعر أو الراجز[٤]، فاختار من شعراء العصر الجاهلي، والإسلامي والأموي والعباسي، وتنوعت لديه مواطن الشعراء وأماكنهم. وكذلك فعل بالنسبة للأرجاز، فمرة يترك النسبة، ومرة يذكرها، وأكثر الزجاج النقل عن المفسرين والقراء، وأهل اللغة، فنراه مرة يصرح بهم أمثال ابن عباس[٥] (ت ٦٨ هـ)، وعبد الله بن مسعود[٦] (ت ٣٢ هـ)،

(١) يونس: الآية ١.
(٢) معاني القرآن: ٢/٩٧.
(٣) معاني القرآن: ١/١٧٤، ٢/٣٣٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٤٥، ٢/٢٢٠.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٣٢.
(٦) المصدر نفسه: ١/١٨.

ومرة يكتفي بذكر عبارة «قال المفسرون[١]»، «قال أهل اللغة[٢]»، واستشهد أيضاً بآراء العلماء من كلا المصرين، فأورد آراء الخليل[٣]، وسيبويه[٤]، والأخفش[٥]، وأبا عمرو[٦]، والمبرد[٧]، وأورد آراء الرؤاسي[٨]، والكسائي[٩]، والفراء[١٠] وغيرهم، فحفل كتابه بمجموعة كبيرة من الآراء، إلا أنه لم يكن مسلماً بآرائهم فيناقشهم ويفند آرائهم، ويخطؤهم، كلما احتاج الموضوع إلى ذلك، كما ذهب إلى تخطئة الكسائي والفراء مستعيناً على ذلك بالأدلة والبراهين القوية، ونرى الزجاج في شرحه يذكر عبارة البصريين أو الكوفيين مثل قوله: «قال البصريون....، قال الكوفيون...، قال بعض البصريين...، قال بعض الكوفيين...، قال النحويون[١١]...»، ويبين مواطن الاختلاف بينهم، وأورد الزجاج مجموعة من لغات العرب في ذكره لتفسير قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[١٢]، قال الزجاج: «وقوله: أسرى بعبده ليلا، معناه سير عبده، يقال: أسريت وسريت، إذا سرت ليلاً، وقد جاءت اللغتان في القرآن الكريم[١٣]».

اعتمد الزجاج في تفسير القرآن الكريم ما ثقف من مادة علمية تمتع بها، إلى جانب النقل والرواية من العلماء المتقدمين، فكان يفسر ويشرح ويوازن بين آراء اللغويين ويختار ما يراه صحيحاً ويأتي برأي جديد لم يسبق إليه، مؤيداً مذهبه

(١) المصدر نفسه: ١/٧٠، ٢/١٢٠.
(٢) المصدر نفسه: ١/٨٢، ٢/٢٠٥.
(٣) المصدر نفسه: ١/٩٠، ٢/١٤٥.
(٤) المصدر نفسه: ١/٨٠، ٣/١٧٥.
(٥) المصدر نفسه: ١/٨٥، ٢/١٨٠.
(٦) المصدر نفسه: ١/٧٢، ٢/١٩٤.
(٧) المصدر نفسه: ١/٧٥، ٢/٢٨٠.
(٨) المصدر نفسه: ١/٩٤، ٢/٢٢٥.
(٩) المصدر نفسه: ١/٧٧، ٢/١٩٥.
(١٠) المصدر نفسه: ١/١٥٠.
(١١) الزجاج النحوي: ٦٨، وانظر أيضاً معاني القرآن للفراء: ١/١٥٠.
(١٢) الإسراء: الآية: ١.
(١٣) معاني القرآن: ٢/ الورقة ١٤٤أ.

بالحجة والدليل، وكان إلى جانب ذلك عارفاً بآراء كثير من أساتذته وشيوخهم حيث نقل كثيراً عن أبي الحسن الأخفش[١] (ت ٢١٥ هـ)، ويصرح بذلك في كتابه، لقد نهج الزجاج المنهج البصري، وصرح بذلك اكثر من مرة مثل قوله: «قال أصحابنا البصريون...»، «مذهب أصحابنا البصريين»، «وهذا عندنا أعني عند البصريين» وهكذا، ونحن نعلم أنه انتهى إليه علم النحو بعد شيخه المبرد، وهذا لا يعني أنه لم يحك أقوال الكوفيين، فكان يورد آراءهم، ويوافقهم عليها، فكتابه زاخر بآراء علماء الكوفيين، أمثال الرؤاسي والكسائي والفراء وغيرهم.

هذه هي أهم الظواهر التي تضمنها كتاب «معاني القرآن للزجاج»، وتتجلى أهميته، بأن جعل القرآن الكريم موضوعاً لدراسة الظواهر العربية، بالإضافة إلى إظهار الجانب النحوي فيه، إلا أن الجانب اللغوي كان السمة الثانية. وتناول الأصوات والصرف والدلالة والتأويل، إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية الأخرى، وهكذا جعل الزجاج كتابه مصدراً مهماً لدراسة النحو واللغة حتى تناوله أكثر من عالم بعده وعلى مر العصور المختلفة لما يحوي من مادة غزيرة، وأثر في الدراسات اللغوية والقرآنية.

بقي أن أقول إن الزجاج تأثر بمنهج الفراء[٢] والأخفش في كتابيهما: (معاني القرآن) إلا أن الزجاج أراد أن يفصل ويشرح ويستطرد أكثر من الفراء والأخفش، بالإضافة إلى ورود آرائهما عنده، وخاصة آراء الأخفش، حيث إن الزجاج لم يكتف بذكر أقوالهما، وإنما ناقشهما وأخذ عليهما بعض المسائل.

---

(١) له كتاب (معاني القرآن) حققه الدكتور عبد الأمير الورد ونال به الدكتوراه سنة ١٩٧٨ والرسالة محفوظة في مكتبة الدراسات العليا — جامعة بغداد - وحققه أيضاً الدكتور فائز فارس وطبع مرتين في الكويت سنة ١٩٧٩، والثانية سنة ١٩٨١، في الشركة الكويتية فصدر بجزأين.

(٢) طبع معاني القرآن للفراء بتحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار سنة ١٩٥٥ الجزء الأول، والجزء الثاني بتحقيق محمد على النجار والجزء الثالث سنة ١٩٧٣، بتحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وكلها طبعت في مصر، الأول في دار الكتب والثاني في الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المبحث الثاني
كتب غريب القرآن

ظهر التأليف في غريب القرآن منذ وقت مبكر، وقد سبق كل ألوان التأليف في علومه، وربما كانت جذوره تمتد إلى زمن النبي (ﷺ) حيث كان يشرح بعض حروفه للمسلمين.

وما أن ألحق النبي بالرفيق الأعلى حتى طفق الخلفاء الراشدون يفسرون، وراحوا يتعهدونه بالحفظ والدرس والعناية.

وتشير المصادر إلى أن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) يُعدُّ أول من ألف في غريب القرآن وكتابه معروف مطبوع باسم: (معجم غريب القرآن[١])، ثم كثر التأليف في علوم القرآن حتى نشأت علوم جمة في ظلاله أمثال: علوم البلاغة، والنحو، والقراءات، وغيرها، ولعل اشارة الجلال السيوطي إلى ذلك تومئ إلى هذه الفكرة بقوله: «أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون[٢]».

وتشير المصادر إلى أن المفضل بن سلمة[٣] (ت ٣٠٠ هـ) أول من ألف في غريب القرآن في هذا القرن، وألف ابن دريد[٤] (ت ٣٢١ هـ)، ومحمد بن عثمان الجعد[٥]

(١) ويعرف هذا المعجم باسم: صحيفة علي بن أبي طلحة رواها عن ابن عباس، وهي التي اعتمدها الإمام البخاري في: (جامعه الصحيح)، وطبعت بمصر سنة ١٩٥٠، بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بعنوان: «معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري».
ينظر: مقدمة المرحوم عبد الباقي (ط. جي) ومقدمة الدكتور محمد كامل حسين، والإتقان: ١/١١٥ وفتح الباري: ٨/٣٣٢، والمعجم اللغوي: ١/٣٩.

(٢) الإتقان: ١/١١٥.

(٣) الفهرست: ١١٥، تاريخ بغداد: ١٣/١٢٤، معجم الأدباء: ١٩/١٦٣، إنباه الرواة: ٣/ ٣٠٥، كشف الظنون: ١/١٠٩١.

(٤) ذكره القفطي في إنباه الرواة: ٣/٩٦، وقال عنه إنه لم يتمه.

(٥) ذكر الخطيب البغدادي له كتاباً صنفه في غريب القرآن، ولما فرغ منه أخذ نفسه يحفظه فلم يمكث إلا يسيراً حتى توفي ولم يخرج الكتاب عنه. ينظر تاريخ بغداد: ٣/ ٤٧، ونزهة الألباء: ٢١٣، وبغية الوعاة: ١/٧٠.

(ت ٣٢٢ هـ)، ونفطويه[١] (ت ٣٢٣ هـ)، ومحمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)، وأبو عمر الزاهد (ت ٣٤٥ هـ)، وابن درستويه[٢] (ت ٣٤٧ هـ)، وأحمد بن كامل بن خلف[٣] (ت ٣٥٠ هـ)، وأبو بكر محمد بن الحسن النقاش[٤] (ت ٣٥١ هـ)، وابن خالويه[٥] (ت ٣٧٠ هـ)، وأبو الحسن الرماني[٦] (ت ٣٨٤ هـ).

ولم يصل إلينا من هذه المجموعة سوى كتابي محمد بن عزيز السجستاني مطبوع على حروف المعجم، قال عنه أبو بكر الأنباري في كتابه: (نزهة الألباء[٧]): «صنف كتاب غريب القرآن وأجاد فيه، ويقال إنه صنفه في خمس عشرة سنة وكان يقرؤه على أبي بكر ابن الانباري فكان يصلح له في مواضع، و كان صالحاً متواضعاً»، ووصل إلينا أيضاً كتاب الزاهد.

غريب القرآن لمحمد بن عزيز السجستاني

وصل إلينا برواية أبي أحمد عبد الله بن الحسين بن حسنون البغدادي المقرئ (ت ٣٨٦ هـ)، وطبع أكثر من مرة[٨].

منهجه

يبدأ الكتاب بمقدمة صغيرة لا تتجاوز ثلاثة أسطر، تكلم فيها عن موضوع كتابه وطريقة تأليفه فأوجزها بقوله: «وبعد فهذا تفسير غريب القرآن، ألف على

---

(١) الفهرست: ٩٠، نزهة الألباء: ١٧٩، إنباه الرواة: ٧٨/١.
(٢) الفهرست: ٩٦.
(٣) الفهرست: ٣٥، تاريخ بغداد: ٣٥٧/٣، بغية الوعاة: ٣٥٤/١.
(٤) الفهرست: ٣٦.
(٥) طبقات السبكي: ٢٦٩/٣.
(٦) إنباه الرواة: ٢٩٥/٢.
(٧) نزهة الألباء: ٣٨٦.
(٨) طبع لأول مرة سنة ١٩٠٧ بالقاهرة بتصحيح محمد بدر الدين النعساني ومعه كتاب نوافع الكلم للزمخشري، والطبعة الثانية سنة ١٩٣٦ بالقاهرة أيضاً بتصحيح مصطفى عناني، والثالثة سنة ١٩٦٣ في القاهرة باعتناء لجنة من أفاضل العلماء، والرابعة كانت سنة ١٩٧٠ في القاهرة كذلك بتحقيق محمد الصاوي قمحاوي وقد رتب المحقق الكتاب حسب تسلسل السور في القرآن.

حروف المعجم ليقرب تناوله، ويسهل حفظه على من أراده، وبالله التوفيق والعون[١]».

نهج المؤلف في كتابه منهجاً علمياً يمثل عقلية ناضجةً تمثلت في تبويب الكتاب وترتيبه ترتيباً جيداً عالج فيه تفسير الألفاظ معالجةً دقيقةً.

قسم السجستاني كتابه – كما قلت على أبواب – وهذه الأبواب مقسمة على حروف المعجم ابتداء بالهمزة وانتهاءً بالياء، وقد التزم التقسيم الذي صرح به في المقدمة إلى نهاية الكتاب.

تناول في كتابه كل حرف من حروف المعجم وحسب الحركات الثلاث، مثلاً في حرف الزاي فوضع ثلاثة عناوين فقال: «باب الزاي المفتوحة، باب الزاي المضمومة، باب الزاي المكسورة» ومثلها في بقية الحروف. وكانت طريقته في عرض المادة، أن يأتي باللفظة المراد شرحها ويبدأ بالتفصيل بها، فإذا احتاجت اللفظة شرحا طويلا شرحها وفصلها، وإذا لم تحتج إلى تفصيل اكتفى بذكر معناها، ففي باب القاف المكسورة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [٢] وهو من الوقار، يقال: وقر في منزله يقر، وقرن: من القرار فيمن يقول: قر، يقر، أراد اقررن، فحذف الراء الأولى وحول فتحها على القاف، فلما تحركت القاف سقطت ألف الوصل، فبقي: قرن[٣]».

أما الألفاظ التي لم يفصلها تفصيلاً، فقد اكتفى بذكر معناها أو شرحها بصورة موجزة، كما في باب العين المفتوحة في قوله تعالى: «عصيب: شديد، يقال: يوم عصيب، وعصبصب: أي شديد[٤]».

وفي باب الواو المضمومة قوله تعالى: «وجدكم: أي سعتكم، ووسعكم ومقدرتكم في الجدة[٥]».

---

(١) غريب القرآن: ٣(ط ١٩٦٣).
(٢) الأحزاب: الآية: ٣٣.
(٣) غريب القرآن: ١٦٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٥) المصدر نفسه: ٢١٢.

أما الألفاظ التي تحتاج إلى تفصيل، فإنه يكتفي بذكر معناها فقط، وأحياناً لا تتعدى الكلمة الواحدة. ويحتوي كتابه على كثير من ذلك كما في باب النون المضمومة، قوله تعالى: «نكراً: أي منكراً[١]» و «نهى: عقول، واحدها نهية[٢]»، وفي باب الراء المفتوحة قوله تعالى: «ريب: شك[٣]».

رتب السجستاني كتابه حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، فبدأ بسورة الفاتحة، فسورة البقرة، فسورة آل عمران، فسورة النساء، إلى سورة الناس.

ولهذا جاء شرحه للألفاظ حسب ترقيم الآيات في السور، الأولى، والثانية، والثالثة... وهكذا.

مصادره

كان شأن السجستاني كشأن سابقيه في التأليف في غريب القرآن حيث استشهد أثناء شرحه للفظة الغريبة بالآيات القرآنية في شرحه للألفاظ، واستشهد أيضاً بالحديث النبوي الشريف، وكذلك الشعر والرجز والأمثال، إلا أنها قليلة بالنسبة لعدد الألفاظ المفسرة في كتابه.

اعتمد السجستاني على ثقافته اللغوية، وأحكامه كانت ظاهرة في كتابه، بالإضافة إلى نقله لآراء العلماء أمثال: ثعلب[٤] والمبرد[٥] وأبي عبيدة[٦] والفراء[٧] واللحياني[٨] وغيرهم.

أما بالنسبة للشعر، فمرة يذكر القائل، ومرة أخرى يذكره بدون عزو. أما بالنسبة للشعراء فاستشهد للجاهلي والإسلامي والأموي. ونقل أيضاً آراء البصريين والكوفيين دون أن يذكر اسم أحد منهم، ونجد كذلك آراء للمفسرين كابن عباس[٩]، ثم أهل اللغة دون ذكرهم[١٠].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٠٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠٦.
(٣) المصدر نفسه: ٩٦.
(٤) غريب القرآن: ٥٤، ٨٤.
(٥) المصدر نفسه: ٨٤، ١٤٦.
(٦) المصدر نفسه: ٨٦، ١٤٤.
(٧) المصدر نفسه: ٥٧، ٦٧.
(٨) المصدر نفسه: ٥١.
(٩) المصدر نفسه: ٨٥.
(١٠) المصدر نفسه: المصدر نفسه: ٨٦، ١٣١.

غريب القرآن لأبي عمر الزاهد

وصل إلينا محفوظاً[١]، حيث تبلغ عدد صفحاته ثلاثاً وستين صحيفةً، والصفحة التي تحمل العنوان ساقطة، وعدد الأسطر سبعة عشر سطراً في الصفحة الواحدة، وعدد الكلمات في السطر الواحد تتراوح ما بين سبع إلى تسع كلمات.

والكتاب يخلو من اسم ناسخه وسنة النسخ، وتوجد في نهاية الكتاب عبارة: «تم الكتاب والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد والسلام».

والكتاب ضمن كتابه «اليواقيت» الذي يضم مجموعة من الموضوعات المختلفة التي أملاها أبو عمر الزاهد على طلابه، وذكرها أكثر من ترجم له، قال ابن النديم في كتابه «الفهرست»: «أملى أبو عمر الزاهد كتابه الياقوتة سنة ٣٢٦ هـ في جامع المدينة: مدينة أبي جعفر ارتجالا من غير كتاب ولا دستور فمضى في الإملاء مجلساً مجلساً إلى أن انتهى إلى آخره[٢]».

وسماها ابن خير الاشبيلي بـ (ياقوتة الصراط في غريب القرآن[٣]) وذكر أنها وصلت إلى الأندلس، وسماها ابن قاضي شهبه: (الياقوتة في غريب القرآن[٤])، وذكرها ابن طاوس باسم (ياقوتة الصراط[٥])، ونقل منه أيضاً في كتابه، وكذلك فعل الصاغاني ونقل منه في كتابه (التكملة[٦])، وذكره السيوطي باسم (غريب القرآن[٧]).

منهجه

رتب أبو بكر عمر الزاهد كتابه حسب تسلسل سور القرآن الكريم، ابتداءً بسورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس.

---

(١) توجد نسخة مصورة بحوزة الدكتور محمد جبار المعيبد المدرس في قسم اللغة العربية، كلية التربية – جامعة البصرة، وقد أطلعني عليها مشكوراً.

(٢) الفهرست: ٨٢، وانظر أيضا إنباه الرواة: ٣/١٧٢.

(٣) فهرست ابن خير الاشبيلي: ٢٣٦.

(٤) طبقات اللغويين والنحويين: ١٠٧.

(٥) سعد السعود: ٢٤٧.

(٦) التكملة: ١/١٩.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ١/١١٥.

تناول الزاهد شرح جميع سور آي الذكر الحكيم، واكتفى بشرح الغريب من الكلمات في السورة، وكان كلما بدأ بشرح السورة وضع أمامها عبارة: (ومن سورة...)، وهذا العنوان يرشدنا إلى أن الزاهد لم يشرح جميع ألفاظ السورة، وإنما يشرح الألفاظ الغريبة من الآيات التي يعتقد أنها غريبة وتحتاج إلى توضيح.

وطريقة الزاهد في كتابه إنما كانت إملاءً على الطلبة، هذا ما أكده أكثر من ترجم له، حيث كان يدرس من حفظه، دون النظر في كتاب، وشرحه للألفاظ مختصراً، أحيانا لا يتجاوز شرحه كلمةً واحدةً، كقوله تعالى: ﴿ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ (١) أي: عداوة قوم(٢)، وقوله تعالى: ﴿ بَيَـٰتًا ﴾ (٣) أي: ليلاً(٤)، أحياناً يشرحها شرحاً يتجاوز الكلمة الواحدة، مثل قوله تعالى: ﴿ مُشۡرِقِينَ ﴾ (٥) أي: مصبحين، يقال: رجل مشرق، إذا أصبح وشارق مع طلوع الشمس(٦)، وأحياناً يشرح بالتفصيل(٧).

كان يكثر النقل عن ثعلب وابن الأعرابي، مثل قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾ (٨)، قال الزاهد: «أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: الأنفال: الغنائم، والأنفال: أيضاً: ما يدفع بعد قسمة الغنائم، والنافلة: ما يكون بعد الفريضة(٩)».

كان يعتمد في شرحه الألفاظ على ثقافته اللغوية، فنرى كتابه لا يحفل بنقل مادة علمية من النحاة أو اللغويين أو المفسرين، وإنما اكتفى بذكر ثعلب وابن الأعرابي وأبي موسى الحامض، وربما وقع في ثنايا كتابه أحياناً استشهاد بكلام العرب أثناء شرحه للفظة معينة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴾ (١٠) قال الزاهد: «الزلف: الساعات، واحدها زلفة، وقال قوم: الزلفة: أول ساعة من الليل

---

(١) المائدة: الآية: ٢.
(٢) غريب القرآن: الورقة ٥أ.
(٣) الأعراف: الآية: ٤.
(٤) غريب القرآن: الورقة ٧أ.
(٥) الحجر: الآية: ٧٣.
(٦) غريب القرآن.
(٧) غريب القرآن: الورقة ١٢ ب.
(٨) الأنفال: الآية: ١.
(٩) غريب القرآن: الورقة ٦ ب.
(١٠) هود: الآية ١١٤.

بعد مغيب الشمس[(١)]».

أما استشهاده بالشعر فلا نكاد نعثر إلا على بيت واحد حيث قال الزاهد: «قال ابن الأعرابي، أنشدني المفضل[(٢)]....».

امتاز كتاب الزاهد بوفرة مادته على الرغم من أنه قصر شرحه على بعض الألفاظ، فجاء كتابه غزيراً بمادته، غنياً بآرائه حيث حفظ لنا كثيراً من كلام ثعلب الذي كان يدرسه على طلابه.

بقي أن أقول بأن هناك فرقاً بين كتاب الزاهد وكتاب السجستاني في تأليفهما لغريب القرآن، حيث رتب السجستاني كتابه على حروف المعجم دون ذكر لاسم السور، في حين أورد الزاهد اسم السورة في بداية الشرح ووضع عبارة: «ومن سورة....» أو يبدأ بشرح الألفاظ الغريبة، كانت طريقة الزاهد أكثر توضيحاً من طريقة السجستاني، حيث إن الباحث عن لفظة معينة في سورة من سور القرآن يريد أن يعرف معناها يجد صعوبة في تحديد مكانها، من كتاب السجستاني، في حين يمكن الاهتداء إليها بسهولة في كتاب الزاهد، مما تعذر على المؤلفين بعد القرن الرابع الهجري أن ينهجوا نهج السجستاني في طريقته المضنية، مما حدا بالمحققين المحدثين أن يعيدوا تحقيق «غريب القرآن» للسجستاني، أو يرتبوه حسب ترتيب السور في القرآن الكريم[(٣)].

وكذلك توجد في ثنايا كتاب السجستاني آراءٌ كثيرة منسوبةٌ لأبي عمَر الزاهد، وهذه القضية تحتاج إلى وقفة تأمل.

لقد أشارت المصادر إلى أن السجستاني توفي سنة (٣٣٠ هـ)، وتوفي الزاهد سنة (٣٤٥ هـ)، فالفارق بينهما يكون خمس عشرة سنة، فكيف يكون السجستاني قد اطلع على كتاب الزاهد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تذكر المصادر بداية إملاء الزاهد لمادة كتابه (اليواقيت)، والتي رجحت المصادر أن

---

(١) غريب القرآن: الورقة ١٥ ب.

(٢) المصدر نفسه: الورقة ٢٤ ب.

(٣) حققه وأعاده حسب ترتيب السور في القرآن الكريم محمد الصاوي قمحاوي وطبعه في القاهرة سنة ١٩٧٠.

يكون (غريب القرآن) هو جزء من كتاب (اليواقيت) كان ذلك في سنة (٣٢٦ هـ)، قد لا يكون (غريب القرآن) هو بداية إملاء كتاب (اليواقيت)، فيكون الفارق في هذه الحالة أربع سنوات بين وفاة السجستاني وبداية الزاهد في إملاء كتابه، هذا فضلاً عن تتلمذ السجستاني على يد ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) والزاهد تتلمذ على يد ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وملازمته إياه.

لقد رجح الدكتور محمد جبار المعيبد أن أقوال الزاهد التي تضمنها كتاب السجستاني هي من صنع النساخ، حيث إن الزاهد اطلع على كتاب السجستاني ووضع عليه تعليقات، فلما جاء النساخ وضعوا كلام الزاهد ضمن كتاب السجستاني[1].

وتوجد أيضاً آراء لابن خالويه[2] (ت ٣٧٠ هـ)، في ثنايا كتاب السجستاني فهل تكون النسخة ذاتها التي اطلع عليها الزاهد وابن خالويه، أم أن هناك نسختين تحمل كل واحدة منهما آراءً لأبي عمر الزاهد ولابن خالويه، وهل تكون آراء ابن خالويه هي من صنع النساخ أيضاً؟

لقد وصلت إلينا نسخة من السجستاني برواية ابن حسنون المقرئ (ت ٣٨٦ هـ)، ومعنى ذلك أن ابن حسنون سمعها من السجستاني، حيث بدأها بقوله: «أنبأنا أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني[3] ....».

فإذا صدقت رواية ابن حسنون عن السجستاني معنى ذلك أن السجستاني كان حيًّا يرزق في هذا الوقت، وربما يكون السجستاني قد استفاد من كتاب الزاهد، وليس العكس.

(١) أخبرني بذلك في أثناء زيارتي له في محافظة البصرة في ١٩٨٤/١٢/٨.
(٢) غريب القرآن: ٩٤، ١٢٤.
(٣) المصدر نفسه: ٣.

المبحث الثالث

القراءات القرآنية

كانت القبائل العربية قبل ظهور الإسلام تتكلم بلهجات مختلفة، وعندما أنزل الله سبحانه وتعالى قرآنه على النبي محمد ﷺ، توحدت هذه القبائل تحت راية الدين الجديد، وما أن أنزل الوحي على الرسول الكريم، حتى أخذ يقرئ الصحابة الآيات القرآنية ويعلمهم ألفاظها وغريبها وأسباب نزولها، وكان بذلك يستنبط أحكام الدين الجديد من آيات القرآن الكريم، لما يحتويه من أسلوب في الفصاحة والبلاغة وتحدى المشركين أن يأتوا مثله فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1].

وكان لكثرة عدد القبائل الداخلة إلى الإسلام أن احتاج الناس إلى تعلم الأحكام الجديدة وقراءة القرآن المجيد وفقه نصوصه، فتولى هذه المهمة النبي محمد ﷺ، بعده أخذ الصحابة يعلم أحدهم الآخر ويقع هذا بعلم النبي محمد ﷺ، وإرشاده وبطبيعة الحال كان لدخول هذه القبائل أن كثرة القراءات باختلاف لهجاتهم، وكان الرسول يقرئ الداخلين في الدين الجديد من العرب القرآن باللغة المشتركة ويتسامح في الفروق اللهجية فأقر بعض القبائل على حروف وقعت في قراءة تلك القبائل وهذا ما يفسر قوله ﷺ[2]: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه».

زاد عدد المتعلمين للقرآن بازدياد دخول الناس إلى الإسلام، فزاد بذلك عدد المقرئين وحفظة القرآن، وكان أكثرهم من الصحابة حيث حفظوه عن ظهر قلب أمثال: «أبي بن كعب (ت ٢٠ هـ) وعبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) وأبي الدرداء (ت ٣٢ هـ) وعثمان بن عفان (ت ٣٥ هـ) وعلي بن أبي طالب (ت ٤٠ هـ) وزيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) وغيرهم، وعلى هؤلاء دارت أكثر أسانيد قراءة

(١) الإسراء: الآية: ٨٨.

(٢) صحيح البخاري: ١/١٩٤، المعجم المفهرس بألفاظ الحديث النبوي: ٢/٣٩٨.

الأئمة العشرة[١]».

تمثلت المرحلة الأولى لنشأة القراءات بوجود جماعة عرفوا بتعهدهم القرآن الكريم بتلاوته، وتدارسهم آيه وسوره بينهم وكانوا يسمون القراء وزاد عدد هؤلاء القراء حيث كثروا وتوزعوا في الأمصار المفتوحة وعرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف القراءة، ونتج عن ذلك اختلاف بعض وجوه القراءات في آي الذكر الحكيم، وتمسك كل جماعة بالقراءة التي تلقاها من الصحابي عن رسول الله ﷺ ورفض ما سواها وهذا هو قوام القراءات الصحيحة والمعتمدة لغة وشرعاً، وأدى هذا إلى تعدد وجوه القراءات والتفسير وكان على أثر ذلك أن حمل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يجمع المصاحف ويجعلها مصحفاً واحداً محرراً على لغة قريش، حرصا على توحيد كلمة المسلمين واشفاقاً من اختلافهم في كتاب الله عز وجل.

وجمع جماعة من الصحابة وأشار عليهم بضرورة توجيه المصاحف، حيث قال: «إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم وأمرهم بالرجوع إلى ما في صدور الرجال الثقات كما أمر تجريده من الشكل والنقط ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي (ﷺ) إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط[٢]».

وما أن انتهى عمله هذا الذي صان كلام الله عز وجل عن التحريف وقيده كما أراده الله سبحانه وتعالى من ضبط اللغة واللفظ حتى عين الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مقرئاً خاصاً لكل مصر من الأمصار التي بعث إليها بمصحف بعد توحيده المصاحف، وذلك ليقرئ الناس بمصحفه (الإمام[٣])، وما أن وصلت هذه المصاحف إلى الأمصار حتى أقبل الناس على المصحف العثماني يقرءونه

---

(١) معرفة القراء: ٣٩/١.

(٢) الإبانة: ٣١، النشر: ٧/١، الاتقان: ١٧١/١.

(٣) المصاحف: ٣٤،٣٧، البرهان: ٢٤٠/١، النشر: ٧/١،القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف: ٢٢.

ويتدارسونه على وفق ما تلقوه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي (محمد ﷺ)، وكان في كل مصر قراء اعتنوا بقراءة القرآن وضبطه، حتى صاروا قبلةً لطلاب الفقه القرآني، يرحل إليهم المتعلمون يأخذون عنهم معارفه، وبذلك نسبت القراءة التي يقرؤونها إليهم. وفي مرور الزمن، واتساع رقعة الدولة الإسلامية، وكثرة دخول الموالي وغيرهم إلى الإسلام، حتى فشا اللحن بين المسلمين، وتخلخل كلامهم، وداخلته ألفاظ كثيرة فيها شيء من التحريف وشابته شوائب العجمة، ففزع أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ) إلى وضع أصول النحو بإشارة من الإمام علي(رضي الله عنه[١]).

وزادت حاجة الناس إلى الحفاظ على القرآن الكريم وقراءته، وتصدى العلماء لظاهرة اللحن، وأخذوا يؤلفون في علوم القرآن وقراءاته ولهجاته، فتصدى له اللغوي والنحوي والمفسر والبلاغي وألفوا كتباً كثيرة، وتناولوه من وجوه مختلفة، لأن اللغة الصحيحة هي التي أنزل فيها القرآن، وقد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، ولا خلاف في ذلك[٢].

وزاد اهتمام العلماء بالقرآن الكريم بازدياد اختلاط العرب بالأعاجم وظهور اللحن وانتشاره فاشتدت حاجة المسلمين إلى فهم نصوص القرآن والوقوف على بيان أحكامه والتعرف إلى أصول لغته، فتتبع العلماء اللهجات ولغات القبائل التي ضمها القرآن، فبدأت مرحلة التأليف في القراءات وتدوينها، واختلف المؤرخون في أول من ألف فيها فذهب أكثرهم إلى أن أبا عبيد القاسم بن سلام[٣] (ت ٢٢٤ هـ) أول من ألف في القراءات،وذهب آخرون إلى أن أبا حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ[٤])أول من ألف في القراءات، وفريق آخر جعل يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ[٥])، أول من ألف في القراءات، وهكذا توالى التأليف في القراءات، فعدد

(١) طبقات فحول الشعراء: ١١، ورسالة السيوطي: الأخبار المروية في سبب وضع العربية: ص١٦٣.

(٢) المزهر: ١/٢١٣.

(٣) النشر في القراءات العشر: ١/٢٤.

(٤) غاية النهاية: ١/٣٢٠.

(٥) مقدمتان في علوم القرآن: ٢٧٥.

أحد الدارسين المحدثين[١]، المؤلفين في كتب القراءات بأربعة وأربعين مؤلفاً [٢]، رتبهم حسب الترتيب التاريخي لهم،وجعلها المرحلة التي سبقت تأليف ابن مجاهد كتابه السبعة، واستمر التأليف في القراءات بعد أن وضع ابن مجاهد كتابه، وجعل القراء سبعة ورتبهم على الأمصار، وبدأ بعده الاحتجاج لهؤلاء القراء حيث نبغ تلاميذه، وألفوا فيها كتباً كثيرة تتضمن احتجاج القراء لقراءتهم. وألف في هذا القرن في القراءات مجموعة كبيرة من القراء واللغويين، منهم: ابن السراج[٣] (ت ٣١٦ هـ) كتاب احتجاج القراء، وابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) كتاب السبعة، وابن شنبوذ[٤] (ت ٣٢٨ هـ) كتاب اختلاف القراء، وشواذ القراءات، وابن درستويه[٥] (ت ٣٤٧ هـ) كتاب الاحتجاج للقراء وأحمد بن كامل بن خلف[٦] (ت ٣٥٠ هـ) كتاب في القراءات، ومحمد بن الحسن الأنصاري[٧] (ت ٣٥١ هـ) كتاب السبعة بعللها الكبير، وأبي محمد بن الحسن بن مقسم العطار[٨] (ت ٣٥٤ هـ) كتاب

---

(١) الدكتور عبد الهادي الفضلي.

(٢) القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف: ٢٧ - ٣٢.

(٣) الفهرست: ٦٧ ، تاريخ بغداد: ٣١٩/٥، إنباه الرواة: ١٤٨/٣، وذكره أبو علي الفارسي في مقدمة كتاب الحجة بقوله: (وقد كان أبو بكر محمد بن السري شرع في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه وارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم). الحجة: ٤، فابن السراج وضع كتابه على احتجاج القراء السبعة الذين حددهم ابن مجاهد في كتابه.

(٤) تاريخ بغداد: ٢٨٠/١، معجم الأدباء: ٣٠٠/٦، غاية النهاية: ٥٢/٢ ، النجوم الزاهرة: ٢٤٨/٣.

(٥) الفهرست: ٣٥، إنباه الرواة: ١١٤/٢، هدية العارفين، ٤٤٦/١، وذكر الذهبي كتاب له باسم المعاني في القراءات ، تاريخ الإسلام وفيات سنة ٣٤٧هـ وذكر الدكتور عبد الله الجبوري أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب: (الاحتجاج للقراء). انظر تصحيح الفصيح: ٤٦.

(٦) الفهرست: ٣٥.

(٧) وله أيضا كتاب السبعة الأوسط ، وكتاب السبعة الأصغر. الفهرست: ٣٣،٣٢، الحجة لابن خالويه: ٢٠ ط الأولى.

(٨) الفهرست: ٣٦، نزهة الألباء: ١٩٩، بغية الوعاة: ٨٩/١. وله أيضا كتاب السبعة بعللها الكبير، وكتاب السبعة الأوسط، وكتاب السبعة الأصغر، انظر الفهرست: ٣٦، =

الاحتجاج في القراءات، وابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) مجموعة من الكتب في القراءات هي: الحجة في القراءات السبع ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، وكتاب القراءات[١]، وحواشي البديع في القراءات[٢] ومجدول في القراءات[٣].

وألف أبو علي الفارسي(ت ٣٧٧ هـ) كتاب الحجة في علل القراءات السبع، وابن جني(ت ٣٩٢ هـ) كتاب المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

وقد وصلت إلينا مجموعة من هذه الكتب منها: كتاب ابن مجاهد، ولابن خالويه ثلاثة كتب، ولكل من أبي علي الفارسي وابن جني كتاب واحد.

كتاب السبعة في القراءات ـ لابن مجاهد

وصل إلينا كتاب السبعة[٤] برواية، أبي عبد الله، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبزون الأنباري المقرئ.

يعد ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) أول من سبع القراءات[٥]، وجعلها حسب الأمصار، فالقراء السبعة عنده هم: نافع بن أبي نعيم المدني (ت ١٦٩ هـ) – عن المدينة – وعبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠ هـ) – عن مكة – وعاصم بن أبي النجود الكوفي(ت ١٢٧ هـ) وحمزة بن حبيب الزيات(ت ١٥٦ هـ) والكسائي (ت ١٨٩ هـ). هؤلاء الثلاثة عن الكوفة، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) عن

=

والحجة لابن خالويه: ٢٠ ط الأولى.

(١) توجد منه نسخة مصورة ميكروفيلم رقم(٥٢) قراءات ـــ الجامعة العربية ـــ الفهرست: ٨٤، إنباه الرواة: ٣٢٤/١، مرآة الجنان: ٣٩٤/٢، بغية الوعاة: ٥٢٩/١، وينظر مجلة اللسان العربي ، المجلد الثامن ـــ الجزء الأول لسنة ١٩٧١ ص٥١٣ ، والحجة لابن خالويه: ٢١ ط الأولى ، وابن خالويه وجهوده في اللغة: ٣٣.

(٢) طبقات القراء: ٢٣٧/١، انظر ابن خالويه وجهوده في اللغة: ٣٦.

(٣) طبقات القراء: ٢٣٧/١، انظر ابن خالويه وجهوده في اللغة: ٣٧.

(٤) حققه الدكتور شوقي ضيف ، طبع في مصر سنة ١٩٧٢.

(٥) النشر: ٢٤/١.

البصرة وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨ هـ) عن الشام.

انفرد ابن مجاهد بهذا الكتاب على الرغم من أن التأليف في القراءات كان قد سبق ابن مجاهد فلما كان القرآن الكريم هو دستور الأمة، أخذ الناس يتهافتون على تعلمه وقراءته، وكان دخول أقوام من غير العرب سبباً في ظهور اللحن في اللغة، فزاد عدد المقرئين للقرآن، وأخذ التأليف في القراءات يأخذ مجالاً كباقي الفنون العربية الأخرى فبدأ التأليف فيها نهاية القرن الأول الهجري على يد يحيى بن يعمر (ت ٩٠ هـ)، وتوالى التأليف في القراءات إلى أن جاء ابن مجاهد وألف كتاب السبعة، وجعل القراءة على سبعة قراء ضمن خمسة أمصار هي المدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام.

منهجه

بدأ ابن مجاهد كتابه بالحديث عن اختلاف الناس في القراءة وذكر أن القراءة سنة لا يصح لأحد أن يقرأ آية من القرآن من تلقاء نفسه بل يجب أن يتعلمها على الشيوخ والقراء، مستعيناً بأحاديث القراء والصحابة.

تحدث بعد ذلك عن أئمة القراء الذين اختارهم من الأمصار الخمسة فذكر نسبهم وأساتذتهم الذين تلقوا عنهم القرآن الكريم ثم تحدث عن تلاميذهم فبدأ بنافع قارئ المدينة وفصل القول فيه من حيث نسبه وأساتذته ومن أخذ عنهم القراءة، ذاكراً بذلك الأسانيد والرواة التي وصلت إليه قراءته وبعده تحدث عن قارئ مكة عبد الله بن كثير، فقراء الكوفة عاصم وحمزة والكسائي ثم قارئ البصرة أبو عمرو بن العلاء، فقارئ الشام عبد الله بن عامر.

وبعد ذلك تكلم عن ذكر الأسانيد التي نقلت إليه القراءة عن أئمة كل مصر من الأمصار عن طريق الروايات لكل قارئ من القراء السبعة ممن سيذكر من وقع الاختلاف أو الاتفاق في رواياتهم.

وبعد أن تحدث عن أسانيد القراء بدأ يذكر القراءات في سور القرآن الكريم فبدأ بسورة الفاتحة وذكر اختلاف القراء في الآيات المختلفة فيها، ثم ذكر ظاهرة الإدغام واختلاف القراء فيها، فيذكر مذاهبهم وحسب تسلسل القراء الذين صنفهم في بداية كتابه، وبعد أن ينتهي من سورة الفاتحة، تناول الحديث عن سورة البقرة واختلاف القراء في قراءة الآيات المختلفة في قراءتها ثم سورة آل

عمران، فسورة النساء فسورة المائدة..... وحسب تسلسل المصحف.

تناول ابن مجاهد جميع سور القرآن الكريم وحسب تسلسلها في القرآن فجاء حديثه شاملاً.

حفل الكتاب بكثير من الروايات والأسانيد وأخباره موثقة.

تناول في أثناء حديثه عن اختلاف القراء، بعضاً من الظواهر اللغوية التي تخص القراء، فذكر ظاهرة الإدغام(١)، ثم تكلم عن رأيه في إدغام المتماثلين(٢)، ثم تكلـــم عن ذكر الهمز(٣)، وبعدها عن المد والـــقصر(٤) والهمزتين المجتمعتين في كلـــمة(٥)، والهمزتين المتلاصقتين في كلمتين(٦)، ثم الفتح والإمالة(٧)، وياءات الإضافة(٨)، وياءات الإضافة المكسور ما قبلها(٩)، وياءات الإضافة الـــمحذوفة مـــع الرسم(١٠)، ثم الهاء المتصلة بالفعل المجزوم(١١)، ثم الوقف على الأسماء المنقوصة(١٢).... وهكذا تحدث عن الظواهر اللغوية في القراءة.

وهناك ظاهرة في الكتاب حرية بالتسجيل هي أن ابن مجاهد كان يذكر في نهاية كل سورة عدد ياءات الإضافة فيها ذاكراً قراءات القراء فيها.

لقد كان منهجه في تناوله القراءة، أن يذكر الآية ثم يذكر اختلاف القراء فيها وكان إلى جانب ذلك يضيف إليهم الذين حملوا عنهم بعض حروف القراءات.

تتجلى أهمية كتاب السبعة لابن مجاهد في القراءات بأن صاحبه أول من سبع القراءة واختار من القراء السبعة بدلا من خمسة أمصار كما ذكرت في بداية الحديث عن الكتاب، حيث إن هذا العدد من القراء اقترن بعدد الأحرف الواردة

---

(١) كتاب السبعة: ١٢٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٣) المصدر نفسه: ١٣٠.
(٤) المصدر نفسه: ١٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٣٤.
(٦) المصدر نفسه: ١٣٦.
(٧) المصدر نفسه: ١٣٤.
(٨) المصدر نفسه: ١٥١.
(٩) المصدر نفسه: ١٩٦.
(١٠) المصدر نفسه: ١٩٧.
(١١) المصدر نفسه: ٢٠٧.
(١٢) المصدر نفسه: ٣٦٠.

في الحديث النبوي الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف[١]»، كذلك أخذ كتابه بفكرة الرواية عن الصحابة والقراء إلى أن يصل بالسند إلى النبي محمد ﷺ فهذا السند يقوي ويزيد من أهمية هذا الكتاب، سبعة من دون القراء الآخرين الذين ألفوا قبله في القراءات والقراء.

فعدوا منهم خمسة وعشرين قارئاً مثل أبي عبيد القاسم بن سلام[٢] (ت ٢٢٤ هـ)، ومنهم من عدد عشرين قارئاً مثل إسماعيل بن إسحاق القاضي[٣] (ت ٢٨٢ هـ)، ومنهم من جعلهم خمسة عشر قارئاً مثل محمد بن جرير الطبري[٤] (ت ٣١٠ هـ)، وكل هؤلاء وضعوا القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد ضمن القراء الذين عددوهم في كتبهم.

رسم كتاب السبعة تحولاً في التأليف في القراءات السبع فبعد أن كان التأليف في القراءات يشمل جميع القراء في الأمصار، جاء ابن مجاهد فوضع كتابه فجعله نقطة فاصلة ما بينه وبين الذين ألفوا بعده.

فكثر التأليف في القراءات السبع، وما دونها يعتبر قراءة شاذة فألفوا في القراءة الشاذة أيضاً كما فعل ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، وابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، في العصر الذي توفي ابن مجاهد، فانطلق التأليف بعد ابن مجاهد في التخصص بالقراءات السبعة، ولهذا يعد القرن الرابع الهجري قرن تحول القراءات العديدة إلى سبع قراءات على يد ابن مجاهد.

وكما كان القرن الرابع الهجري النقطة الحاسمة لتحويل علماء القراءات إلى البحث عن القراء السبعة، أصبح للعراق مكانة مرموقة في مجال الدراسات القرآنية وبخاصة دراسة القراءات.

فجاء بعد هذا القرن علماء ألفوا في قراءات أخرى أمثال القراءات الثمان والعشر والأربعة عشر قراءة.

---

(١) سبقت الإشارة إليه.
(٢) تقريب النشر: ٢٣.
(٣) المصدر نفسه: ٢٤.
(٤) النشر: ١/٣٤.

الحجة في القراءات السبع لابن خالويه[١]

بعد أن ألف ابن مجاهد كتابه السبعة والذي يعد أول من سبع القراءات[٢]، فتح مجال المناقشة والاحتجاج بالقراءات فتسابق تلاميذه ومعاصروه إلى التأليف في القراءات، فكانت نسبة تلاميذه عالية في هذا التسابق، فجلس ابن السراج لإملاء كتاب في تفسيرها وعللها لكن المنية عاجلته فتوفي دون أن يتمه[٣].

وتسابق بعد ذلك طلاب آخرون لابن مجاهد فأرادوا أن يحتجوا في هذه القراءات التي جعلها أستاذهم بسبعة، فكان لابن خالويه ولأبي علي الفارسي ولابن جني وغيرهم مؤلفات في ذلك.

كتاب الحجة لابن خالويه

وصل إلينا مع ما وصل من كتب القراءات السبع والاحتجاج بها، حققه الدكتور عبد العال سالم مكرم وطبع مرتين.

منهجه

بدأ ابن خالويه بالحديث عن الكتاب وما يتضمنه من مادة لغوية ونحوية مبيناً بذلك منهجه وقراءه القراء الخمسة[٤] مقسمين على أهل الأمصار المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ، وتحدث عن انفراد كل قارئ فهم بالحرف الذي قرأ به، ثم تابع حديثه عن طريقته في الاحتجاج بقوله: «وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم، معتمداً فيه على ذكر القراءة المشهورة، ومنكب على الروايات الشاذة المنكورة، وقاصد قصد الإبانة في اقتصار، من غير إطالة ولا إكثار[٥]».

بهذه الكلمات وضع ابن خالويه منهجه في الكتاب، فمال إلى الاختصار

(١) حققه الدكتور عبد العال سالم مكرم وطبع مرتين الأولى في بيروت سنة ١٩٧١، والثانية في الكويت سنة ١٩٧٧.

(٢) النشر في القراءات العشر: ١/٣٤.

(٣) الحجة لابن علي الفارسي: ٤.

(٤) هم: نافع، ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، الكسائي، ابن عامر.

(٥) الحجة: ٣٨.

والإيجاز بالإضافة إلى ذكره القراءة المشهورة دون الخوض في القراءات الشاذة.

وبعد أن انتهى من ذكر هذه المقدمة القصيرة بدأ بسور القرآن الكريم، فأورد الآيات التي اختلف فيها القراء، مبتدءا بسورة الفاتحة، ثم سورة البقرة، فسورة آل عمران... وهكذا إلى نهاية سور القرآن.

وكانت طريقته في عرض القراءات هي أن يذكر القراءات دون ذكر سند الرواية، ولا يلجأ إلى نسبة القراءات إلى أصحابها إلا إذا دعت الضرورة، ومن المميزات الأخرى لكتاب الحجة، أن مؤلفه لا يكرر الشرح مرة ثانية فإذا تكررت الحالة يحيل إلى المواضع التي شرح فيها الحالة متوخياً من ذلك الاختصار والإيجاز[١].

اعتمد في حجته على الرواية والسماع، وإن اللغة عنده تؤخذ سماعاً وإنها لا تقاس، وكان يستشهد بذلك بالأدلة والبراهين، إضافة إلى تخطئته بعض المعالجات التي أوردها القراء فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾[٢]، فأما إمالة الكسائي إن كان سماعاً من العرب فالسؤال عنه ويل: «وإن كان أماله قياساً فقد وهم، لأن ألف الجمع في أمثال هذا لا تمال[٣]»، ثم تطرق إلى لغات القبائل التي تقرأ بها الآيات القرآنية، فمرة يذكر القبيلة وأخرى يذكر أنها لغتان دون ذكر القبائل[٤].

برزت شخصية ابن خالويه في كتابه بوضوح، وكان يحتج لكل قارئ من القراء بقراءته مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ ﴾[٥] «يقرأ بفتح الهمزة وكسرها، فالحجة لمن فتح: أنه أراد: جمع (يمين) والحجة لمن كسر أنه أراد مصدر: آمن يؤمن إيماناً، وإنما فتحت همزة الجمع لثقله وكسرة همزة المصدر لخفته، والفتح

(١) الحجة: ١٤٧.

(٢) البقرة: ١٩.

(٣) الحجة: ١٤٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٨، ٢٢٠.

(٥) التوبة: الآية: ١٢.

هاهنا أولى لأنها بمعنى اليمين والعهد أليق منها بمعنى الإيمان[(١)]».

وهكذا يسير على هذا المنوال في تناوله للآيات المختلف بها في القراءة.

تناول ابن خالويه إضافة إلى اختلاف القراءة، النواحي الإعرابية وهي قليلة، مثل قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [(٢)] «إجماع القراء هاهنا على الإضافة إلا أبا عمرو فإنه نون (القلب) فالحجة لمن أضاف: أنه جعل القلب خلفاً من اسم محذوف، فأقامه مقامه عند الكوفيين، وهو عند البصريين صفة قامت مقام الموصوف، ومعناه عندهم: على كل قلب رجل متكبر، أو يريد به: التقديم والتأخير[(٣)]».

ومن المميزات الأخرى في كتابه، أن القرآن الكريم لا يحمل على الضرورة[(٤)]، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [(٥)] يقرأ: بالنصب والخفض، فالحجة لمن نصب: أنه رده بالواو على أول الكلام، لأنه عطف محدوداً على محدود، لأن ما أوجب الله غسله فقد حصره بحد، وما أوجب مسحه أهمله بغير حد، والحجة لمن خفض: أن الله تعالى أنزل القرآن بالمسح على الرأس والرجل، ثم عادت السنة للغسل، ولا وجه لمن ادعى أن الأرجل مخفوضة بالجوار، لأن ذلك مستعمل في نظم الشعر للاضطرار، وفي الأمثال والقرآن لا يحمل على الضرورة، وألفاظ الأمثال[(٦)].

واعتمد ابن خالويه في تناوله القراءات والاحتجاج بها على ثقافته الواسعة في اللغة والنحو، فكان مستقل الرأي والحجة، لا يتعصب لأحد من المدرستين البصرية والكوفية، فكتابه حافل بآراء المدرستين، فهو يعرض آرائهما على محك النقد والترجيح، ولهذا نهج نهجاً جديداً لأنه لم يتبع طريقة الكوفيين ولا طريقة البصريين، ولكنه اختار من كليهما ما كان أحلى وأحسن[(٧)].

---

(١) الحجة: ١٤٩.

(٢) المؤمن: الآية: ٣٥.

(٣) الحجة: ٢٨٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٠.

(٥) المائدة: الآية: ٦.

(٦) الحجة: ١٠٤.

(٧) مقدمة مختصر في شواذ القرآن: ٦، وانظر الحجة: ٣٠.

مصادره

يعد القرآن الكريم المصدر الرئيسي في كتابه، ويكفي أنه احتج في القراءات في معظم آيات القرآن الكريم.

والمصدر الآخر هو الحديث النبوي الشريف، إلا ان الاستشهاد به قليل قياساً لكثرة الآيات المحتج لها، فالأحاديث المستشهد بها لا تتجاوز الخمسة عشر حديثاً.

أما الأشعار والأرجاز فاستشهد بهما أيضاً إلى جانب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكانت الأشعار أكثر من الأرجاز.

وكثيراً ما يترك الشاهد الشعري من غير نسبته إلى قائله[١]، وقليلاً ينسبه إلى قائله[٢]، فالشعراء عنده موزعون على العصور المختلفة فكان الشاعر الجاهلي والإسلامي والأموي، إضافة إلى استشهاده بالأرجاز وإن كانت لا تتعدى سبعة منها.

تتجلى أهمية كتاب الحجة لابن خالويه أن مؤلفه أراد أن يفرد كتاباً مستقلاً يتناول فن القراءات وحدها في مجال الاحتجاج للقراء السبعة الذين وزعهم على الأمصار أستاذه ابن مجاهد، هذا إضافة إلى تسابق تلاميذ ابن مجاهد على الاحتجاج بهؤلاء القراء.

حيث إن عمل ابن مجاهد هذا حول أنظار اللغويين والنحويين وحتى المفسرين إلى الاحتجاج لهؤلاء فكان ابن خالويه أحدهم فألف حجته من القراءات السبع منطلقاً من تقسيم أستاذه لهم، فأراد أن يضع مؤلفاً يكون سهل المتناول بين العامة والخاصة، إضافة إلى وضوح معانيه وتحديد ألفاظه.

ومن أهمية كتاب الحجة أن مؤلفه أورد قراءات لم ترد إلا عن طريقه، ذكر ذلك محقق الكتاب[٣]، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ ﴾[٤]، قال: «يقرأ

(١) الحجة ٤٣، ٩٤، ١٨١.

(٢) المصدر نفسه: ٥٤، ٩٦، ١٦٥.

(٣) مقدمة الحجة: ٣١.

(٤) الأنعام: الآية: ١٦٠.

بالتنوين ونصب الأمثال، وبطرحه والخفض، فالحجة لمن نصب: أن التنوين يمنع من الإضافة فنصبت على خلاف المضاف، والحجة لمن أضاف: أنه أراد: فله عشر حسنات، فأقام الأمثال مقام الحسنات، ولهذا المعنى خزلت الهاء مع العدد: لأنه المؤنث فأعرفه[١]».

وقد أخطأ محقق الكتاب بذلك، فقد ذكر هذه القراءة ابن النحاس في كتابه (إعراب القرآن[٢])، مع تعليلها، وذكرها العكبري في كتابه (إملاء ما من به الرحمن).

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه[٣]

الكتاب هو تلخيص لكتابه (البديع في القراءات الشاذة)، وهذا يدل على العنوان، وقد وصل إلينا خلواً من اسم راويته ومن المقدمة التي يوضح فيها عنوانه.

منهجه

بدأ ابن خالويه بذكر شواذ السور في القرآن الكريم، وقد رتبها حسب تسلسل السور، فبدأ بشواذ سور الفاتحة، وشواذ سورة البقرة، فشواذ سورة آل عمران.... وهكذا إلى نهاية شواذ سورة الناس.

نهج ابن خالويه نهجاً واحداً في كتابه، فكان يورد السورة ويتبعها بالآية التي يعالج فيها قراءتها الشاذة، ولا يفصل القول فيها وإنما ينسب هذه القراءة الشاذة إلى صاحبها، مثل قوله: «شواذ سورة البقرة» قال تعالى: ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ : بالرفع، زهير الفرقبي، لا ريب فيه بضم الهاء مسلم بن جندب[٤]».

وإذا تعددت القراءة الشاذة ذكرها مع من قرأ بها، مثلاً قوله: «شواذ سورة

(١) الحجة: ١٢٨.

(٢) إعراب القرآن: ١/٥٩٥.

(٣) عني بنشره ج، براجستراسر، وطبع في المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٣٤.

(٤) مختصر شواذ القرآن: ٢.

النور، ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ ﴾ [(١)] بالنصب عيسى أيضاً ويحيى بن يعمر، وعمرو بن فائد، والزان: بغير ياء ابن سعود[(٢)]».

وكان في أثناء حديثه لشواذ السور يتطرق إلى المسائل النحوية، ولم تكن هذه الظاهرة كثيرة في كتابه، ويستشهد بذلك في كلام النحاة مثل سيبويه والفراء مثل قوله في شواذ سورة الحجر: «على سرر[(٣)]» بفتح الراء، أبو السمال. قال ابن خالويه: أجاز سيبويه والفراء (سرير وسرر) بالفتح وكذلك في كل المصاحف[(٤)].

اعتمد على ثقافته اللغوية في تبيين وجوه الاختلاف في القراءة، مثل قوله تعالى: «ربما يود الذين كفروا[(٥)]»، بالفتح والتخفيف، أبو زيد، قال: سمعت أبا قرة يقرأها كذلك: «ربما يود» بالضم والتخفيف الأعشى «ربما يود» أبو السمال، قال ابن خالويه: سمعت محمد بن القاسم يقول: «وحكاه أبو زيد أن فيه ست لغات: ربما، ربما، وربما، وربما، وربتما، وربتما، وزاد الكسائي (ربتما) فهذه ثماني لغات في هذا الحرف فأما الرب عز وجل فالباء لتشديد والفتح وحكى الفراء رب بالتخفيف[(٦)]».

مصادره

على الرغم من صغر حجم الكتاب، فإنه قد ضم مادة علمية وافرة في مادة القراءات، مستشهداً بكثير من كلام اللغويين والنحويين، وكان ذلك في المسائل النحوية واللغوية، ونقل أيضاً كلام شيخه ابن مجاهد في تناوله للقراءة الشاذة، كما استشهد بالقليل من كلام الشعراء.

لقد كان كتاب مختصر شواذ القرآن مختصراً جداً، حيث إن ابن خالويه لم يذكر سند الرواية فيه، ولم يبن صحة القراءة الشاذة أو فسادها، وإنما يكتفي

---

(١) النور: الآية: ٢.

(٢) مختصر شواذ القرآن: ١٠٠.

(٣) الحجر: الآية: ٤٧.

(٤) مختصر شواذ القرآن: ٧١.

(٥) الحجر: الآية: ٢، وينظر مغني اللبيب: ١/١٣٤– ١٣٥ (تحقيق محيي الدين عبد الحميد).

(٦) مختصر شواذ القرآن: ٧٠.

بذكر القارئ فقط، فأراد ان يهذب ويختصر كتابه البديع، ويكون متناولاً سهلاً.

ويمثل أستاذه محمد بن القاسم الأنباري مصدراً من مصادره حيث ذكره في كتابه بلفظ: (سمعت محمد بن القاسم الأنباري يقول[١]......).

الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي

وصل إلينا كتاب الحجة لأبي علي الفارسي مطبوعاً منه الجزءان الأول والثاني[٢]، وبقية الأجزاء لم تصدر بعد[٣].

منهجه

بدأ الفارسي كتابه بالصلاة والسلام على النبي محمد (ﷺ)، وبعدها تحدث عن عضد الدولة، لأن الكتاب مهدى إليه، ثم تناول موضوع كتابه بقوله: (فإن هذا الكتاب نذكر فيه وجوه قراءات القراء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المترجم بعد أن نقدم ذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه وأخذناه عنه[٤]).

أورد الفارسي في صدر كتابه كلام ابن السراج في احتجاج القراء في فاتحة الكتاب ثم بدأ بعد ذلك بقوله: «قال أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار[٥]...»، ويبدأ بالحديث عن الاختلاف في فاتحة الكتاب ثم يبدأ بذكر الآيات واختلاف القراء في قراءتها معتمداً على القراء السبعة الذين عينهم ابن مجاهد في كتابه (السبعة)، وكان في أثناء عرضه للآيات يذكر كلام ابن السراج إلى أن انتهى

(١) مختصر شواذ القرآن: ٧٠، ٧٦، ٩٧.

(٢) حققه علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح شلبي، وراجعه محمد علي النجار وطبع في القاهرة.

(٣) وهي محفوظة موجودة في مكتبة بلدية الاسكندرية برقم ٣٥٧٠ ع. وفي دار الكتب المصرية مصورة منها برقم ٤٦٢ قراءات، وفي خزانة مجمع اللغة العربية في القاهرة، مصورة منها، وتتألف هذه النسخة من ستة مجلدات ينقصها الجزء الخامس.

وتوجد منها نسخة خطية أخرى في مكتبة مراد ملا باستنبول ومنها مصورة في معهد إحياء المخطوطات. انظر مقدمة كتاب الحجة: ٣٢، ٣٥.

(٤) الحجة: ٤.

(٥) المصدر نفسه: ١١.

من آيتين من سورة البقرة، بعدها لم يذكر ابن السراج.

امتاز كتاب الفارسي بكثرة التفصيل والتفسير في تناوله القراءة فجاء كتابه مفعلاً للوجوه العربية من لغة ونحو وصرف وبلاغة بالإضافة إلى توجيه هذه القراءات إلى القواعد النحوية واللغوية معتمداً بذلك التأويل والتوسيع.

تركزت مادة الحجة على ذكر حجج العلماء بقوله: وحجة من ضم الميم[1]...، والحجة لمن قرأ بالصاد[2]....، والحجة لمن قال بالنصب[3]...، وهكذا في بقية كتابه.

واعتمد الفارسي في احتجاجه على تناول الحرف الذي وقع فيه الاختلاف فتحدث عن المعاني والألفاظ في الكلمة الواحدة ذاكراً الآراء المحتملة للمعنى والتفسير اللغوي مستنداً في ذلك على نصوص قرآنية وشعرية وأقوال للعلماء اللغويين والنحاة والمفسرين، ثم تناول الوجوه الإعرابية فيذكر الأصول النحوية التي استدل بها في الإعراب، بعد ذلك يعود إلى الاحتجاج للقراء، ذاكراً الحجة لكل قارئ منهم معتمداً على ذلك على قراءة كل أصل من أصول العربية.

برزت شخصية الفارسي في كتابه فكان واسع الثقافة، قوي الحجة فيما يذهب إليه من آراء علمية، متوفراً على وجوه شتى من وجوه اللغة والنحو والتفسير والتصريف، جادل اللغويين والنحاة والقراء والمفسرين، فيعرض لآرائهم وكان لا يسلم إلى رأي، بل عقب وناقش وخطأ ووافق وفاضل بين الآراء، وهو في النهاية كان رأيه هو المعول عليه في شرحه وتناوله اللغة.

إن المتتبع لكتاب الحجة يلاحظ أن الفارسي بكثرة شرحه وتفصيله، ينتقل من موضوع إلى موضوع حتى يبتعد عن الموضوع الأصلي الذي عقد من أجله الحديث به إضافة إلى حشده لآراء مختلفة للنحاة الذين سبقوه، وكثرة ذلك ومناقشة رأي كل واحد منهم، وكان مع كثرة تفصيله وشرحه لا يميل إلى التكرار وإنما يميل إلى النظائر السابقة، كقوله: «قد قلنا فيما تقدم في الذرية أن يكون

---

(١) الحجة: ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ١/٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ١/١٦٤.

واحداً وجمعاً[١]»، وقوله في تحقيق الهمزتين: «وقد تقدم القول في أوائل هذا الكتاب[٢]».

ولع الفارسي بالقياس ولعاً شديداً، فاختلف مع اللغويين والنحاة السابقين في هذه المسألة، فالفارسي توسع في القياس وتعمق فيه، حتى أصبح عقلياً يتمشى مع الصناعة المنطقية[٣]، وعدد أحد الدارسين المحدثين[٤]، لأبي علي الفارسي التنوع في القياس في كتابه الحجة، نفسه إلى قياس الشبه، وقسمه إلى تسعة فروع[٥]، وقياس العلة وقسمه على ثلاثة أقسام، تناولها بالشرح والتفصيل مستشهداً بالأمثلة من كتاب الحجة[٦].

أما تعمق الفارسي في القياس، فحجته غامرة بكثرته، وفي أماكن متفرقة فهو يقايس حتى لا يكاد يخلو احتجاج لآية من قياس، ويسلك في قياسه سبيلاً للمناطقة في التدليل والتعليل[٧]، هكذا كان موقفه في القياس وشدة ولعه بالتفسير والتأويل والمحاجة، معتمداً على قوله بالأدلة والبراهين القوية.

لم يترك الفارسي مسألة معينة إلا وأشبعها بحثاً وقلبها على جميع الوجوه، ونتيجة لهذا الشرح المستفيض، فقد ظهرت في كتابه عدداً من الجمل الاعتراضية.

امتاز أسلوب الفارسي بالغموض والتعقيد مما جعل كتابه لا يقبل عليه إلا خاصة العلماء الذين يطيقون فهمه، ويحسنون الانتفاع به[٨]، وقال عنه ابن جني: «فإن أبا علي (رحمه الله) عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء[٩]».

---

(١) الحجة: ٥٧/٤، وانظر أبو علي الفارسي: ١٨٨.
(٢) الحجة: ٢٨٩/٤، ٣٥/٦، ٣٦، ٤٥، ٧٩، وانظر أبو علي الفارسي: ١٨٨.
(٣) أبو علي الفارسي: ٢٢٠.
(٤) الدكتور عبد الفتاح شلبي.
(٥) أبو علي الفارسي: ٢٢٠.
(٦) أبو علي الفارسي: ٢٢٠.
(٧) المرجع نفسه: ٢٢٤.
(٨) الحجة: ٣٤/١.
(٩) المحتسب: ٣٤/١.

مصادره

إن الباحث لكتاب الحجة لأبي علي الفارسي، ليجده كثير المصادر متنوع المظان، فمن مصادره الأولى يطالعنا القرآن الكريم فكثر الاستشهاد به في مواضع عديدة وأماكن مختلفة.

أما الحديث النبوي الشريف فشأن الفارسي إزاءه شأن اللغويين والمفسرين، أن يجدوا في الحديث الشريف ضالتهم، فكان الحديث النبوي الشريف مصدراً نهل منه الفارسي وضمنه حجته.

أما استشهاده بالشعر العربي فكان كثيراً، فنادراً ما نلاحظ إهمال الشعر عنده، فكل قضية يناقشها ويعللها يستشهد بالشعر حتى لو نقل كلام اللغويين والنحاة، فإنه يذكر أبياتاً من الشعر منسوباً لروايتهم، وكان كثيراً ما يناظر شواهد سيبويه بشواهد أخرى يأتي بها من عنده تعزز شواهد الكتاب، وكثيراً ما يورد شواهده نقلا من دون أسماء قائليها، وقليلاً ينسبها الى قائليها أو يسندها إلى الرواة من العلماء، فاستشهد بالشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، وأكثر الاستشهاد بالرجازين رؤبة والعجاج.

أما العلماء واللغويون فكتابه حافل بآرائهم، فذكر أبي الأسود الدؤلي والخليل وسيبويه والمازني، والأخفش، وعلي بن سليمان وأبى عبيده، وابن الإعرابي، والسكري، والأصمعي، وكان كثيراً ما يذكر أبا زيد وثعلب، ومن المفسرين ذكر ابن عباس وابن مسعود.

ومن مصادره الأخرى، لهجات القبائل، فأورد لغات مختلفة، وعدد من القبائل طيء، قيس، تميم، أهل الحجاز وغيرها، وكان يفاضل بينها، ويستعين بها في الشرح والإيضاح.

يعد كتاب الحجة من المصادر المهمة في معرفة القراءات، إضافة إلى ما يحويه من لغة، ونحو، وصرف، والأصوات، ولهجات القبائل وأقوال العلماء ومسائل الخلاف بينهم.

المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني

ألف ابن جني كتابه المحتسب[١] ليبين فيه وجوه القراءات الشاذة، قال في مقدمة كتابه: «وأنا بإذن الله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبعة، وقائل في معناه مما يمن الله (عز وجل)، وإياه نستعين وهو كافٍ ونعم الوكيل[٢]».

منهجه

بدأ ابن جني كتابة بمقدمة، بعد التحميد والصلاة على رسوله والثناء عليه، ثم عرض لقراءة الأمصار ذاكراً كتاب ابن مجاهد بالقراءات السبع، والقراءة الشاذة الخارجة عن قراءة السبعة.

أبان ابن جني من تأليفه للمحتسب بقوله: «...وذلك لأن كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة، وإنما الغرض منه إبانة ما لطفت صنعته وأغربت طريقته[٣]».

يتبين من هذا أن ابن جني تناول بعض القراءات الشاذة وليس كلها ثم تحدث عن مصادر كتابه، فعدد من الكتب، كتاب السبعة لابن مجاهد، وكتاب لأبي حاتم السجستاني، وكتاب لقطرب وكتاب المعاني للفراء، وقد وصف كل كتاب منها.

بدأ بعد المقدمة وذكره للكتب التي رواها، بسوره القرآن الكريم، فكانت سورة الفاتحة أول ما بدأ الحديث عنها.

نهج ابن جني في كتابه نهجاً واحداً، فكان أول ما يعرض القراءة الشاذة، وذكر من قرأ بها، ثم تحدث عنها بالشرح والتفصيل مقلباً اللفظة من جميع وجوه

---

(١) طبع بجزأين، حقق الجزء الأول علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي سنة ١٣٨٦هـ، والجزء الثاني حققه علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي سنة ١٣٨٩هـ وطبعا في القاهرة.

(٢) المحتسب: ١/٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/٣٥.

العربية، وتجد عبارة «قال أبو الفتح...»، في بداية الحديث عن القراءة الشاذة التي يريد التحدث عنها، فاحتج بالقراءة الشاذة بقراءة أخرى، فكان لا يتحرج أن يردها أو أن يضعف القراءة بها، لا يكاد يأخذها هي نفسها بهذا أو ذاك، ولكن يأخذ به الوجه الذي يتجه بها إليه[1].

امتاز أسلوب ابن جني بالسلاسة والوضوح وكان يميل إلى ذكر الكلمات الغامضة، ولا يكثر بالشرح والتفصيل، وإنما يميل إلى الاختصار والبساطة ولا يميل إلى الإطالة وصرح بذلك: (...إلا أنا نكره ونتحامى الإطالة لاسيما في الدقيق، لأنه مما يجفو على أهل القرآن[2]).

وقال أيضاً: «إلا أنه كتاب سئلنا اختصاره، لئلا يطول على كاتبه، فأوجبت الحال الإجابة إلى ذلك[3]».

أراد ابن جني في كتابه أن لا ينحو منحى أستاذه أبي علي الفارسي في كتابه الحجة، في الإطالة فقال في المحتسب: «وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتابه الحجة، وظاهرة أمره أنه لأصحاب القراءة، وفيه أشياء كثيرة قلما ينتصف فيها كثير ممن يدعي هذا العلم، حتى إنه مجفو عند القراء[4]».

تأثر ابن جني بأستاذه أيما تأثير لأن صحبتهما دامت أربعين سنة[5]، فكما كان الفارسي في حجته يميل إلى القياس والولع به، ترك ذلك على تلميذه ابن جني، فاشتد ولعه بالقياس، وأخذ يخطئ النحاة واللغويين فيما يراه مخالفاً للقياس، فقال: «ومن ذلك قال ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [6] ساكنة.

قال أبو الفتح: «لا يجوز أن يكون (مرض) مخففاً من مرض، لأن المفتوح

---

(١) المحتسب: ١/١٢.
(٢) المحتسب: ١/١٩٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٢٣١.
(٤) المحتسب: ١/١٩٨.
(٥) سر صناعة الإعراب: ١/٣٤.
(٦) البقرة: الآية: ١٠.

لا يخفف، وإنما ذلك في المكسور والمضموم كإبل وفخد، وطنب، وعضد، وما جاء عنهم من ذلك في المفتوح فشاذ لا يقاس عليه[١]».

تجنب ابن جني التكرار، وكان إذا صادفته حالة مشابهة لحالة سابقة يوضح ذلك، قوله: «قد تقدم القول على ذلك[٢]»، «قد سبق القول على هذا فيما مضى، فأغنى عنه هنا[٣]»، وكان أيضاً يحيل على مؤلفاته الأخرى مثل قوله: «وعلى أننا قد ذكرنا هذا في كتابنا الموسوم (بالمنصف[٤]) وقوله أيضاً: «لقد ذكرنا في كتابنا الموسوم بسر صناعة الإعراب[٥]»، وقوله أيضاً: «وقد كتبنا في الخصائص باباً مفرداً في إجراء العرب غير اللازم مجرى اللازم وإجراء اللازم مجرى غير اللازم، فاكتفينا به عن إعادته لئلا يطول هذا الكتاب[٦]»، متوخياً من ذلك الاختصار.

تناول ابن جني جميع سور القرآن الكريم، ذاكراً القراءات الشاذة فيها، أما السورة التي لا توجد فيها قراءة شاذة، فإنه بين ذلك مثل قوله: «سورة نوح: لاشيء فيها[٧]، سورة كورت: لاشيء فيها[٨]».

وهكذا في بقية سور القرآن الأخرى.

برزت شخصية ابن جني العلمية في كتابه هذا حيث ظهر هذا العالم النحوي اللغوي الملم بفنون العربية جميعاً، وبهذه الفذلكة العلمية تعقب ابن جني ابن مجاهد في عدة مواضع في المحتسب، منها على سبيل المثال: «ومن ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ﴾[٩] بفتح الياء. قال ابن مجاهد: ولا يقرأ بها.

قال أبو الفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز، وذلك أنه على حذف المفعول، أي: والذين يتوفون أيامهم أو أعمارهم أو آجالهم، كما

(١) المحتسب: ١/٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٣٥٠.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٣٢١.
(٤) المحتسب: ١/٥٣.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣٩.
(٦) المصدر نفسه: ١/٧٠.
(٧) المصدر نفسه: ٢/٢٣٠.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٢٣٥.
(٩) البقرة: الآية: ٢٣٤.

قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ ﴾ (١) و﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (٢)، وحذف المفعول كثير في القرآن وفصيح الكلام، وذلك إذا كان هناك دليل عليه(٣)».

وهناك مواضع أخرى خطأه في تعليقاته على القراءات الشاذة من حيث التفسير اللغوي والنواحي الإعرابية من نحو وصرف.

وكما خطأه في كتابه فقد وافقه في مواضع أخرى وسلم بقراءته ورأيه مثل: «ومن ذلك قراءة قتادة: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ ﴾ (٤)، وكذلك قراءته: «وإن منها»، مخففة. قال ابن مجاهد: أحسبه أراد بقوله مخففه – الميم – لأني لا أعرف لتخفيف النون معنى. قال ابو الفتح: هذا الذي أنكره ابن مجاهد صحيح(٥)».

لم يستطع ابن جني تخريج كل القراءات الشاذة بل وقف عند بعضها وقال عنها: إنها ضعيفة، أو لغة مرذولة أو مرفوضة، أو هي قراءة فاسدة أو قبيحة(٦).

مصادره

أكثر ابن جني في كتابه من ذكر المصادر، فقد كان القرآن الكريم في طليعة مصادره فاستشهد بنصوص قرآنية على ما كان يراه جديراً بالشهادة بقراءة على قراءة ليقوي فيها حجته وأدلته. وكان الحديث النبوي الشريف مصدراً آخر من مصادره، لكن الاستشهاد به كان قليلاً قياساً لمادة كتابه وقلة الحديث النبوي الشريف مثله الأمثال وأقوال الفصحاء والبلغاء.

ويمثل الشعر الأعم والأكثر فقد حفل كتابه، فاستشهد بكلام الجاهليين أمثال: امرئ القيس(٧)، طرفة بن العبد(٨)، عدي بن زيد(٩)، وزهير بن أبي

---

(١) المائدة: الآية: ١١٧.
(٢) النحل: الآية: ٢٨.
(٣) المحتسب: ١/١٢٥.
(٤) البقرة: الآية: ٧٤.
(٥) المحتسب: ١/٩١.
(٦) أثر المحتسب في الدراسات النحوية: ٦٨٤.
(٧) المحتسب: ١/١٣٩، ٢٩٣، ٢/١٢٤، ٢٩٥.
(٨) المصدر نفسه: ١/٤٠، ١٨٣، ٢/٩٣، ٣٤٨.
(٩) المصدر نفسه: ١/ ٦٤، ٢٣٥.

سلمى[١]، قيس بن الخطيم[٢]، وغيرهم، ومن الإسلاميين أمثال: حسان بن ثابت[٣]، لبيد[٤]، الحطيئة[٥]، الشماخ[٦]، وغيرهم، ومن الأمويين أمثال: جرير[٧]، الفرزدق[٨]، كثير عزة[٩]، ذي الرمة[١٠]، وغيرهم.

ومن العباسيين المتأخرين استشهد بكلام ابي تمام[١١]، وأبي العتاهية[١٢]، والمتنبي[١٣]، وبهذا يعد ابن جني أول من استشهد بالشعراء المتأخرين لأننا لم نر أحداً ممن ألف من شيوخه استشهد بكلامهم. ومن الرجز استشهد أيضاً، حيث كان رؤبة[١٤]، والعجاج[١٥]، وأبي النجم[١٦]، أشهر من استشهد برجزهم.

وكان ابن جني ينسب شواهده ويترك بعضها من غير نسبة، وأحياناً يروي نصف بيت منها[١٧].

وهناك مصادر أخرى روى في بداية كتابه[١٨]، وأخذ منها في ثناياه، مقارناً بينها ويرجح القول الصحيح فيها، ونقل أيضاً عن علماء آخرين فكان على رأس

(١) المصدر نفسه: ١/٩٤، ٢/٨٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٨٠.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٨٧، ٢٩٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٥٦، ١٨٩، ٢/٤٣.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٢٥، ٣٣٣، ٢/٢٩٠، ٣٤٣.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٢١، ٢/٢٣٤.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٤٣، ٢/١٨٩.
(٨) المصدر نفسه: ١/٥٧، ٢/٢٣٨.
(٩) المصدر نفسه: ١/٣٥، ٢/١٢٠.
(١٠) المصدر نفسه: ١/٤٨، ٢/٣٢٢.
(١١) المصدر نفسه: ١/٢٢٩، ٢/١٢٨، ١٤٤.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٥٣.
(١٣) المصدر نفسه: ١/١٤، ١١٣، ٢/١٩، ١٣٠، ٢٠١.
(١٤) المحتسب: ١/٨٠، ٢/١٨٧.
(١٥) المصدر نفسه: ١/٩٢، ٢/٢٧٩.
(١٦) المصدر نفسه: ١/١٧١، ٢/٥٢.
(١٧) المصدر نفسه: ١/٩٤، ٢/١٥٠.
(١٨) المصدر نفسه: ١/٣٥– ٣٦.

هؤلاء، أستاذه أبي علي[١] حيث ورد اسمه كثيراً في كتابه ثم نقل عن سيبويه[٢] واستشهد بكثير من شواهده، ومن العلماء الآخرين، الأصمعي[٣]، وأبي حاتم السجستاني[٤]، وابن دريد[٥]، والفراء[٦]، وأبي زيد[٧]، وثعلب[٨]، وغيرهم، ولم يكن ابن جني يتقبل كل ما ينقله عنهم، بل ناقشهم، ونقدهم، وخطأهم في بعض الأحيان، حتى يرى الجانب الصحيح في اعتقاده ويسلم نفسه به، وكما ذكر اللغويين والنحاة، فإنه فإنه ذكر القراء السبعة، منهم وغير السبعة، وروى عن ابن مجاهد[٩]، واستشهد بكلام المفسرين أمثال ابن مسعود[١٠]، وابن عباس[١١]، وأفاد ابن جني من لهجات القبائل ولغاتها، واحتج بها في القراءات الشاذة، وكان يرجع إليها ويوجه على مقتضى معرفته فيها.

تجلت أهمية المحتسب، بأن مؤلفه كان بارعاً في فنون العربية، فجاء كتابه شاملاً لجميع هذه الفنون، فالمطالع لكتاب المحتسب يخرج بنتيجة مفادها: أن ابن جني قد أفرغ في كتابه هذا جهده، فشمل، القراءات واللغة، والنحو، والصرف، والبلاغة، والأصوات، وذكر اللهجات،وفصل فيه مسائل نحوية كثيرة مقترناً بمسائل لغوية أخرى.

لقد أراد ابن جني أن يلفت أنظار الناس حوله في ذكر القراءات الشاذة بعد أن وضع ابن مجاهد كتابه«السبعة» واقتصر القراءات على القراء السبعة، كذلك

(١) المصدر نفسه: ١/١٧، ٤٨، ١٨٤، ٢/ ٦٠، ٢٨٤، ٣٦٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/٤٤، ١١٢، ٢/ ١٠٣، ٣٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ١/٤٧، ٨٧، ٢/٧٩، ٢٢٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٣٥، ٢٦٧، ٢/ ١٨٩، ٣٣٨.
(٥) المصدر نفسه: ١/١١٧، ٢/٢٧٤.
(٦) المصدر نفسه: ١/٥٩، ١٠٧، ٢/ ١٨٧، ٢٦١.
(٧) المصدر نفسه: ١/٨٣، ١٦٥، ٢/ ١١٠، ٣١٣.
(٨) المصدر نفسه: ١/٧٥، ٩٠، ٢/ ٦٠، ٢٢٧، ٣٥٠.
(٩) المصدر نفسه: ١/ ٥٤، ١٧٣، ٢/ ٤٠، ١٢٠، ٢٧٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١/ ١٠٣، ٢/٢٣، ١٧٤.
(١١) المحتسب: ١/٦٨، ١٩٤، ٢/ ٧٠، ٢١٤.

تهافت العلماء على الاحتجاج للقراءات التي وضعها ابن مجاهد، فألفوا فيها كثيراً وثقوا فيه كلامه، إلا أن ابن جني جعل الشاذ من القراءات جميعاً ما عدا القراءات السبع، وصرح بذلك في كتابه أن هذه التسمية شاعت عند أهل زمانه بقوله: «وضرباً تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً أي خارجاً من قراءة القراء السبعة[(١)]». وقال أيضاً: «وأنا بإذن الله بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شذ عن السبع[(٢)]».

لقد نهج ابن جني في «المحتسب» منهج البصريين، فأخضع القراءات الشاذة للقياس والتعليل، وكل ما خالف القياس اعتبره شاذاً، وأراد ألا يخالف القراء بذلك فقال: «ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء، لكن غرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه، آخذ من سمت العربية مهملة ميدانه، لئلا يرى مرء أن العدول عنه إنما غض منه أو تهمة له[(٣)]».

(١) المصدر نفسه: ١/٣٢.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣٤.
(٣) المحتسب: ١/٢٣.

المبحث الرابع

كتب الوقف والابتداء

عني اللغويون بالتأليف في الوقف والابتداء منذ عصر مبكر، لاتصاله بالقراءات القرآنية، حيث يعد من الأصوات المتصلة بالقراءة، إذ يتناول مواضع الوقف والابتداء في آي الذكر الحكيم.

وقد ألف في القرن الرابع فيه: الزجاج[1] (ت ٣١٠ هـ)، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، ومحمد بن محمد بن عباد المقرئ[2] (ت ٣٣٤ هـ)، وابن مقسم[3] (ت ٣٥٤ هـ)، وأبو سعيد السيرافي[4] (ت ٣٦٨ هـ)، والصاحب بن عباد[5] (ت ٣٨٥ هـ) وابن جني[6] (ت ٣٩٢ هـ)، «ويحكى عن الصاحب بن عباد: أنه لما صنف كتابه (الوقف والابتداء) وكان في عنفوان شبابه، فأرسل إليه أبو بكر الأنباري، وقال: إنما صنفت كتاب الوقف والابتداء بعد أن نظرت في سبعين كتاباً تتعلق بهذا العلم، فكيف صنفت هذا الكتاب مع حداثة سنك؟ فقال الصاحب للرسول: قل للشيخ، نظرت في النيف والسبعين التي نظرت فيها، ونظرت في كتابك أيضاً[7]».

وقد وصل إلينا من هذه المجموعة كتاب أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري.

إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر الأنباري[8]

وصل إلينا برواية أبي غالب محمد بن عبد الواحد بن الحسن القزاز وابنه أبي

---

(١) كشف الظنون: ١/٧٣٣، هدية العارفين: ١/٥.
(٢) معجم الأدباء: ٧/٩٠، بغية الوعاة: ١/٢٢٤.
(٣) الفهرست: ٣٦، معجم الأدباء: ٦/٥٠١، بغية الوعاة: ١/٨٩.
(٤) الفهرست: ٦٨، تاريخ بغداد: ٧/٣٤١، إنباه الرواة: ١/٣١٣، لسان الميزان: ٢/٢١٨.
(٥) نزهة الألباء: ٢٢٣، إنباه الرواة: ١/٢٠١.
(٦) الفهرست: ٩٥، معجم الأدباء: ٥/٣١٦.
(٧) نزهة الألباء: ٢٢٤.
(٨) حققه محيي الدين عبد الرحمن وطبع في دمشق سنة ١٩٧١ وصدر في جزأين.

منصور عبد الرحمن.

منهجه:

قسم ابن الأنباري كتابه على مقدمة وأحد عشر باباً، تناول في المقدمة الحديث عن فضائل القرآن الكريم مستعيناً بالأخبار المروية عن الصحابة، وبعدها تكلم عن لغة القرآن وإعرابه وفهمه، ثم تحدث بعدها عن اللحن الذي يصيب القرآن مستشهداً بأقوال الصحابة والعلماء وضمن المقدمة بالحديث عن اللغة والنحو وما يحتاجه القارئ لقراءة القرآن الكريم في التلاوة ثم مضى يؤرخ لأول من وضع النحو ذاكراً الروايات التي قيلت في نشأته، وتكلم بعدها عن الغريب في الآيات القرآنية وتفسيرها، ويأتي بأخبار ابن عباس في تفسيره لآيات القرآن الكريم مستعيناً بالشعر العربي من خلال الأسئلة التي وجهها إليه نافع بن الأزرق[١]، في المسجد الحرام منها: «قال نافع لابن عباس: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ ﴾[٢]، ما المخمصة، قال: الجوع، قال فيه الأعشى[٣]:

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يَبِتْنَ خمائصاً[٤]

وهكذا يستمر ابن الأنباري بذكر الأسئلة وأجوبتها بين نافع بن الأزرق وابن عباس مدللا على رأيه في ضرورة معرفة الغريب وصلة ذلك بالشعر والكلام، وأوزد في ذلك مائة وثمانية وعشرين دليلاً.

وتكلم بعد ذلك عن الوقف والابتداء لمعرفة معاني القرآن وغريبه، تحدث بعدها عن أنواع الوقف فقال: «فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام والوقف الكافي الذي ليس بتام والوقف القبيح الذي ليس بتام ولا كاف[٥]».

وبعد أن انتهى من المقدمة، ذكر أسانيد ما في الكتاب من القراءات. أما

---

(١) نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري، من أهل البصرة، صحب ابن عباس وله من أسئلة أمير قومه وفقيهم توفي سنة ٦٥هـ، لسان الميزان: ١٤٤/٦، الكامل في التاريخ: ٦٥/٤.

(٢) المائدة: الآية: ٣.

(٣) الديوان: ٧٨.

(٤) الوقف والابتداء: ٨١/١.

(٥) المصدر نفسه: ١١٢/١.

الأبواب التي قسمها في كتابه فهي:

١. باب ذكر مالا يتم الوقف عليه، ذكر فيه الحالات التي لا يتم الوقف عليه بقوله: «اعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون ما أضيف إليه، ولا على المنعوت دون النعت ولا على الرافع دون المرفوع.... الخ[1]». طبق هذه الحالات على الآيات القرآنية والتي لايتم الوقف عليها إلا بالحالات التي ذكرها.

٢. باب ذكر الألفات اللاتي يكن في أوائل الأفعال، ذكر فيها سبب بدء ألفات الأفعال قبل ألفات الأسماء قوله: «وإنما بدأنا بها قبل ألفات الأسماء لأن الأصول فيها أبين وأقرب على المتعلمين من ألفات الأسماء[2]».

٣. باب ذكر الألفات اللاتي يكن في أوائل الأسماء قوله: «اعلم أن ألفات الأسماء تنقسم على أربعة أقسام: ألف أصل، ألف قطع، وألف وصل، وألف استفهام[3]»، وبعد أن انتهى من ذكرها، شرحها الواحدة بعد الأخرى مستشهداً بالآيات القرآنية.

٤. باب ذكر الياءات والواوات والألفات اللاتي يحذفن علامة للجزم، فلا يجوز إثباتهن في الوقف، ذكر الحالات التي تحذف فيها قوله:

«اعلم أن الياءات والواوات والألفات يحذفن في الأمر والنهي وجواب الأمر والجزاء وما ينسق على الجزاء وجوابه وما جاء بعد لم، وألما وأفلم وأفلما[4]».

٥. باب ذكر الياءات اللاتي يكن في أواخر الأسماء، ذكر ذلك بقوله:

«اعلم أن الياء إذا سكنت ولقيها تنوين سقطت كقوله عز وجل: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ﴾[5]. كان الأصل فيه، ناجي فاستثقلوا الضمة في الياء فحذفوها فبقيت الياء ساكنة، والتنوين ساكن، فحذفوا الياء لاجتماع الساكنين،

(١) المصدر نفسه: ١/١٣٢.
(٢) الوقف والابتداء: ١/١٥١.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٢٢.
(٥) يوسف: الآية: ٤٢.

فالوقف عليه (ناج) بغير ياء لهذا المعنى[١]».

٦. باب ذكر الياءات والواوات والألفات المحذوفات اللاتي يجوز في العربية اثباتهن، مستشهداً بالآيات القرآنية في حذف هذه الحروف.

٧. باب ذكر ما يوقف عليه بالتاء والهاء.

٨. باب ذكر الحرفين اللذين ضم أحدهما، إلى صاحبه فصار حرفاً، لا يحسن السكوت عليه، أحدهما دون الآخر، والحرفين اللذين يحسن الوقف على أحدهما.

٩. باب ذكر التنوين وما يبدل منه في الوقف.

١٠. باب ذكر مذهب القراء في الوقف، ذكر منهم: نافع، حمزة الزيات، الكسائي، أبو عمر بن عاصم، يعقوب الحضرمي.

١١. باب ذكر أوائل السور إذا وصلت بأواخر السور التي قبلها، وذكر الوقف على أسماء السور.

١٢. باب ذكر أوائل السور إذا وصلت بأواخر السور التي قبلها، وذكر الوقف على أسماء السور.

كان ابن الأنباري يستشهد بالآيات القرآنية في كل باب يذكره، حتى بلغت صفحات الأبواب التي ذكرها أكثر من ثلاثمائة وعشرين صفحة، وبعد أن انتهى من ذكر جميع الوجوه التي يتم الوقف عليه، عقد بابا تحدث فيه عن أوائل السور، يبدأ بعدها بالتطبيق الذي ذكره في الفصول المتقدمة على سور القرآن الكريم، فيذكر سورة من السور المتقدمة على سور القرآن الكريم، فيذكر سورة بعد أخرى معللا في حين ومستقصياً لكل وجه في حين آخر. وكان تطبيقه لسور آي الذكر الحكيم مختصراً، فهو يذكر أحياناً بالوقف إذا كان حسن، أو تام أو قبيح، وإذا احتاجت العبارة إلى توضيح من الناحية الإعرابية وضح ذلك بالسند والرواية والشواهد مستعيناً بأقوال العلماء والقراء.

---

(١) الوقف والابتداء.

مصادره

زخر كتاب ابن الأنباري بأقوال كثير من العلماء اللغويين القدامى منهم، فذكر الخليل(١)، وسيبويه(٢)، والأصمعي(٣)، وأكثر الحديث عن أقوال أبي حاتم السجستاني(٤)، والأخفش(٥) سعيد بن مسعدة، مناقشاً آرائهم، ويخالفهم إذا وجد رأيهم مخالفاً لرأيه، ومن الكوفيين ذكر أقوال الكسائي(٦)، والفراء(٧)، وثعلب(٨) ويتقبل آراءهم، وكان كثير النقل عنهم.

وكانت أكثر آراء ابن الأنباري في كتابه هي آراء كوفية، حيث تجده كثير الذكر لعلماء الكوفة مؤيداً بذلك آراءهم.

ولما كان موضوع الوقف والابتداء يتعلق بقراءة القرآن، فإن كتابه حافل بكثير من القراءات مع ذكر القراء، فذكر بعضاً من القراء السبعة وغيرهم من القراء، أمثال: أبي بن كعب(٩)، وابن عباس(١٠)، وابن كثير(١١)، ونافع(١٢)، وعاصم(١٣)، وابن أبي إسحاق(١٤)، وأبي عمرو بن العلاء(١٥)، وحمزة الزيات(١٦).

---

(١) الوقف والابتداء: ٤٤، ٤٧٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٥٤، ٢٩١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٠، ٥٧.
(٤) المصدر نفسه: ٤١، ٢٧٩، ٥٦٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٥٥، ٦٧٢.
(٦) المصدر نفسه: ١٥٤، ٢٩٦، ٤١٠، ٥٨٧.
(٧) المصدر نفسه: ١١٢، ٢٤٨، ٣٩٦، ٨٢٨.
(٨) المصدر نفسه: ٥٨، ٢٩٧، ٤٧١، ٧٨١.
(٩) المصدر نفسه: ٢٤، ٢٦٥، ٣٧٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٦٢، ٧٢، ١٠٠.
(١١) المصدر نفسه: ١٧٥، ٣٨٢، ٨٢٠.
(١٢) الوقف والابتداء: ٥٦، ٥٨٦، ٩١٦.
(١٣) المصدر نفسه: ١١٢، ٣٧٢، ٧٤٧.
(١٤) المصدر نفسه: ٤٤، ٥٥٣، ٨١٨.
(١٥) المصدر نفسه: ١٦٧، ٣٠٤، ٧٣٩.
(١٦) المصدر نفسه: ١١٣، ٢٩٦، ٨٩١.

أما استشهاده بالشعر فكان قليلا قياساً إلى ما يحتويه الكتاب من مادة غزيرة، وأكثر استشهاده جاء في مقدمة الكتاب عندما تحدث عن فضائل القرآن ومعانيه وفهمه، خصوصاً المسائل التي دارت بين نافع بن الأزرق، وابن عباس.

أما بالنسبة لاستشهاده أثناء تطبيقه لحالات الوقف في سور القرآن فكان قليلاً، أما الشعراء المستشهد بكلامهم، فإنهم يتوزعون على حقب مختلفة، فمن الجاهليين استشهد بكلام: امرئ القيس[١]، طرفة بن العبد[٢]، الحارث بن حلزة[٣]، عنترة[٤]، عدي بن زيد[٥]، أحيحة بن الجلاح[٦] وغيرهم، ومن الاسلاميين أمثال: حسان بن ثابت[٧]، وأمية بن الصلت[٨] وكعب بن زهير[٩]، ولبيد[١٠]، والحطيئة[١١]، وغيرهم.

ومن الأمويين أمثال: جرير[١٢]، الفرزدق[١٣]، ذي الرمة[١٤]، الأخطل[١٥]، وغيرهم، واستشهاده لا يتعدى هذه الطبقة، سوى استشهاده ببيت واحد لابن

(١) المصدر نفسه: ٦٨، ١٩٥، ٥٦٨.
(٢) المصدر نفسه: ٨٧، ٢٨٨.
(٣) المصدر نفسه: ٩٧.
(٤) المصدر نفسه: ٨١، ٣٤٦.
(٥) المصدر نفسه: ٨٤، ٣٣٣، ٣٥٥.
(٦) المصدر نفسه: ٨٠، ٧٩٠.
(٧) المصدر نفسه: ٧٨، ٢٤٨، ٣٣٩.
(٨) المصدر نفسه: ٦٩، ٩٨.
(٩) المصدر نفسه: ١٣، ٢٤٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٨٢، ٢٥٩، ٣٧٠.
(١١) المصدر نفسه: ١٦١، ٣٣٢.
(١٢) الوقف والابتداء: ١٤٢، ٢٣٨، ٦٨٧.
(١٣) المصدر نفسه: ٣٣٩، ٩٥٧.
(١٤) المصدر نفسه: ١٦٤، ٣١٧، ٩٨٧.
(١٥) المصدر نفسه: ٩٤، ١٩٥، ٨١٠.

هرمة[١] فقط، ومن الرجازين أكثر من الاستشهاد بكلام العجاج[٢].

وعلى أية حال، فإن كتاب (الوقف والابتداء) لابن الأنباري يعد من الكتب القيمة والواسعة في مادتها، وكذلك أكثر الكتب سعة التي وصلت إلينا من القرن الرابع الهجري..

(١) المصدر نفسه: ٦٥٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٧١، ٣٦١، ٨٧٠.

الفصل الرابع

المعاجم اللغوية

مقدمة: أولية المعجم العربي

المبحث الأول/ المعاجم التي نهجت منهج الخليل تهذيب اللغة المحيط في اللغة.

المبحث الثاني/ المعاجم التي نهجت منهج الألفبائي مع نظام التقليبات – جمهرة اللغة.

المبحث الثالث/ المعاجم التي نهجت منهج الألفبائي مجمل اللغة. مقاييس اللغة.

المبحث الرابع/ المعاجم التي نهجت منهج القافية والفصل – الصحاح.

مقدمة

خص الله سبحانه وتعالى العرب من بين سائر الأمم الأخرى بنعمة القرآن الكريم، فأنزله على النبي محمد «ﷺ» بلغتهم وتكفل بالحفاظ عليه دون سائر الكتب المنزلة على الأقوام الأخرى، فقال في كتابه العزيز ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾[1]. ومع تطور الحياة العلمية في ظل القرآن الكريم ودخول أقوام غير عربية في الدين الجديد، واتساع الرقعة الاسلامية أدرك العلماء الأول خطر انتشار العجمة والتسلل إلى حرم لغة الذكر العزيز، فنهضوا الى تقعيد الضوابط وسن الأحكام لعصمتها من التشويه والخطأ، وبدأوا أول ما بدأوا به، أنهم راحوا الى جمع شوارد اللغة والتعرف إلى الصحيح والفصيح من أفواه البداة الذين لم يصل إليهم اللحن بعد، فجمعوا هذه الثروة اللغوية الطائلة، فألفوا في موضوعات اللغة المختلفة دون التخصص في موضوع معين، فكان التأليف المختلط، الذي يمثل البداية الأولى لحفظ اللغة وصيانتها، وبعد تطور المجتمع العربي، أخذ العلماء يؤلفون في الموضوعات اللغوية المستقلة، فكانت كتب غريب القرآن ومعانيه ولغاته وغريب الحديث والأمثال والمقصور والممدود والمذكر والمؤنث والأصوات وغيرها من الموضوعات اللغوية الأخرى، وبعد أن زاد اهتمام الناس باللغة وحاجتهم إليها، أخذ اللغويون في جمع اللغة وحصرها في كتب خاصة بها، لكي يحافظوا على نصوص القرآن الكريم من اللحن، فنشأت الدراسات اللغوية في ظل الحياة العلمية المتطورة الجديدة، ومن هذه الموضوعات التي نشأت في ظل المكتبة القرآنية، المعجم اللغوي.

---

(١) الحجر الآية: ٩.

المعجم العربي

لا أريد الخوض في أمر بداية استعمال كلمة «المعجم» عند أهل اللغة،وحسبي أن أتتبَّعَ مسيرة هذا المصطلح عند الطبقة الأولى من علمائنا -رضوان الله عليهم- بدءاً من إمام العربية الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) الذي أشار إليه بقوله: «والمعجم: حروف الهجاء المقطعة، لأنها أعجمية، وتعجيم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصح[١]». ثم وجدته معروفاً عند أهل الحديث النبوي الشريف الذين لهم سابق المعرفة والتحصيل في هذا الشأن والذين عرفوه بقولهم: «ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان أو غير ذلك، والغالب أن يكونوا مرتبين على حروف الهجاء[٢]».

ولعل أول ذكر ورد له عندهم، ما عرف عند أحدهم، الذي وضع جمهرة من الأحاديث أو التراجم على حروف المعجم،وأطلق عليه اسم «المعجم».

ثم شاع هذا المصطلح عند علماء اللغة وعلماء الحديث وأهل التاريخ، حتى وصل الأمر به أن يضع اللغويون معجماتهم اللغوية بأسماء مختلفة يقيناً منهم، أنه مصطلح معروف عند القوم، كما فعل الخليل حينما اختار «العين» اسماً لكتابه، وأبو عمر الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) اختار «الجيم». وأبو عبيد (ت ٢٢٤ هـ) اختار الغريب المصنف، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أطلق على معجميه (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة)، وهكذا طفق اللغويون يطلقون أسماء شتى على مؤلفاتهم المعجمية اللغوية[٣].

ويقف القرن الرابع الهجري شاهداً يقيناً على ما أذهب اليه، حيث وضع أهل المعجمات مصنفاتهم المعجمية جرياً على هذه السنن فقدألف ابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، الجمهرة في اللغة، والقالي (ت ٣٥٦ هـ) صنف البارع،و أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٦ هـ) صنف (تهذيب اللغة)، والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ)

(١) العين: ١/٢٣٨.

(٢) الرسالة المستطرفة: ١٣٥.

(٣) انظر أولية تدوين ونشأة المعاجم،يوسف العش، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد السادس عشر لسنة ١٩٤١، الجزء التاسع ص ٣٥٠.

صنف (المحيط في اللغة) وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، صنف كتابين هما (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة) والجوهري (ت ٣٩٩ هـ) صنف (تاج العربية والصحاح في اللغة).

وقد وصلت الينا جميع هذه الكتب.

المبحث الأول

تهذيب اللغة للأزهري

يعد تهذيب اللغة أكبر موسوعة لغوية ظهرت في القرن الرابع الهجري، لمؤلفه، محمد بن أحمد، أبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠ هـ). وقد اشترك في تحقيقه مجموعة من المحققين وطبع في خمسة عشر جزءاً وصدر في القاهرة عن الدار المصرية للتأليف والترجمة[1].

توخى الأزهري في وضع كتابه تنقية اللغة من الشوائب وتهذيبها حيث قال في مقدمته: «وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالتها الأغبياء عن صيغتها وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم

---

(١) حقق الجزء الأول والتاسع الأستاذ عبد السلام هارون، وحقق الجزء الثاني الأستاذ محمد علي النجار، والجزء الثالث بتحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، والجزء الرابع حققه الأستاذ عبد الكريم العزباوي ، والجزء الخامس حققه الدكتور عبد الله درويش، والجزء السادس حققه الأستاذان محمد عبد المنعم خفاجي ومحمود فرج العقدة، والجزء السابع حققه الدكتور عبد السلام سرحان ، والجزء الثامن حققه الأستاذ عبد العظيم محمود ، والجزء العاشر حققه الأستاذ علي حسن هلالي، والجزء الحادي عشر حققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، والجزء الثاني عشر والثالث عشر حققهما الأستاذ أحمد عبد العليم البردوني، والجزء الرابع عشر حققه يعقوب عبد النبي ، والجزء الخامس عشرحققه الأستاذ إبراهيم الأبياري وطبع في القاهرة وصدر عن دار الكتاب العربي سنة ١٩٦٧.

أما مراجعة الكتاب فتقاسمها الأستاذان محمد علي النجار ومحمد علي البجاوي حيث راجع الأول الأجزاء: الأول والثالث والرابع والخامس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والرابع عشر وراجع الثاني الأجزاء: السادس والحادي عشر والثاني عشر، والثالث عشر. وطبع الدكتور رشيد العبيدي الجزء الساقط من التهذيب وسماه «المستدرك على الأجزاء السابع والثامن والتاسع» وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٥ في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

يسنده الثقات إلى العرب[١]».

الغرض من تأليفه

تحدث الأزهري في مقدمة كتابه عن الغرض من تأليفه الكتاب، فقال: «وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتج أهل المعرفة المؤتمنون عليها، خلال ثلاث: منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات، إذ كان ما أثبته كثير من أئمة اللغة والكتب التي ألفوها، والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة، ولا يقوم مقام الدربة والعادة. ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة السلمين في إفادتهم ما لعلهم يحتاجون إليه، وقد روينا عن النبي محمد (ﷺ) أنه قال: «ألا إن الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» والخلة الثالثة هي التي أكثر القصد: أني قرأت كتباً تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها، مثل كتاب العين المنسوب إلى الخليل، ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا، وقد أخلَّ بها ما أنا ذاكره من داخلها وعوارها بعقب ذكرى الأئمة المتقدمين وعلماء اللغة المأمونين على مادونوه من الكتب وأفادوا، وحصلوا من اللغات الصحيحة التي رووها عن العرب، واستخرجوها من دواوين الشعراء المعروفين، وحفظوها عن فصحاء الأعراب[٢]».

بهذه الخلل الثلاث بين الأزهري غرضه الذي كان نتيجة وقوعه بالأسر واختلاطه مع العرب من قبائل هوازن وتميم وأسد، وأشار بذلك حين قال:

«وكنت بالأسار سنة عارضت الحاج بالهبير وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن، وأختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير، نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى اعداد المياه ويرعون النعم ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي

(١) تهذيب اللغة: ١/٤٠.

(٢) تهذيب اللغة: ١/٦.

اعتادوها ولا يكاد يقع في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، وبقيت في أسارهم دهراً طويلاً[١]»، فالأسس التي اعتمد عليها في الصحة ثلاثة هي: السماع من العرب، والرواية عن الثقات، والنقل عن خطوط العلماء بشرط موافقتها لمعرفته[٢].

منهجه

بدأ الأزهري معجمه بمقدمة طويلة استهلها بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد (ﷺ) ثم تحدث عن فضل القرآن في حفظ العربية ومدى حاجة الناس إليها، بعدها نقل كلام الشافعي الذي تحدث فيه عن سعة اللغة العربية والمتمثلة بلسانها، وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن اللغويين الذي كانوا قبله، واعتمد عليهم في جمع الكتاب مرتباً إياهم إلى طبقات، ضمت الطبقة الأولى، أبا عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والمفضل الضبي، وضمت الطبقة الثانية أبا محمد الأموي والأخفش الأوسط ومالك بن كركرة وأبا زيد وأبا عمرو الشيباني وأبا عبيدة الأصمعي والكسائي واليزيدي والمازني والفراء وسيبويه وضمت الطبقة الثالثة، أبا عبيد[٣] وابن الأعرابي واللحياني والسجستاني وابن السكيت وأبا سعيد البغدادي الضرير والمروزي، والطبقة الرابعة ضمت الهروي وثعلباً والمبرد، والطبقة الخامسة الذين أدركهم في عصره هم الزجاج وأبا بكر الأنباري ونفطويه، وذكر مجموعة أخرى أعدهم من غير الثقات هم، الليث بن المظفر وقطرب والجاحظ وابن قتيبة وابن دريد وأحمد بن محمد البستي وأبا بكر الأزهري وأبا الأزهر البخاري[٤].

وقد ميز الأزهري بين رجال هذه الطبقات تمييزاً يتوقف على تقدمهم في الزمن وتأخرهم، ثم ميز بين أفراد الطبقة الواحدة على مدى توثقه من علم الشيخ ودرايته وتقدمه في صناعته[٥].

---

(١) تهذيب اللغة: ١/٧.

(٢) المعجم العربي: ١/٢٣٣.

(٣) القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

(٤) انظر تهذيب اللغة: ١/٨ – ٤٣.

(٥) الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ١٣٠.

وبعد أن تحدث عن طبقات اللغويين والرواة شن حملة شعواء على مؤلفي المعجمات التي سبقت معجمه، وأطال الحديث عن الخارزنجي الذي ألف كتاب (تكملة العين) ووصفه بأنه ليس ثقة ولا ثبتاً على الرغم من أن الأزهري نقل كثيراً من كتابه[١].

وبعد هذه المقدمة التي ضمنها غرضه من تأليفه الكتاب إضافة إلى ذكره طبقات اللغويين، بدأ حديثه عن الحروف ومخارجها ناقلاً بذلك مقدمة كتاب العين بنصها وجعلها في بابين هما باب ألقاب الحروف ومدارجها[٢]، وباب أحياز الحروف[٣]، وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه بقوله: «ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه، فرأيت إحكيه بعينه لتتأمله وتردد فكرك فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه، ثم اتبعه بما قال بعض بالنحويين مما يزيد في بيانه وإيضاحه[٤]».

بهذه الكلمات بين الأزهري منهجه في كتابه إذ سار على طريقة الخليل في ترتيبه للمفردات، فنهج الأزهري هو ترتيب الكلمات حسب الأبجدية الصوتية ونظام التقليبات، فالأبجدية الصوتية عند الأزهري هي على هذا النحو: «ع ح ه خ غ ق ك ش ض ص س ز ط د ت ظ ث ر ل ن ف ب م و آ ى»، وقسمها إلى كتب بعدد الحروف، وأول ما بدأ به هو كتاب العين، وينطوي فيه الكلمات المستعملة التي تتألف مع العين مع ما يليها مثلاً: باب العين مع الحاء، باب العين مع الهاء ثم مع الخاء ثم مع الغين، ثم مع القاف وهكذا إلى نهاية حروف الأبجدية الصوتية، ويلي العين كتاب الحاء وينطوي فيه الكلمات المستعملة التي تتآلف مع الحاء مع ما يليها وهكذا إلى نهاية الحروف، ثم كتاب الهاء، وكتاب الخاء وكتاب

---

(١) المعاجم العربية: ٢٩.

(٢) تهذيب اللغة: ١/٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/٤٨.

(٤) تهذيب اللغة: ١/٤١.

الغين وكتاب القاف وكتاب الكاف وهكذا إلى بقية الحروف الأخرى، وقسم كل باب أو كتاب إلى الأبنية ورتبها حسب التسلسل الآتي:

١. باب الثنائي المضاعف.
٢. باب الثلاثي الصحيح.
٣. باب الثلاثي المعتل.
٤. باب اللفيف.
٥. باب الرباعي.
٦. باب الخماسي.

وليس بعد الخماسي باب، لأنه «ليس للعرب بناء في الأسماء وفي الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمنها وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل واسم فاعلم أنها زائدة على البناء، نحو: قرعبلانة، إنما هو قرعبل، ومثل عنكبوت، وإنما هو أصله عنكب[(١)]».

وبهذه الأبواب الستة رتب كتابه، جاعلاً كل حرف باباً حشد فيه الألفاظ مثلاً باب الثنائي، قال: «ونبدأ الآن بأبواب المضاعف من حرف العين، وباب الثلاثي الصحيح، قال: «كتاب الثلاثي الصحيح من حرف الحاء[(٢)]»، وباب الثلاثي المعتل قال: «كتاب المعتل من حرف القاف[(٣)]»، ثم باب اللفيف قال: «باب لفيف العين[(٤)]»، ثم باب الرباعي مثل: «باب الرباعي من حرف الصاد[(٥)]»، بعدها باب الخماسي مثل قوله: «ومن خماسي الكاف[(٦)]».

وطريقته في ترتيب الألفاظ في داخل الباب الواحد، أن يأخذ من الثنائي المضاعف أو الثلاثي الصحيح أو المعتل لفظة ويبدأ بتفسيرها، وبعد أن ينتهي منها يفسر مقلوبها قبل أن ينتقل إلى الكلمة التي تليها، فمثلاً يأخذ باب العين والنون فيذكر الألفاظ مع مقلوبها ويبدأ بالشرح، مثال ذلك، الألفاظ: «عنف، عفن، فنع، نفع، نعف» فيترجم أولاً للفظة (عنف) ثم الألفاظ التي تليها قبل أن

---

(١) تهذيب اللغة: ١/ ٤٢.
(٢) المصدر نفسه: ٧/ ١٩.
(٣) المصدر نفسه: ٩/ ٢٠٦.
(٤) المصدر نفسه: ٣/ ٢٥٥.
(٥) المصدر نفسه: ١٢/ ٢٦٨.
(٦) المصدر نفسه: ١٠/ ٤١٢.

ينتهي إلى حرف آخر يلي حرف النون وهو الياء، وهكذا إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالعين مع ما يليها من الحروف، فيعقد باباً جديداً هو (باب الحاء[١]) مع ما يليه ويفعل فيه مثل ما فعل في باب العين، وهكذا يستمر إلى أن تنتهي الأبواب كلها. وقد أشار خلال تنظيمه للمواد المستعملة منها والمهمل، وهي الطريقة نفسها التي اعتمدها الخليل في (العين)، وأعادها الأزهري في (التهذيب). وقد بين الأزهري أسباب المهمل منها والمستعمل في بداية الحديث عن كل باب، فمثلاً إن هناك حروفاً لاتتآلف مع بعضها في كلام العرب، فتكون ثقيلة على اللسان العربي ويصعب النطق بها، كما قال الخليل بن أحمد: «لم يأتلف العين والغين في شيء من كلام العرب[٢]»، وهناك حروف أخرى لا تتآلف مع بعضها، ذكرها الأزهري في بابي (ع ص س، ع ص ز) فقال: «أهملت وجوهها ولا تأتلف الصاد مع السين ولا مع الزاي في شيء من كلام العرب[٣]».

وهناك ألفاظ أهملت لتقارب حروفها في المخرج وصعوبة جريانها على اللسان، كما أهمل الخاء مع باقي حروف الحلق في المعتلات[٤].

ونلاحظ أن أكثر ألفاظ الرباعي والخماسي مهمل والمستعمل منه قليل. وأشار الأزهري إلى ذلك بقوله: «فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفة، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب[٥]».

وقد اختلفت كتب التهذيب وأبوابه، من حيث طبيعة المواد، فمن الكتب ما يكون طويلاً كبير الحجم وافر التفسيرات والأقوال، كما في أبواب (العين والحاء والقاف) ومنها ما يكون قصيراً صغير الحجم مثل أبواب (النون والباء

(١) تهذيب اللغة: ٣/٣٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/٤٩٢.

(٤) تهذيب اللغة: ٥/١٢٤.

(٥) المصدر نفسه: ١/٥٨، العين: ١/٥٢.

والميم)، ومنها ما يكون متوسط الحجم مثل كتاب (الشين)، أما منهجه في الكتاب الواحد فإنه يفتحه بالبسملة ويذكر بعدها اسم الكتاب (الباب الذي يتحدث عنه، فيقول مثلاً: «هذا كتاب حرف الحاء من تهذيب اللغة[١]»، يذكر الأبنية بعدها فيبدأ بالثنائي كقوله: «أبواب مضاعفة الحاء[٢]»، ثم الثلاثي الصحيح والمعتل واللفيف والرباعي والخماسي، ولعل هذا التقسيم في التهذيب كان يقصده الأزهري ليميز (كتاب التهذيب) عن كتب (كتاب العين للخليل[٣])، وكان الأزهري في تهذيبه عندما يتحدث عن حرف من الحروف مع ما بعده في تناوله حرفاً آخر، فإنه لا يستعمل الحرف الذي سبقه لأن التقليبات التي راعاها في الكلمة جعلته يتناول هذه الألفاظ، مثل حرف الحاء فإنه يتناوله مع الحروف التي تليه وهي الهاء والخاء والغين، ولا يتناول الحرف الذي قبله وهو العين، وكلما تقدمنا في الأبواب نجدها تنقص بابا واحداً عن سابقتها، حتى إذا أشرفنا على الباب الأخير منها، رأيناه يعقده مع الحروف الشفوية وحدها، وهي (ف ب م) وينهي الأبواب مع الصحيح[٤].

لقد جمع الأزهري في تهذيبه ألفاظاً كثيرة، فجاء كتابه واسعاً في مادته، غزيراً بشواهده، مفسراً مفرداته، على الرغم من أن الأزهري أراد الاختصار والايجاز حيث قال: «وقد حرصت أن لا أودعه من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً من أعرابي فصيح أو محفوظاً لإمام ثقة، حسن الضبط مأمون على ما ادعى[٥]».

ونتيجة لهذه الكثرة فقد كرر كثيراً من النصوص والأقوال، وبخاصة أقوال اللغويين، حيث أورد أكثر من قول للمعنى الواحد في تفسير اللفظة، وجعلته هذه الكثرة لا يهتم بترتيب الصيغ والأبنية، ولكنه يحشر الأقوال حشراً حتى إنه يكثر من الشرح والتفصيل والاستطراد.

(١) المصدر نفسه: ٣٧٢/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٣٧٤/٣.
(٣) الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ٢٥٨.
(٤) انظر الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ٢٦٤.
(٥) تهذيب اللغة: ٦٩٢/١٥.

لقد برزت شخصية الأزهري في (تهذيبه) فكان العالم الواسع المتمكن من مادته وبضاعته، وجشمه تتبعه لمادة كتابه عناء الرحلة إلى البادية، حيث جال في أرجائها وقضى سبعين عاما في جمع اللغة، قال في مقدمته: «وكنت منذ تعاطيت هذا الفن في حداثتي إلى أن بلغت السبعين، مولعاً بالبحث عن المعاني والاستقصاء فيها، وأخذها عن مظانها، وأحكام الكتب التي تأتى لي سماعها من أهل الثبت والأمانة المشهورين، وأهل العربية المعروفين(١)».

ولم ينهج الأزهري منهج اللغويين في الخلط باللغة، وأعفى نفسه من الحشو، بل التزم الصحيح والفصيح، وتحرج كثيراً من السقوط في الخطأ، وفي التصحيف والتغيير، وعلى الرغم من ذلك فقد جمع ألفاظاً كثيرة من المواد واللغات وهذبها في كتابه، وناقش اللغويين وجادلهم، ولم يسلم لرأي أحد بل كان كثيراً ما يبين رأيه بكلمة «قلت(٢)» التي ظهرت كثيراً في كتابه، على الرغم من كثرة اقتباساته من كتاب العين(٣) ومن الكتب الأخرى كالغريب المصنف(٤) لأبي عبيد، واصطلاح المنطق(٥) لابن السكيت، والنوادر(٦) لأبي زيد وابن الأعرابي(٧) وأبي عمر الزاهد(٨) واللحياني(٩)، ونقل أيضاً من الكتب اللغوية والنحوية الأخرى ككتاب سيبويه، وكتب معاني القرآن، ومعاني الحديث وغيرها، كما انفرد بإيراده الكثير من المواد التي أهملها الخليل في العين وابن دريد في الجمهرة، كذلك اختلف عنهما بشرحه للفظة فامتاز عن غيره بإطالة الشرح والتفسير بينما نجد تفسيرها عند أصحاب المعجمات قصيرة، وأحياناً موجزة، مما يساعد على تضخم كتابه وسعته، وقد اعتنى الأزهري أيضاً اعتناء كبيراً بذكر البلدان والمواضع والمياه، وقد ذكر ذلك قبله ابن دريد في الجمهرة، إلا أن الأزهري كان أكثر مادة منه، وقد كان لهذه العناية أثر كبير في الترحال والتجوال ووقوفه على

---

(١) تهذيب اللغة: ١/٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٩٤، ٥/١٧٤.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٣.
(٥) المصدر نفسه: ١/٢٣.
(٦) المصدر نفسه: ١/١٣.
(٧) المصدر نفسه: ١/٢١.
(٨) المصدر نفسه: ١٥/٦٩٢.
(٩) المصدر نفسه: ١/٢٢.

البلدان والمواضع وغيرها من الأمكنة حيث: «رحل وطاف في أرض المغرب في طلب اللغة[١]».

مصادره

يعد كتاب تهذيب اللغة من الكتب اللغوية المهمة لما حواه من مادة غزيرة ومفردات كثيرة، بعد دراسته لمتن اللغة مدة سبعين عاماً.

كثرت وتعددت مصادر الأزهري في (تهذيبه) فكان القرآن الكريم المصدر الرئيس الذي نهل منه الأزهري في شرحه للمفردات حيث كانت عنايته بربط القرآن والدين باللغة[٢]، كذلك استشهد بالقراءات القرآنية، بعدها استشهد بالأحاديث النبوية الشريفة حيث نهل منها الأزهري وعدها من المصادر الرئيسة في كتابه، وبعد هذين المصدرين تطالعنا الرواية، فإنها تعد المصدر الأساس لكتاب (التهذيب) حيث مثلت ثلثي مادة الكتاب[٣]، وقد جاءت رواية الأزهري للغة عن طريق الأسر واختلاطه بالعرب وترحاله في بلادهم، فجاءت مادة كتابه موثقة بطرق الرواية عن الشيوخ من العلماء واللغويين الموثوق بعلمهم ولغتهم، ومنهم أستاذه المنذري حيث ذكر ياقوت الحموي «أنه أملى الكتاب بالرواية عن المنذري[٤]».

أما اللغويون الذين أخذ منهم فقد ذكرهم في بداية حديثه في المقدمة وقسمهم إلى طبقات[٥]، إضافة إلى توخيه الصحيح من اللغة، وهو شرط التزمه الأزهري في كل ما هو مسموع أو منقول أو مروي[٦]، وهو بذلك يمتاز بالدقة والتحري في الأخذ، وقد أشار إلى ما شك فيه أو أخذه من لا يوثق به. ويعد السماع من المصادر الأخرى للأزهري فقد سمع من الأعراب الكلام الفصيح

---

(١) مرآة الجنان: ٢/٣٩٥.

(٢) المعجم العربي: ١/٣٥٣، والمعاجم اللغوية: ٥٩.

(٣) الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ١٣٧.

(٤) معجم الأدباء: ١٨/٩٩.

(٥) تهذيب اللغة: ١/٨ – ٤٣، وانظر أيضاً الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ١٣٦ – ١٥٩.

(٦) تهذيب اللغة: ١٥/٦٩٢.

طيلة أسره، فكان يسأل ويستفسر ويسمع ويجالس، وقد ذكر ذلك في كتابه فقال: «وسمعت أعرابياً فصيحاً من بني نمير[١]»، وكان أكثر ما سمعه جاء من خلال لقائه بالأعراب في الأسر، وتشير بعض المصادر أن الأزهري حضر في بغداد ولكنه لم يأخذ من أحد منهم، فلقي من مشايخ بغداد في تلك الفترة الزجاج (ت ٣١٠ هـ) فأثنى عليه بقوله: «منهم أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج النحوي صاحب كتاب المعاني في القرآن، حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب، فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه، وكان متقدماً في صناعته، بارعاً صدوقاً حافظاً لمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه[٢]».

ولقي أيضاً ابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ومدحه ووثقه، ونفطويه (ت ٣٢٣ هـ) فوصفه بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم، ومع هذا الوصف فقد أخذ عن ابن دريد كثيراً في تهذيبه، ونسي ما كتبه عنه في المقدمة[٣]، ويرجع سبب عدم اخذ الأزهري من مشايخ بغداد، هو وقوعه في الأسر وترحاله في البادية فخالط قوما يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فأفاد من الأخذ عنهم، واستفاد من الألفاظ العربية مما جعله أن يتشوقها ويذهب إلى استيفائها، أما علماء بغداد الذين وقف عندهم فقد وصفهم بأوصاف مختلفة وتحاشى السماع من بعضهم، أمثال: ابن دريد ومن مصادره الأخرى، استشهاده بأقوال اللغويين، وأكثر الأخذ من كتاب العين ومن غير تصرف، على الرغم من أن الأزهري قد شن حملة شعواء عليه.

(١) المصدر نفسه: ١٥/٦٩٠.
(٢) تهذيب اللغة: ٢٧/١.
(٣) المصدر نفسه: ١٦٠/٩ وانظر مقدمة التهذيب.

ونقل أيضاً عن اللغويين كأبي عمرو بن العلاء[١]، والأصمعي[٢]، وأبي زيد[٣]، وأبي عبيدة[٤]، وأبي عبيد[٥]، وأبي حاتم السجستاني[٦]، واللحياني[٧]، وابن الأعرابي[٨]، والفراء[٩]، والكسائي[١٠]، وثعلب[١١]، والمبرد[١٢]، وأبي عمر الزاهد[١٣]، والزجاج[١٤]، وابن الأنباري[١٥]، وغيرهم، كما استشهد بالمفسرين والقراء كابن عباس[١٦]، وعبد الله بن مسعود[١٧]، ونافع[١٨]، وابن كثير[١٩]، وابن عامر[٢٠]، وعاصم[٢١]، وحمزة[٢٢]، والكسائي، كما أورد أسماء مجموعة كبيرة من القبائل العربية. ولعل من أبرزها كثرة هي قبائل وسط الجزيرة ونجد وما جاورها، وأقلها شأناً هي قبائل اليمن وجنوب الجزيرة، فذكر قبائل أسد وهذيل وخزاعة وكنانة وغيرها من القبائل العربية الأخرى.

ومن مصادره الأخرى المهمة هي الشعر والرجز فقد استشهد بكلام شعراء كثيرين ومن عصور مختلفة، وكانت طريقته في إيراد الشاهد الشعري أن يعرف بالشاعر أو بقبيلته مع نقل شيء من أخبارهم، وذكر الصفات التي يتصفون بها، ويتفق الأزهري مع غيره من مؤلفي المعاجم بعدم نسبة الشاهد إلى قائله، بل يكتفي بقوله: «أنشد»، أو «قال» أو «قال آخر» وهكذا، وقد يورد أحياناً

(١) المصدر نفسه: ٢/٩٩، ٣/١٥٢، ٧/٧٤.
(٢) تهذيب اللغة: ٢/٢٠٧، ٣/١٥٣، ٧/١١١.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٣٢، ١٠/٢٥٠.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٣٠٩، ٧/٧٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٣١، ٣/٨٣، ١٠/١٨٥.
(٦) المصدر نفسه: ٥/١٩.
(٧) المصدر نفسه: ٥/١٩٥، ٧/٦١.
(٨) المصدر نفسه: ٥/١١.
(٩) المصدر نفسه: ٥/٣٩، ١٠/١٦٢.
(١٠) المصدر نفسه: ٧/٧٢.
(١١) المصدر نفسه: ٥/١١، ٧/٥٤.
(١٢) المصدر نفسه: ٢/٨٩.
(١٣) المصدر نفسه: ١٥/٦٩٢.
(١٤) المصدر نفسه: ٣/٦٧، ٥/٦٤.
(١٥) المصدر نفسه: ٢/٩٥.
(١٦) المصدر نفسه: ٧/٥٣.
(١٧) المصدر نفسه: ٢/١٥٢، ٥/١٣.
(١٨) المصدر نفسه: ٢/٢٣٣.
(١٩) المصدر نفسه: ٩/٢٧٢.
(٢٠) المصدر نفسه: ٢/٢٣٣.
(٢١) المصدر نفسه: ٢/٢٣٤.
(٢٢) المصدر نفسه: ٥/ ٣٢٤.

الروايات المختلفة للأشعار، وهناك أبيات نسبها إلى قائليها إلا أن نسبة الشعر غير المنسوب إلى الشعر المنسوب تكون كبيرة.

أما الشعراء المستشهد بشعرهم، فمنهم الجاهلي والإسلامي والمخضرم والعباسي. إلا أن الشعراء العباسيين يندر كلامهم في (التهذيب).

وكانت الأمثال وأقوال الفصحاء مصدراً آخر لكتاب التهذيب، فقد استشهد بالأمثال، وجعله شاهدا لغوياً أو نحوياً[1]، مع روايته المختلفة. حيث عني بالأمثال المروية عن العرب، والأمثال المحلية والمولدة مع العناية بضبطه وروايته وفي أحيان أخرى يورد قصة المثل.

أما أقوال الفصحاء والبلغاء فقد وجدت طريقها في التهذيب حيث استشهد بأقوال الخلفاء والصحابة، وفصحاء الأعراب وهم الذين ذكرهم في نقل اللغة ومشافهتهم عند وقوعه بالأسر، وكذلك استشهد بلغات القبائل العربية مع ذكر لغة كل قبيلة والتعريف بها.

هذه هي الشواهد الرئيسة التي استشهد بها الأزهري في تهذيبه مدللا على معاني هذه الألفاظ واستعمالاتها عند اللغة، مع العناية بالنوادر، وقد صرح بقوله: «وقد دعاني إلى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة، المؤتمنون عليها خلال ثلاث: منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات إذ كان ما أثبته كثير من أئمة اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها[2]»، وخلاصة القول، فإن (تهذيب اللغة) يقف في طليعة المعجمات التي أضافت مادة جديدة إلى موضوع تطوير المعجم العربي، حيث إنه قد استوعب كثيراً من ألفاظهم العربية، وحفظ كثيراً من أقوال اللغويين ومذاهبهم، فهو لم يسلم برأي أحد منهم بل ناقشهم مناقشة علمية، حيث أضاف كثيراً من الزيادات وأكثر من الشواهد القرآنية، والحديث النبوي الشريف،

(١) الأزهري وكتابه تهذيب اللغة: ١٧٥.

(٢) تهذيب اللغة: ١/٤٠.

والرجز والأمثال، كذلك استدراكه على اللغويين، فهنالك ألفاظ أهملها الخليل وابن دريد، فاستدركها الأزهري وفسرها من كلام العرب.

المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد[(١)]

كتاب المحيط في اللغة لمؤلفه الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) من المعاجم التي نهج مؤلفه منهج الخليل في ترتيب مادته اللغوية لما ضم في ثناياه من ثروة لغوية ضخمة، مثلت ثقافة الصاحب وقراءته على نخبة من علماء عصره الذين زخر بهم هذا القرن، وكثرة من روى عنهم.

منهجه

اتبع الصاحب بن عباد في صنع (المحيط) منهج الخليل في (العين) والأزهري في (تهذيب اللغة) لترتيب المواد على الأبجدية الصوتية.

افتتح الصاحب في معجمه – كما فعل غيره من مؤلفي المعجمات[(٢)] – بمقدمة بدأها بالحديث عن أبنية كلام العرب فقال: «كلام العرب مبني على أربعة أنحاء: الثنائي، والثلاثي، والرباعي، والخماسي، لا يجاوز ببناء الكلمة والحروف أصلية – ذلك، إلا أن تلحقها الزوائد، فقد تبلغ حينئذ سبعة، نحو: القرعبلانة، وهي دويبة[(٣)]»، بعدها يعرف بالثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ذاكراً الأمثلة، ويتحدث بعدها عن الصحيح والمعتل واللفيف وينتقل إلى سبب ابتداء الخليل لكتابه (العين)، ولماذا بدأ بها دون غيرها من الحروف معللاً ذلك بقوله: «إن الهمزة والهاء وإن كان لهما التقدم في المخرج على أخواتهما من الحروف الحلقية، فإن الخليل إنما عدل عن الابتداء بهما لأن الهمزة مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت فصارت ياء أو واواً أو ألفاً، وهذه طريقته تخالف طرق الحروف

(١) حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، وطبع في بغداد عن وزارة الثقافة والإعلام، وصدرت منه ثلاثة أجزاء، الأول سنة ١٩٧٦، والثاني سنة ١٩٨١، والأجزاء الثلاثة تنتهي إلى نهاية حرف الحاء.

(٢) انظر مثلاً العين: ١/٤٧، الجمهرة: ١/٣، تهذيب اللغة: ١/١– ٤٥، مجمل اللغة: ١/ ٧٥.

(٣) المحيط في اللغة: ١/٤٧، وانظر مقدمة العين ومقدمة تهذيب اللغة.

الصحيحة، ثم إنه يتسلط عليها من نقل الحركات عنها والانقلاب والحذف مثل ما يتسلط على حروف العلة أو أكثر حتى عد من جملتها، والهاء أيضاً فيها هتة[(١)] وخفاء وقد حذفت من الطرف حذف حروف المد واللين، وزيدت زيادتها وتبدل من الهمزة، وتشركهما في كونهما من الدرجة الأولى. فلما كان كذلك عدل عنهما إلى العين، ويقوى الابتداء بها أيضاً أنها أنصع الحروف جرساً وألذها سماعاً[(٢)]»، ويختتم مقدمته بسبب اختيار الخليل المضاعف وجعله أول الأبواب، فقال: «قال الخليل: وإنما بدأنا الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذا للمتفهم[(٣)]».

قسم الصاحب كتابه على ستة أبواب هي: باب الثنائي المضاعف وباب الثلاثي الصحيح، باب الثلاثي المعتل، باب اللفيف، باب الرباعي، باب الخماسي، مع مراعاة نظام التقليبات الذي اتبعه الخليل في كتابه العين، وهو بهذا الترتيب اتبع الأزهري في تقسيم هذه الأبواب في (تهذيبه[(٤)]) وحسب الأبجدية الصوتية التي تحدث عنها في مقدمته مع ذكر نوع الحرف وهي[(٥)]:

ع ح هـ خ غ	حلقية
ق ك	لهويان
ج ش ض	شجرية
ص س ز	أسلية
ط د ت	نطعية

(١) الهت: شبه العصر للصوت، يقال: الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفه عن الهمز صار نفساً، تحول إلى مخرج الهاء ولذلك استخفت العرب ادخالها الهاء على الألف المقطوعة. والهتهتة تقال في التواء اللسان. العين: ٣/٣٤٩، لسان العرب: ٢/ ١٠٣.

(٢) المحيط في اللغة: ١/٥٢.

(٣) المصدر نفسه: ١/٥٢.

(٤) المعجم العربي: نشأته وتطوره: ١/٣٦١، مقدمة الصحاح: ٨٧، وقد اتفق مع الأزهري ببدء الباب الثنائي المضاعف وفي باب اللفيف.

(٥) المحيط في اللغة: ١/٥٠.

ظ ذ ث	لثوية
ر ل ن	ذلقية
ف ب م	شفوية
ي و ا (الهمزة)	هوائية

وعلى هذا النسق، رتب الصاحب معجمه، فبدأ كتابه بحرف العين وقسمه على ستة أقسام حسب الأبنية. وهو بهذه المقدمة قد اختصر مقدمة كتاب العين وضمنها كتابه.

وطريقته في ترتيب الكلام في داخل الباب الواحد أن يأخذ اللفظة ويترجم لها ولمقلوبها مع الاشارة إلى المهمل وبخاصة الألفاظ التي أهملها الخليل في العين مثلاً: «عه: أهمله الخليل(١)» ويبدو لي أن الصاحب بن عباد وضع أمامه كتاب (العين) و (تهذيب اللغة)، وكتاب (تكملة العين) للخارزنجي(٢) في أثناء صنعه (للمحيط)، فإنه يشير إلى اللفظة المهملة عند الخليل، ويذكرها الأزهري دون ذكر اسمه، وعن الخارزنجي حيث صرح باسمه كثيراً في كتابه مثل: «خع: أهمله الخليل. وحكى الخارزنجي: الخعخع: شجرة. وخع الفهد لصوت من حلقه: إذا انبهر في عدوه(٣)».

وهكذا إلى نهاية باب الثنائي المضاعف. وإذا وصل إلى باب الثلاثي بدأ بحرف العين مع ما بعده من حروف الأبجدية الصوتية فعنده «العين والهاء والقاف(٤)»

(١) المحيط في اللغة: ٥٦/١.

(٢) أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي أبوحامد، أديب في عصره، دخل بغداد وشهد له أبو عمر الزاهد، من كتبه «تكملة كتاب العين» توفي سنة ٣٤٨هـ وترجمته في إنباه الرواة: ١٠٧/١هـ، بغية الوعاة: ١٦٩.

وقد شن الأزهري عليه حملة شعواء وعلى كتابه فقال عنه: «وممن ألف وجمع من الخراسانيين في عصرنا هذا فصحف وغير وأزال العربية عن وجوهها رجلان أحدهما يسمى أحمد بن محمد البشتي ويعرف بالخارزنجي». تهذيب اللغة: ٣٢/١.

(٣) المحيط في اللغة: ٥٦/١، وانظر تهذيب اللغة: ٥٥/١.

(٤) المصدر نفسه: ٩٢/١.

وقلب اللفظة فاستعمل منها: «قهع، هعق، عهق[١]» فقد أضاف بذلك لفظة عن الخليل وهي «قهع[٢]» أما بقية الألفاظ الأخرى، فلم يذكرها ولم يشر إلى إهمالها، خلافاً للخليل والأزهري، فإذا انتهى من تفسير الكلمة وتقليباتها انتقل إلى الكلمة التي تليها، وهي المؤلفة من «العين والهاء والكاف[٣]» فيستعمل لفظتين هما «عهك[٤]» وقد أهملها الخليل و «هلع[٥]».أما بقية التقليبات فقد أهملها. وهكذا إلى أن تنتهي الكلمات المبدوءة بالعين مع ما يليلها من الحروف، ثم يعقد باباً جديداً يبدؤه بحرف جديد، وهو الحاء مع ما يليه من الحروف، ويفصل الطريقة ذاتها في باب العين ونظراً لتطابق منهجي الأزهري والصاحب بن عباد في ترتيب معجميهما، فإنني اكتفيت بتفصيل منهج الأزهري من قبل، وهو يغني عن الإعادة لبيان منهج الصاحب.

أما الطريقة التي سار عليها في تفسير الألفاظ، فإنها تختلف عن بقية المعجمات الأخرى، وبخاصة (العين)، و (جمهرة اللغة)، و (تهذيب اللغة)، فقد نهج نهجاً انفرد به، وهو أن يعتمد تفسيراً واحداً للفظة ولا يتعداه مثل: «الأعقة: الأدوية[٦]» «الخوعم: الأحمق[٧]» «العجير: اللئيم[٨]» «العذالة: الأست[٩]» «الوزع: الكف[١٠]» «العجاهنة: الماشطة[١١]» «العرزم: القديمة[١٢]» «الملحج:

(١) المصدر نفسه ١/٩٢.
(٢) المحيط في اللغة ١/٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ١/٩٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٩٤. وانظر كتاب العين: ١/٩٨.
(٥) المصدر نفسه: ١/٩٤.
(٦) المصدر نفسه: ١/٥٧.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٢٠.
(٨) المصدر نفسه: ١/٢٧٩.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٦٥.
(١٠) المحيط في اللغة: ٢/١٨٩.
(١١) المصدر نفسه: ٢/٢٥٤.
(١٢) المصدر نفسه: ٢/٣٠٨.

صماخ الأذن[١]» «الحلزة: نبت[٢]» «المحدرج: المنتول[٣]».

وهو بذلك لا يأتي في كل لفظة بالأقوال الكثيرة كما فعل من قبله مؤلفو المعجمات وابن عباد في إيراده شرح الألفاظ فإنه لا يتقيد بنظام يسير عليه، فمرة يبدأ اللفظة بالفعل، وأخرى بالاسم وتارة بالمصدر، والمهم عنده أن يفسر اللفظة وبأكثر من معنى واحد، وكان نتيجة لهذا الاختصار أن أغفل كثيراً من اللغويين في ثنايا كتابه، فأراد بذلك أن يعتمد على نفسه حيث كان يمتلك مكتبة حافلة بأنفس الكتب وأندرها فقد بلغ عدد كتبها «مائتين وستة آلاف مجلد[٤]» وقيل إنها كانت حمل سبعمائة بعير[٥]، وقال عنه السيوطي: «إن كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين جملاً[٦]».

وكان بهذه الوفرة من الكتب أن يأخذ من كل فن منها بالنصيب الوافر، وأن تكون ثقافته اللغوية واسعة لأن يؤلف معجماً كبيراً بهذه السعة، حتى امتاز معجمه بالتضخم والكبر، والذي جعله ينفرد بصيغ ومعان عن غيره من مؤلفي المعجمات منذ زمن الخليل وحتى عصره، وخاصة الأزهري في تهذيبه.

مصادره

يعد (المحيط في اللغة) من بين المعجمات التي أغفلت الشواهد وذكر المظان، حيث وصفه القفطي بقوله: «صنف ابن عباد كتاباً في اللغة العربية كثر فيه الألفاظ، وقلل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر[٧]»، فهذه الكلمات التي وصفها القفطي هي شاهد على عدم اهتمام ابن عباد بأقوال اللغويين وكتبهم، ولم يشر بذلك إلا قليلاً جداً، بحيث لا تتناسب هذه القلة وسعة معجمه، فذكر مثلاً: الجمهرة لابن دريد بقوله: «الخع.... وذكرها ابن

(١) المصدر نفسه: ١٢٩/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٢٧/٣.
(٣) المصدر نفسه: ٤٥٣/٣.
(٤) المنتظم: ١٨٠/٧، الكامل في التاريخ: ١٦٩/٧، معجم الأدباء: ٩٧/١٣.
(٥) عمدة الطالب: ١٩٥.
(٦) المزهر: ٥٩/١.
(٧) إنباه الرواة: ٢٠١/١.

دريد في الجمهرة[١]»، أما استشهاده بالقرآن الكريم فقليل جداً، ومثله الحديث النبوي الشريف أما الشعر فكان هو الآخر من مصادره إلا أن الملاحظ في الكتاب لا يجد إلا أبياتاً قليلة جداً يستشهد بها، أما الأمثال فقد أكثر منها ابن عباد في محيطه، فقد اهتم بها اهتماماً بالغاً، وأورد أمثالاً كثيرة، واهتم أيضاً باللغات ولكنه لا يتوسع في ذكرها ويشير فقط إلى لغة القبيلة دون التفصيل مثل قوله: «اللخيعة – والياء زائدة – من اللخع، لغة يمانية[٢]»، وقوله: «الخبع: الخبأ، لغة تميم[٣]» «التكلع: التجمع بلغة حمير[٤]»، أما مصدره الوحيد الذي ذكره في تأليف كتابه فهو كتاب «تكملة العين» للخارزنجي فقد تردد كثيراً في ثنايا الكتاب، وبخاصة في الألفاظ المهملة عند مؤلفي المعجمات الذين سبقوه، والذي أراه أن سبب اهتمامه بالخارزنجي، هو ان الأخير استدرك على الخليل بكثير من الألفاظ المهملة، فجاء ابن عباد ونقل ما قاله الخارزنجي بصدد الألفاظ المهملة وضمنه الكتاب، أما بقية الألفاظ غير المهملة فلم يعتمد ابن عباد عليه وانما اعتمد على ثقافته اللغوية الواسعة والمستمدة من حفظه الكثير من الكتب اللغوية والمعجمات التي كانت بحوزته فكان محيطه من أوسع المعجمات اللغوية حتى نهاية عصره، فهو أشبه أن يكون استدراكاً على العين والتهذيب[٥].

وعلى الرغم من سعة (المحيط في اللغة) وكبر حجمه فإنه لم يأت بجديد يضاف إلى مادة المعجمات إذ هو ناقل ومقلد أما ترتيبه، من حيث المنهج الصوتي للفظة فقد سبقه إلى هذا الترتيب الخليل في كتابه (العين) والأزهري في كتابه (تهذيب اللغة)، إلا أن كل ما أضافه هو زيادة في المادة وخاصة المهملة عند الخليل، وأعتقد أن لولا عثور ابن عباد على كتاب (تكملة العين) للخارزنجي، لما أتى بهذه الوفرة من الألفاظ المهملة، على الرغم من أن (المحيط في اللغة) يشير إلى اتساع معارف ابن عباد وثقافته الواسعة في علوم العربية.

(١) المحيط في اللغة: ١/١١٧.
(٢) المصدر نفسه: ١/١١٧.
(٣) المصدر نفسه: ١/١١٩.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٤٢.
(٥) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١/٣٦٩.

المبحث الثاني

الجمهرة لابن دريد[١]

أجمعت أكثر المصادر التي ترجمت لحياة ابن دريد على أنه أملاها في البصرة وبغداد، دون الاستعانة بالنظر في شيء من الكتب، إلا في بابي الهمزة واللفيف[٢]، وبهذا يكون ابن دريد قد انفرد بين لغويي عصره بهذه الميزة حيث إنه أملى كتابه على الطلبة دون الاستعانة بكتاب ولهذا السبب جاء كتابه مضطرباً في مادته، ومكرراً لبعض المواد التي وضعها في غير مواضعها.

لقد توخى ابن دريد من تأليفه للجمهرة أن يؤلف كتاباً يضمنه الصحيح من كلام العرب وتجنب الوحشي، حيث أشار إلى ذلك في مقدمته، فقال: «وإنما أعرنا هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب وأرجأنا الوحشي المستنكر والله المرشد للصواب[٣]».

ثم أراد أن ينهج نهجاً يخالف فيه الخليل بعد أن أتعبت الناس طريقة الخليل، فأشار إلى ذلك بقوله: «وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعني من سما إلى نهايته[٤]».

بدأ ابن دريد كتابه بالحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد (ﷺ)، وتحدث بعد ذلك عن حالة العصر الذي يعيش فيه ثم تحدث عن طريقته في تأليفه الجمهرة بقوله: «فارتجلت الكتاب المنسوب إلى جمهرة الكلام وابتدأت فيه بذكر الحروف المعجمة التي هي أصل تفرع منها جميع كلام العرب[٥]».

ثم أشار إلى تقليده للعلماء السالفين وعدم الطعن بهم والاحتذاء بطريقتهم،

---

(١) حققها المستشرق فريتس كرنكو، وطبعت في الهند سنة (١٣٤٤هـ) في مطبعة حيدر آباد وأعادت مكتبة المثنى تصويرها (بالأوفست).

(٢) معجم الأدباء: ١٨/١٣٨، المزهر: ١/٣٩٢.

(٣) الجمهرة: ١/ ٤.

(٤) الجمهرة: ١/٣.

(٥) الجمهرة: ١/٣.

ثم بين بعدها سبب تأليفه الكتاب حيث انتشار اللحن وتفشي العجمة وقال: «وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناس فاش والعجز لهم شامل إلا خصائص كدراري النجوم في أطراف الأفق فسهلنا وعره ووطئنا شأزه وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة إذ كانت بالقلوب أعبق وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد[1]».

وبعد أن انتهى من هذا الإيضاح جاء بمقدمة جديدة بعد البسملة بين فيها سبب تسمية كتابه بالجمهرة فقال: «هذا كتاب جمهرة الكلام واللغة ومعرفة جمل منها تؤدي الناظر فيها إلى معظمها إن شاء الله[2]».

ثم تطرق إلى ما يحتاج إليه القارئ في كتابه وشرح حروف العربية والموجودة منها في اللغات المختلفة وغير الموجود فيها، فذكر صفة الحروف وأجناسها وقسمها إلى قسمين هي: الحروف المصمتة[3] والحروف المذلقة[4].

ضمت الأولى اثنين وعشرين حرفاً ثلاثة منها معتلات وتسعة عشر حرفاً صحيحاً، وتحدث عن حروفها ومخارجها وائتلاف الأحرف فيما بينها وضمت الثانية ستة حروف تناولها بالشرح والتفصيل، ثم أعقبها بالحديث عن مخارج الحروف وأجناسها، بعدها تطرق إلى معرفة الزوائد ومواقعها ثم باب من الأمثلة وختم المقدمة بالحديث عن الإبدال والإدغام[5].

منهجه

بعد أن أدرك ابن دريد أن كتاب العين للخليل أصبح عسيراً على المتعلمين للغة، ولا يفهمه إلا من كان واسع الاطلاع في اللغة وعلومها، وأصبحت الحاجة إلى كتاب أسهل من كتاب العين فتصدى لهذه المهمة فشرع بوضع كتاب يجمع فيه الألفاظ العربية ويكون متناولاً سهلاً بين عامة الناس، فأملى كتابه في بغداد

---

(١) الجمهرة: ١/٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٤.

(٣) المصدر نفسه: ١/٦.

(٤) المصدر نفسه: ١/٧.

(٥) انظر الجمهرة: ٣/٦ — ١٣.

والبصرة ارتجالاً، حيث سلك منهجاً جديداً خالف فيه من سبقه من مؤلفي المعجمات فابتكر نظاماً خاصاً به، وترك نظام المخارج في ترتيب الحروف كما فعل الخليل في كتابه العين، فألف كتابه على طريقة الألف بائي إذ رتب كتابه على حروف المعجم جاعلاً الأبنية هي الأساس في هذا الترتيب مع اتباع نظام التقليبات وجعل كل باب مبتدءاً بالكلمة المبدوءة بالحرف الذي وضع له الباب ثم الحرف الذي يليه تاركاً ما سبقه من الحروف مثلاً في باب (اللام) فإنه ترك اللام مع ما قبله من الحروف، وهي «(اللام مع الهمزة، واللام مع الباء، واللام مع التاء....» إلى نهاية حرف الكاف لأنه الحرف الذي يسبق اللام، وذكر الحروف التي تلي اللام وهي اللام مع الميم واللام مع الواو ومع الهاء ومع الياء وهكذا في بقية الحروف الأخرى وقد علل ذلك بأن (اللام مع الباء) ذكرها في باب الباء، (واللام مع التاء) ذكرها في باب التاء وهكذا الحال مع بقية الحروف لأنهما أسبق من حرف اللام في الترتيب الهجائي، ثم قسم ابن دريد كتابه على أبواب وحسب الحروف الهجائية مراعياً بذلك تقليب الكلمة والذي ذكره بقوله: «بالقلوب أعبق وفي الأسماع أنفذ[1]»، أما الأبواب فيمكن حصرها بما يلي:

١. الثنائي الصحيح المضعف للحرف الثاني[2]، مثل: أ ث ث، أ د د، أ ل ل.
٢. الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر[3]، مثل: ب خ ب خ، س م س م.
٣. باب الهمزة وما يتصل به من الحروف في التكرار[4]، مثل: ر أ ر أ، ك أ ك أ.
٤. الثنائي المعتل وما تشعب منه وذلك ببناء الحرف الصحيح مع أحد حروف العلة[5].

---

(١) الجمهرة: ١/٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٣.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٢٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٦٧.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٦٩.

مثل: ج أ و ي، س أ و ي، ن أ و ي.

٥. الثلاثي الصحيح وما تشعب منه[١]. وأول ما بدأ به هو حرف الباء مثل: ب ث ث، وتقليباته ثم ب ت ج وتقليباته، وهكذا إلى نهاية حرف الياء، بعدها ب ث ج وتقليباته وهكذا مع سائر الحروف في الثلاثي الصحيح.

٦. الثلاثي الذي يجتمع فيه حرفان مثلان في موضع (العين واللام) (والعين والفاء) أو (الفاء واللام) من الأسماء والمصادر وما تشعب منه، وهو ملحق بما مضى من الثلاثي[٢]، مثل: (ب ت ت[٣]) (ب ز ز[٤]) (ش ن ن[٥]) (ف م م[٦]). وأكثر التقليبات في هذا الباب مهمل مثل: (ح خ خ[٧]) مهمل (ح و و[٨]) مهمل (س م م[٩]) مهمل (ظ م م[١٠]) مهمل إلى آخر الحروف.

٧. ما كان عين الثلاثي منه أحد حروف اللين[١١] مثل: السوس، الطوط.

٨. ما لحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين[١٢] مثل: ب ح و أ ي، ج غ و أ ي، ط ع و أ ي، حيث بدأ بباب الباء مع المعتل وذكر فيه الثلاثي المعتل بحرف واحد المعتل بحرفين.

٩. باب النوادر في الهمز[١٣]، وهو مما ألحق بأبواب الثلاثي وأول ما بدأ به باب الألف ثم باب الباء، ثم باب التاء إلى نهاية باب الهاء في الهمز.

١٠. باب اللفيف في الهمز[١٤] وتناول فيه ما جاء في المقصور والممدود.

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٩٣، ويعد هذا الباب من أكبر أبواب الجمهرة حيث يبدأ من الجزء الأول ص ١٩٣ وينتهي في الجزء الثالث ص ١٨٤، والسبب في ذلك أن أصل الكلمة ثلاثية.

(٢) الجمهرة: ٣/١٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٨٥.

(٥) المصدر نفسه: ٣/١٩٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣/١٩٧.

(٧) المصدر نفسه: ٣/١٨٨.

(٨) المصدر نفسه: ٣/١٨٩.

(٩) المصدر نفسه: ٣/١٩٣.

(١٠) المصدر نفسه: ٣/١٩٦.

(١١) المصدر نفسه: ٣/١٩٨.

(١٢) المصدر نفسه: ٣/١٩٩.

(١٣) المصدر نفسه: ٣/٢٦٩.

(١٤) الجمهرة: ٣/٢٩٢.

١١. أبواب الرباعي السالم[1]، وأول حرف بدأ به هو حرف الباء والتاء وما بعدها إلى نهاية باب الكاف في الرباعي.

١٢.الرباعي وفيه حرفان مثلان[2]، وأول ما بدأ به هو حرف الدال مثل: دردق.

١٣. الرباعي في التفصيلات[3]: فعل، فعل، فعل.

١٤. باب ما يلحق بالرباعي[4] بحرف من حروف الزوائد على أوزان مختلفة، وهي: فيعل، فوعل، فعول، فعلى، فعلل، وبعد أن انتهى من أوزان الرباعي تحدث عن باب ماجاء من الرباعي على «فعلل» ما لم نخلطه بالرباعي فرأينا أن نجعله أبواباً ليؤخذ عن قرب، ثم انتقل بعدها إلى الرباعي في وزن آخر هو (فعلل) ثم باب آخر لوزن (فعلل) وفرع من هذا الوزن ملحقاً به هو ما كان على وزنه وفيه حرف زيادة.

١٥.أما أبنية الخماسي فقد عالجها ابن دريد كيفما اتفق وعلى غير هدى، حيث أوردها أشناناً، ولم يشر إلى أبواب الخماسي إلا في نهاية الباب حيث قال: «هذا آخر أبنية الخماسي[5]».

أما الأوزان التي تناولها في الخماسي فهي: «فعيلل، فعولل، فعليل، فعيل، إفعيل، أفعول، إفعيلة، وإفعيلة، فعلول، يفعول، فعلال، ففعال، فعوال، فعيال، فيعول، تفعال، فاعول، فيعال، فعالى، فعول، فعلى، فعوعل، يفعيل[6]»

وبعد أن انتهى من أبواب الخماسي، تحدث عن أبواب ألحقت بالخماسي بالزوائد، وهي في الحقيقة تعد من أبواب السداسي وإن لم يصرح ابن دريد بهذه التسمية، وتناول في هذه الأبواب التفعيلات الآتية:

١. مفعلل، مفعلل[7] مثل: مخرنطم، مقرنبع.

(١) المصدر نفسه: ٢٩٥/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٣٤٨/٣.
(٣) المصدر نفسه: ٣٥٠/٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٦٧/٣.
(٥) المصدر نفسه: ٣٠٦/٣.
(٦) الجمهرة: ٣٩٥/٣.
(٧) المصدر نفسه: ٣٩٩/٣.

٢. فعلليل، فنعليل[١] مثل: جلقزيز، زنجبيل.

٣. مفعلل[٢] مثل: مزمهل، مطلخم.

٤. فيعول[٣] مثل: عيسجور، صيلخود.

٥. فعلال[٤]، فعلعال مثل: سجلاط، دلعماظ.

٦. فعالية[٥]، فعالية مثل: الهبارية، فخارية.

٧. فعالية[٦]، مثل: كراهية، رفاهية.

٨. فعللة[٧]، مثل: قرعطبة، زلنقطة.

١٦.أبواب اللفيف وقد سماه ابن دريد لفيفاً حيث ذكر ذلك بقوله: «وانما سميناه لفيفاً لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض[٨]»

١٧. واختتم ابن دريد كتابه بأبواب متفرقة من النوادر[٩].

هذا هو الترتيب الذي نهجه ابن دريد في كتابه، إلا أنه صادف الكتاب نوعاً من الاضطراب، حيث إن «حرف الهمزة» عالجه بطرق مختلفة، فمرة عده حرف علة[١٠]، وأخرى صحيحاً[١١]، ففي باب الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر أغفل ذكر الهمزة، بل بدأه بباب الباء ووضع لها باباً خاصاً عن الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر، ثم اعتبرها بعد ذلك حرف علة، أما في أبواب الثلاثي فقد ألحقه بباب سماه «النوادر في الهمز[١٢]».

---

(١) المصدر نفسه: ٣/٤٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٤٠١ ــ ٤٠٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٤٠٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٤٠٤.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٤٠٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣/٤٠٤.

(٧) المصدر نفسه: ٣/٤٠٥.

(٨) الجمهرة: ٣/٤٠٦.

(٩) المصدر نفسه: ٣/٤٤٩ وما بعدها.

(١٠) المصدر نفسه: ١/١٦٩ وما بعدها.

(١١) المصدر نفسه: ١/١٦٧.

(١٢) المصدر نفسه: ٣/٢٦٩.

لقد كان لنظام التقليبات وعلى حروف الهجاء الذي اتبعه ابن دريد خللاً في ترتيب المواد، ونتج عن ذلك كثرة التكرار والاضطراب، ففي باب الثنائي الصحيح مثلاً تطرق إلى مادة (د ع ع) وتناولها في الشرح والتفصيل، وأعاد الشرح والاستشهاد بالنصوص في باب الثنائي الملحق بالرباعي المكرر في مادة (د ع د ع[١]) وكذلك كرر في باب الهمز ما ذكره في لأبواب أخرى من الكتاب، وكرر كلمتي «رشن» و «لعبة» في باب النوادر وفي مادتي «رشن» و «ل ع ب[٢]».

أما الاضطراب فمظهر آخر يلاحظ في الجمهرة، كما جاء في باب المعتل من الثلاثي، فقد عقد «باباً ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين[٣]»، فذكر أسماء دون ذكر عنوانها، فذكر من الأسماء «الباب» و «ثاث» «خاخ[٤]»، وهذه أسماء وليست أفعال، وكذلك فعل في «باب الهمز[٥]» وباب «اللفيف من الهمز[٦]»، ومرد هذا الاضطراب يرجع إلى تراخي زمن الإملاء، وربما إلى تعدد النسخ، وحسب ما ذكرته المصادر فإنه أملاها في البصرة وبغداد، وكذلك فقد ألحق ابن دريد بعض الرسائل اللغوية التي اعجب بها فألحقها به دون أي ترتيب[٧].

ونتج عن ذكر هذه الرسائل أن استطرد كثيراً في الكتاب فمثلاً، في أبواب اللفيف فقد عقد أبواباً من حقها أن تكون في مواضع أخرى من الكتاب، ومن هذه الأبواب: «باب ما يكون الواحد والجماعة فيه سواء في النعوت[٨]» و «باب جمهرة من الاتباع[٩]» وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه: ١٤٢/١.
(٢) الجمهرة: ٥٤٩/٢.
(٣) المصدر نفسه: ٤٣٨/٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٨٤/٣.
(٥) المصدر نفسه: ٢٦٩/٣.
(٦) المصدر نفسه: ٢٩٢/٣.
(٧) المعجم العربي نشأته وتطوره: ٤٣٠/٢.
(٨) الجمهرة: ٤٢٨/٣.
(٩) المصدر نفسه: ٤٢٩/٣ وانظر المعاجم العربية دراسة تحليلية: ٦٦.

وأراد ابن دريد أن يفصل بين كل باب عن الباب الآخر فكثر في كتابه كثرة العناوين، على الرغم من تقليده للخليل، فقد فصل ابن دريد الثنائي غير المضاعف وحده ثم ذكر الثنائي المشدد الآخر مثل «مد» وهذه التسمية اختلف بها مع الصرفيين حيث أطلقوها على الثلاثي، ثم الثنائي الذي كرر فيه المقطع وسماه الرباعي المكرر ثم الثنائي المعتل وهو اللفيف عند الصرفيين[١].

أما الثلاثي، فقد قسمه على ثلاثة أقسام، هي: المضاعف دون إدغام والمعتل العين والمعتل اللام، والرباعي وألحق به ما يشتمل على حرفين مثلين وما جاء على أوزان مختلفة فصلها في كتابه، أما الخماسي فقد عالجه ابن دريد كما حلا له إذ كان كلما خطر له وزن معين عقد له باباً خاصاً.

أما طريقته في معالجة اللفظة، فلم يتبع منهجاً ثابتاً، فمرة يبدأ تفسير اللفظ بذكر الفعل اذا كان ماضياً أو مضارعاً، ثم يعقبها بالمصدر، ومرة يبدأ بذكر الاسم، وأخرى يبدأها بذكر المصدر وهكذا، وهو لا يهتم بالتعريف بالأعلام والأماكن والحيوان والنبات، بل اكتفى بذكرها فقط مثل: «بدبد: موضع»، «والتوت: القرصاد الذي تسميه العامة التوت».

مصادره

مثلت الجمهرة ثقافة ابن دريد الواسعة، وما حوته من كثرة المصادر، وغزارة في المادة اللغوية. وأول مصدر يطالعنا في الجمهرة، هو القرآن الكريم، فقد استشهد ابن دريد بآي كريمات وفي مواضع متفرقة من كتابه، كذلك استشهد بالحديث النبوي الشريف، حيث نهل من ألفاظه كثيراً وضمنه كتابه.

ويعد الشعر من المصادر الرئيسة في كتاب الجمهرة، فكثرت عنده الشواهد الشعرية، فهو مرة يذكر قائل الشعر وأخرى يهمله، وقد بين محقق الكتاب سبب ذلك بقوله: «وكثيراً ما ذكر ابن دريد أبياتاً من الشعر ولم يسم قائلها، فراجعت هذه الكتب حتى وقفت على اسم الشاعر، وقد رقمته بعد خط فاصل ليعلم الناظر في هذا الكتاب أنه ليس من أصل كتاب ابن دريد[٢]»، وقد عزا الدكتور

---

(١) المعاجم اللغوية العربية: ٧٩.

(٢) مقدمة الجمهرة: ١/١٩.

حسين نصار سبب هذا الصنيع ووصفه بأنه سبب ارتباكاً في الكتاب لعدم وضوح إشارته[١].

واتفق ابن دريد مع الخليل في إهمال شرح الشواهد والتعليق عليها، أما استشهاده بالشعر، فقد استشهد بكلام شعراء العرب في مختلف عصورهم، من أهل الجاهلية أمثال: امرئ القيس[٢]، وأوس بن حجر[٣]، زهير بن أبي سلمى[٤]، وعمرو بن كلثوم[٥]، وغيرهم، ومن الاسلاميين أمثال: حسان بن ثابت[٦]، وعبد الله بن رواحة[٧]، وكعب بن مالك الأنصاري[٨]، جميل بثينة[٩]، ومن الأمويين أمثال، جرير[١٠]، الفرزدق[١١]، وذي الرمة[١٢]، ومن العباسيين أمثال: بشار بن برد[١٣] وغيرهم.

واستشهد بالرجز وبخاصة رجز رؤبة[١٤] والعجاج[١٥]، وكان ينسب الرجز مرة ويهمله مرة أخرى. ولقد كان لتجوال ابن دريد في البادية وانتقاله من مكان لآخر أثره في معرفة لغات القبائل، وبهذه المعرفة زخر كتابه بكثير من لغات القبائل، منها الأزد وتميم وثقيف وحمير وطيء وقيس وغيرها، وقد أولى اللغة

(١) المعجم العربي، نشأته وتطوره: ٤٢٨/٢.
(٢) الجمهرة: ٩/١، ١٦٠، ١٢٤/٢، ١٨/٣، ٣٠٦.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣/١، ١٤٨، ٧٤/٢، ١٢١/٣.
(٤) المصدر نفسه: ٤٧/١، ٢/ ١٥٥، ٢٠٩/٣.
(٥) المصدر نفسه: ٥٦/١، ٦٣.
(٦) المصدر نفسه: ٣٤/١، ٥٨/٢، ٢١٦.
(٧) المصدر نفسه: ٣١٤/١، ٣٠٣/٢.
(٨) المصدر نفسه: ١٧٠/١، ٢٠٥/٢، ٩٠/٣.
(٩) الجمهرة: ١٦٢/١، ٨٢/٢، ٣١٩/٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٤٩/١، ٩١، ١٠٠/٢، ١٢٢/٣.
(١١) المصدر نفسه: ٣٠/١، ٢٢٨/٢، ٤٤/٣.
(١٢) المصدر نفسه: ٤٧/١، ٢١٤/٢، ٣٦٨/٣.
(١٣) المصدر نفسه: ١٢٧/١.
(١٤) المصدر نفسه: ٧٥/١، ٧٣/٢، ٣٣٠/٣.
(١٥) المصدر نفسه: ٨٧/١، ١٥٨/٢، ٢٤٥/٣.

اليمنية عناية فائقة، لأنها لغة قومه وذويه، وبهذا نرى ابن دريد متعصباً لأهل اليمن[١]، وقد تفوق بايراده اللغات على الخليل. وعني أيضاً بالألفاظ المعربة والدخيلة حيث عقد لها باباً وضعه في نهاية كتابه[٢]. ومن شواهده الأخرى عنايته بكلام اللغويين والاقتباس من كتبهم، فقد عرض لآراء اللغويين في تفسير كثير من المفردات، أمثال: أبي عمرو بن العلاء[٣]، والخليل[٤]، وسيبويه[٥]، وأبي عبيد[٦]، وأبي عبيدة[٧]، وأبي زيد الأنصاري[٨]، والأصمعي[٩]، وابن قتيبة[١٠] وغيرهم.

وكذلك نقل عن كتبهم وذكرها في جمهرته منها كتاب (العين[١١]) للخليل و(خلق الإنسان[١٢]) للأصمعي، و(مجاز القرآن[١٣]) لأبي عبيدة، و(الهمز[١٤]) لأبي زيد الأنصاري، و(الأصنام[١٥]) لأبي الكلبي، و(المذكر والمؤنث[١٦]) لأبي حاتم السجستاني، و(النوادر[١٧]) لابن مالك بن كركرة، و(المعاني[١٨]) للأشنداني بالإضافة إلى كتبه الأخرى أمثال: (الاشتقاق[١٩])، و(اللغات في القرآن[٢٠])، وكان ابن دريد أميناً في نقله شأنه في ذلك شأن العلماء الثقات، وحين تعترضه

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره: ٤٢٩/٢.
(٢) الجمهرة: ٤٩٩/٣، وما بعدها.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٦/١، ٣١٢، ١٣٢/٢.
(٤) المصدر نفسه: ٦١/١، ١١٩/٢، ٤٠/٣، ٣٧١.
(٥) المصدر نفسه: ١٦٧/١، ١١٠/٢، ٢٢٠/٣، ٣٣٨.
(٦) المصدر نفسه: ١٣٩/٢، ٧١/٣.
(٧) المصدر نفسه: ٦٦/١، ٥٤/٢، ٥٢/٣، ٤٣٤.
(٨) الجمهرة: ٧٩/١، ١٥١/٢، ١١٤/٣.
(٩) المصدر نفسه: ٤٠/١، ١٣٤/٣.
(١٠) المصدر نفسه: ٤٨/١، ٧٥/٢.
(١١) المصدر نفسه: ٢٦٨/٢.
(١٢) المصدر نفسه: ٢٠٧/١.
(١٣) المصدر نفسه: ١٣٣/٣.
(١٤) المصدر نفسه: ٢٠٤/٢.
(١٥) المصدر نفسه: ٧١/٣.
(١٦) المصدر نفسه: ٤٠٩/٣.
(١٧) المصدر نفسه: ٤٥٥/٣.
(١٨) المصدر نفسه: ٤٥٠/٣.
(١٩) المصدر نفسه: ٥٣/٢، ١٢٥.
(٢٠) المصدر نفسه: ٤٠٠/٢.

لفظة لا يعرفها فإنه يذكر ذلك بلا حرج فيقول: «لا أدري ما صحته[(١)]». وتمثل الأمثال[(٢)] وكلام الفصحاء مصدراً آخر من مصادره في الجمهرة.

ومن مزايا الجمهرة بين مثيلاتها من المعجمات، أن مؤلفها استطاع أن يبتكر نظاماً خاصاً به أمضاه منه، وبهذا يعد نظام الجمهرة نظاماً جديداً في التأليف المعجمي، كان رائده ابن دريد.

(١) المصدر نفسه: ١/١٣٩، ٣/١٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٥٣.

المبحث الثالث

مجمل اللغة لابن فارس[(١)]

يعد مجمل اللغة من المعجمات المهمة الذي وضعه ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في قرن من أبهى القرون الاسلامية، حيث اقترن (مجمل اللغة) بابن فارس، فحين يذكر ابن فارس، فإنه يذكر معه كتابه فيقال: (مجمل ابن فارس[(٢)]).

منهجه

بدأ ابن فارس مجمله بمقدمة، تحدث فيها عن كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (وكتاب الجمهرة) لابن دريد وما يحتويانه من صعوبة ووعورة الألفاظ، فكأن ابن فارس في مقدمته هذه جعل لنفسه سبباً مقنعاً أن يؤلف كتاباً يكون أسهل منهما، وذكر ذلك في مقدمة الكتاب بقوله: «وسألتني جمع كتاب في ذلك يذلل لك صعبه، ويسهل عليك وعره، أنشأت كتابي هذا بمختصر من الكلام قريب، يقل لفظه وتكثر فوائده، ويبلغ بك طرفاً مما أنت ملتمسه، وسميته مجمل اللغة لأني أجملت الكلام فيه اجمالاً[(٣)]».

وقد أراد بوضعه هذا الكتاب ليكون سهل المتناول لدى المبتدئين في تعليم العربية، وتوخى منه الاختصار والإيجاز ليسهل على القارئ البحث فيه.

قسم ابن فارس كتابه على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف المعجم، ابتداء بكتاب الهمزة «لأنها أول حروف المعجم» وانتهاء بكتاب الياء «لأنه آخر حروف المعجم»، وقد أشار بمنهجه في مقدمة كتابه بقوله: «وفي ذلك توطئة

---

(١) طبع أول مرة في مصر سنة ١٩٤١وطبع ثانية في مصر سنة ١٩٤٧، وكلا الطبعتين طبعتا في مطبعة السعادة، وهما طبعتان غير محققتين، ثم حقق جزءا منه مصطفى رضوان سنة ١٩٥٩، ونال فيه شهادة الماجستير، وحقق أيضاً جزءا منه حسن هادي حمودي ونال فيه شهادة الماجستير سنة ١٩٧٢، والذي يبدأ بحرف الهمزة وينتهي بنهاية حرف الحاء طبع في الكويت وحققه كاملا زهير عبد المحسن وطبع في بيروت سنة ١٩٨٤، وصدر بثلاثة أجزاء عن مؤسسة الرسالة.

(٢) المعاجم العربية: ١٢٣.

(٣) مقدمة المجمل: ١/٧٥.

سبيل مذاكرة اللغة، ومناة أمنة قارئه المتدبر له من التصحيف، وذلك أني أخرجته على حروف المعجم[١]». وبعد تقسيمه على عدد حروف المعجم رتبه على طريقة (الألف بائي) مراعياً في ذلك أصول الكلمة، بما فيها الحرف الأول والحرف الثاني والحرف الثالث، وقسمه على طريقة الكتب والأبواب، فالكتاب يكون هو الحرف الذي عقده منفصلاً عن غيره من الحروف مثل: كتاب الياء، كتاب التاء، كتاب الثاء وهكذا إلى نهاية حرف الياء، وكان في بعض الأحيان يشير إلى الكتاب مع عنوانه مثل: «كتاب الجيم من مجمل اللغة[٢]» «كتاب السين في مجمل اللغة[٣]» «كتاب اللام في مجمل اللغة[٤]».

ومرة أخرى يهمل العنوان ويكتفي بذكر الكتاب مقترناً بالحرف مثل: «كتاب الثاء[٥]» «كتاب الراء[٦]»، وقسم كل كتاب على أبواب وجعلها ثلاثة رئيسية، هي باب الثنائي والمطابق، فسماه في باب الدال مثلاً: «باب الدال وما بعدها في المضاعف والمطابق[٧]»، فأراد بالمضاعف الحرف الثاني المشدد مثل: (درّ، دعّ، دكّ[٨])، أما المطابق فهو المكرر مثل: (دحدح، دخدخ[٩])، أما الباب الثاني فجعله للثلاثي مثل باب الفاء: «باب الفاء والقاف وما يثلثهما[١٠]»، وختم كل كتاب بباب سماه: باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف، فسماه في كتاب الكاف مثلاً: «باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله كاف[١١]»، وكان يشير إلى نهاية كل كتاب، مثلاً كتاب العين «تم كتاب العين من مجمل اللغة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على نبيه محمد وآله غدواً ورواحاً وسلم تسليماً[١٢]».

(١) مجمل اللغة: ١/٧٦.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٤٥٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣/٧٩٠.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٥٥.
(٦) المصدر نفسه: ٢/٣٦٦.
(٧) المصدر نفسه: ٢/٣١٧.
(٨) مجمل اللغة: ٢/٣١٧ – ٣١٨.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٣٢١.
(١٠) المصدر نفسه: ٣/٧٠٢.
(١١) المصدر نفسه: ٣/٧٨٨.
(١٢) المصدر نفسه: ٣/٦٧٨.

وكانت طريقته أن يعقد باباً لكل حرف من حروف الهجاء، ويقول مثلاً: «باب الحاء وما يثلثهما[1]»، ثم تحدث عن الحروف بعد الحاء وهي الدال، الراء إلى نهاية حرف الياء ثم يرجع بعد ذلك إلى الحروف التي تسبق الحرف الذي بدأ به الباب، فمثلا في باب الكاف، فإنه يذكر حرف الكاف مع ما بعده من الحروف وهي: اللام والميم والنون والهاء والواو والياء مع ما يثلثهما، ثم يبدأ بالحروف التي سبقت حرف الكاف وهي الألف والباء والتاء والثاء والحاء والدال والذال والراء والسين والشين والظاء والعين والفاء[2]، أما حرف القاف فلا يعقد له باباً، لأن القاف والكاف لا يأتلفان لأنهما من مخرج واحد[3]، واعتمد في الحرف الثالث مثلما اعتمد في الحرف الثاني عندما تناول حروف الهجاء، فعندما تناول «باب الغين والراء وما يثلثهما[4]»، تناول الحرف الذي يأتي بعد الراء وهو الزاي، فترجم للكلمات وحسب التسلسل الألف بائي وهي: «غرز، عرس، غرض، غرف، غرل، غرم، غرن، غرو، غرب، غرث، غرد[5]»، وقد التزم ابن فارس هذا الترتيب في جميع كتب وأبواب المجمل، وبهذا الترتيب يكون ابن فارس قد انفرد في ترتيبه للمفردات وهي طريقة لم يسبقه إليها أحد ولم يُقلِّده أحد ممن جاء بعده من مؤلفي المعجمات اللغوية، على الرغم من ان ابن فارس استفاد من كتابي (العين والجمهرة)، إلا أنه انفرد بصيغ لم يأت بها الخليل وابن دريد في كتابيهما.

وتوخى ابن فارس في مجمله أن يجمع الصحيح والواضح من كلام العرب، والمشهور من غريب القرآن، والحديث والشعر، حيث صرح بذلك بقوله: «قد ذكرنا فيه الواضح من كلام العرب الصحيح منه دون الوحشي المستنكر ولم نسأل في اجتباء المشهور الدال على غريب آية أو تفسير حديث أو شعر،

---

(١) المصدر نفسه: ١/٢٢١.

(٢) انظر المصدر نفسه: ٣/٧٦٩ – ٧٨٨.

(٣) انظر جمهرة اللغة: ١/٣.

(٤) مجمل اللغة: ٣/٦٩٣.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٦٩٣ – ٦٩٥.

والمتوخى في كتابنا هذا من أوله إلى آخره التقريب والإبانة عما ائتلف من حروف العلة[١]».

أما الغريب والمستنكر فلا عناية له به، بل اعتنى بالصحيح من الألفاظ، كما قال عنه السيوطي: «وكان في عصر صاحب الصحاح ابن فارس فالتزم أن يذكر في معجمه الصحيح[٢]». ونهج ابن فارس في عرضه للمادة نهجاً متبايناً، فتارة يبدأ اللفظة بشرح الفصل وتصريفه، وتارة أخرى يبدأ بالاسم المشتق، وأحياناً أخرى يبدأ بذكر بلدة أو حيوان أو نبات وغيرها من الاسماء الأخرى، ثم يتابع شرحه للمفردة من حيث معانيها المختلفة، فهو في منهجه هذا لم يعتمد نهجاً واحداً سار عليه في ترتيب مادته اللغوية أو ترتيبه للأبواب.

أما بالنسبة للكلمات المهملة فلم يذكرها في معجمه ولم ينوه بها خلافاً لمؤلفي المعجمات (كالخليل وابن دريد والأزهري)، مثل (باب الزاي والعين وما يثلثهما[٣]) حيث استعماله أول باب من أبواب الثلاثي لحرف الزاي، ولو رجعنا الى ترتيبه الألف بائي الذي نهجه فيقتضي أن يكون حرفي السين والشين هما اللذان يليان حرف الزاي، إلا أن استعمال الزاي مع السين مهمل، فلم يشر ابن فارس إلى ذلك، بل أهمل الحروف التي تلي السين وهي: الشين، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، بل تناول باب الزاي والعين وما يثلثهما، وتعددت طرق ضبط اللفظة عنده، منها ضبطها على حركة الحرف مثل قوله: «والأمة: بالكسر، النعمة[٤]» وقوله: «نخط: يقال: ما أدرى أي النخط هو، بالضم والفتح[٥]». أما اذا كانت اللفظة تقرأ على أكثر من وجه، فإنه يذكر اللغة المشهورة فيها، مثل قوله: «والقطامي: الصقر، وقد يفتح ويضم[٦]» أما المفردات التي تشكل على

(١) المصدر نفسه: ١/١٦٨.

(٢) المزهر: ١/٥٠.

(٣) مجمل اللغة: ٢/٤٣٣.

(٤) المصدر نفسه: ١/٨١.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٨٦٠.

(٦) المصدر نفسه: ٣/٧٥٨.

القاريء فقد ذكر ابن فارس وزنها مثل: «تاييت: على تفاعلت، أي تعمدت[١]»، وأشار أيضاً أن كون اللفظة مهموزة لئلا تلتبس على القارىء مثل قوله: «المأقط (مهموز): موضع الحرب[٢]».

وقد أشار ابن فارس إلى المعرب، حيث وردت في كتابه إشارات كثيرة إليه، وقد تباين عرضه للمعرب، فمرة يذكر أصله الذي غرب عنه مثل قوله: «الكرج: فارسي معرب[٣]»، وتارة أخرى يذكر اللغة التي عرب عنها مثل قوله: «الجائز: الجذع الذي يقال له بالفارسية: تير[٤]»، ونراه في حالة أخرى لا يذكر عمن أخذ أو من أية لغة عرب، بل يكتفي بذكره مقرباً، مثل قوله: «السطل معروف: ويقال له السيطل أيضاً ويقال إنهما معربان[٥]»، وقد اعتنى أيضاً ببعض لغات العرب وتناولها في أثناء شرحه للمفردة، وتأتي لغة أهل اليمن في مقدمة اللغات التي أكثر من الإشارة إليها، فقد أخذها عن ابن دريد من كتابه (جمهرة اللغة[٦])، بالإضافة إلى إشاراته إلى لغات العرب كلغة تميم وهذيل ولغة أهل الشام وغيرها من اللغات العربية الأخرى، وبجانب عنايته بلغات العرب، فقد اعتنى أيضاً ببعض الظواهر اللغوية الأخرى، منها الإبدال، والأضداد، والإتباع، والإفراد والتثنية والجمع والمقصور والممدود وغيرها من الظواهر الأخرى.

سمات مجمل اللغة

نهج ابن فارس منهجاً خاصاً به في ترتيب معجمه، وعندما تناول شرح المفردات اللغوية وخاض في المنهج التفصيلي الذي وضعه لنفسه، فقد اعترى هذا المنهج شيء من الاضطراب في ترتيب المواد مثل ما فعله وحسب منهجه أن تكون مادة (ضأ) قبل (ضو[٧])، والمفروض وحسب منهجه أن تكون مادة (ضو) قبل (ضأ) لأن الواو تقع ما قبل حروف المعجم والهمزة تكون في بداية

---

(١) مجمل اللغة: ٨٢/١.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٠/١.
(٣) المصدر نفسه: ٧٨٣/٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢٠٤/١.
(٥) المصدر نفسه: ٤٥٩/٢.
(٦) انظر المعجم العربي نشأته وتطوره: ٤٧٤/٢.
(٧) مجمل اللغة: ٥٦٠/٢.

الحروف، إذ إن منهجه يقتضي أن يرتب الحروف التي تلي الحرف الذي عقد له باباً. أما اضطراب الأبواب، فقد حدث في باب الظاء، وفي الثلاثي، فقد أورد (باب الظاء والواو وما يثلثهما) قبل (باب الظاء والهاء وما يثلثهما) فقدم حرف الواو على حرف الهاء وهذا مخالف لمنهجه في سائر الكتاب، وهناك سمة أخرى في المجمل هي خلطه بين المهموز والمعتل ولم يشر إلى مكان الهمز مثل قوله: «المروءة مهموزة: كمال الرجولية(١)»، وكان التكرار سمة أخرى من سمات المجمل، حيث كان يعيد ذكر ألفاظ في أبواب مختلفة مكررة مثل: «النيرب(٢)» و«الخيعل(٣)» فكررهما في باب الثلاثي، وفي باب ما زاد على ثلاثة أحرف.

ويعد الاختصار من سماته أيضاً، حيث حذف الشواهد والتصاريف التي يمكنه حذفها، والتي لا يثق بصحتها، وقد دعاه إلى الاختصار، والإيجاز، أن يقل لفظه وتكثر فوائده فقال: «إني توخيت فيه الاختصار كما أردت، وآثرت الايجاز كما سألت(٤)».

وكان الصدق والصواب من السمات الأخرى للمجمل، فأراد ابن فارس أن يتحرج من مستنكر الأقاويل وشنيع الحكايات، وقد بين سبب ذلك «فقد كان يقال: من تتبع غرائب الأحاديث كذب، ونحن نعوذ بالله من ذلك(٥)». وبذلك دعاه إلى اسقاط المواد التي شكٌ في صحة معانيها او شواهدها.

مصادره

اهتم ابن فارس بالشواهد والمصادر، شأنه في ذلك شأن غيره من مؤلفي المعجمات، فجاء كتابه حافلاً بهما، على الرغم من محاولته التقليل من الشواهد، حين قال: «ولم أكثره بالشواهد والتصاريف إرادة الايجاز(٦)»، إلا إنه اضطر أن يذكر هذه الكثرة من الشواهد والمصادر، وذلك لاخراج كتابه بصورة جيدة،

(١) المصدر نفسه: ٢/٨٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٨٦٣، وانظر: ٣/٨٨٧.
(٣) المصدر نفسه: ١/٣٠٩. وانظر ٢/٣١٥.
(٤) مجمل اللغة: ١/٧٥.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٦٨.
(٦) المصدر نفسه: ١/٧٥.

ويكون قد خدم القراء في استيفائه لهذه المجموعة الكثيرة منها، أما أهم مصادره التي تطالعنا فهو القرآن الكريم، حيث استشهد بمائة وستة وثمانين شاهداً توزعت على أقسام كتابه، هذا بالإضافة إلى استشهاده بالقراءات القرآنية، وأكثرها كانت من القراءات الشاذة، وقد دفع حرص ابن فارس على الايجاز هذا إلى ان يستشهد أحياناً بلفظة واحدة من القرآن الكريم، فيذكرها ويذكر معناها حرصاً منه على الالتزام بالمنهج الذي رسمه لنفسه[١].

أما الحديث النبوي الشريف، فإنه يعد في المرتبة الثانية من حيث عدد الشواهد بعد الشعر، فقد نهل منه ابن فارس كثيراً من ألفاظه، على الرغم من أنه كان يورد أكثر الأحاديث النبوية الشريفة خالية من سند الرواية، إضافة إلى أنه خلط بين أقوال النبي محمد (ﷺ) وأقوال الصحابة والتابعين، أما سند الحديث، فمرة يقول: «وفي الحديث، أو قد جاء في الحديث، أو ومن ذلك حديث النبي محمد (ﷺ) في مكة[٢]».

ويعد الشعر من الشواهد الرئيسية في مجمل اللغة حتى فاقت شواهده عدد شواهد القرآن والحديث والأمثال مجتمعة، ذلك أن الشعر معين لا ينضب من المفردات الدالة على معان شتى[٣]، وقد استشهد ابن فارس لشعراء جاهليين وإسلاميين وعباسيين، وآخر من استشهد بشعره من العباسيين هو ابن هرمة، واستشهد أيضاً بشعر لبشار بن برد وإن لم يصرح بنسبة البيت له. أما بالنسبة إلى نسبة الشواهد الشعرية إلى قائليها، فكان شأنه في ذلك شأن مؤلفي المعجمات فيميل في الغالب إلى إهمال نسبة الشعر إلى قائله، وإنما يكتفي بقوله: «قال[٤]: ...» «قال الشاعر[٥]...» «قوله[٦]...» «أنشد[٧]....» وقد تنوعت طرق

(١) انظر مقدمة دراسة مجمل اللغة: ١/٤٦.
(٢) انظر مجمل اللغة: ٢/٢٩٠، ٢/٣١٣.
(٣) مجمل اللغة: ١/٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٧٥، ٢/٢٩٢، ٣/٧٧١.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٦٤، ٢/٢٧٧، ٣/٧٤٣.
(٦) المصدر نفسه: ١/٢٤٥، ٢/٥١٢، ٣/٧٧٩.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٢، ٢/٣٢٣، ٣/٨٠٠.

الاستشهاد بالشعر عند ابن فارس، فمرة يستشهد بالبيت الشعري للدلالة على مواضع أو أسماء أو حيوان كقوله: «القنفذ في قول القائل[١]..»، وأحياناً يشرح اللفظة ويستشهد بها ببيت شعر كقوله: «ويقال لمشفر البعير إذا تدلى: خريع، قال الطرماح:

خريع النعو مضطرب النواحي   كأخلاق الغريفة ذي غصون[٢]»

وقد كرر ابن فارس الاستشهاد ببعض الأشعار لمعنى واحد، إلا أن رواية اللفظة مختلفة[٣]، أو يورد شواهد بروايتين مختلفتين ولمعنيين مختلفين أيضاً. أما الرجز فقد استشهد به إلى جانب الشعر، ومثلما فعل بإهمال نسبة الشعر فعل ذلك بالرجز فأهمل معظم الأرجاز التي استشهد بها، ما عدا أرجاز لرؤبة وأبي النجم.

ويعد السماع من المصادر المهمة في (مجمل اللغة)، حيث درس وسمع على مشاهير علماء عصره، فخزن بذلك ثروة لغوية كبيرة أفرغها في مؤلفاته الكثيرة، وقد ذكر ذلك ابن فارس في كتابه بقوله: «وذكر ما صح من ذلك سماعاً أو من كتاب لا يشك في صحة نسبة[٤]»، وإذا لم يسمع قولا فإنه يصرح بذلك، مثل قوله: «ولم أسمعه سماعاً[٥]».

ومن المصادر الرئيسة الأخرى في (مجمل اللغة) هي أقوال العلماء واللغويين، فقد أشار ابن فارس إلى ذلك بقوله: «كنت قد ذكرت في صدر كتابي الذي أسميته مجمل اللغة، العلماء الذين عنهم أخذت اللغة، وأعلمت أن الذي في كتابي، فإنما هو عنهم ومن مؤلفاتهم[٦]».

---

(١) المصدر نفسه: ٢/٣٢١.
(٢) مجمل اللغة: ٢/٤٣٥.
(٣) المصدر نفسه: ١/٤٨.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٦٨.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٧٨.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٤.

ومن العلماء الذين روى عنهم: الخليل بن أحمد[١]، والكسائي[٢]، والفراء[٣]، وأبا عمرو الشيباني[٤]، وأبا عبيدة[٥]، وابن السكيت[٦]، والأصمعي[٧]، وأبا عبيد[٨]، وابن الأعرابي[٩]، وابن قتيبة[١٠]، وثعلب[١١]، وابن دريد[١٢] وغيرهم.

وقد نقل مؤلفاتهم التي نقل عنها، أمثال ما نقل عن (العين)، بقوله: «وكان الخليل يقول: الإخداع: إخفاء الشيء، وبذلك سميت الخزانة المخدع[١٣]».وذكر أيضاً كتاب «الغريب المصنف» لأبي عبيد، بقوله: «والذي سمعته في الغريب المصنف: حلس: بكسر الحاء وسكون اللام[١٤]»، وهناك كتبٌ لم يصرح بأسمائها، على الرغم من كثرة نقوله عنها، ومن هذه المؤلفات: (العين[١٥]) للفراهيدي، حيث نقل منه (مائتين وأربعين مرة) و(جمهرة اللغة[١٦]) لابن دريد، حيث نقل منها (مائتين وثلاثين مرة) وخاصة فيما يتعلق بلغة أهل اليمن.

ونقل أيضاً من كتاب (إصلاح المنطق[١٧]) و(القلب والإبدال[١٨]) لابن

---

(١) المصدر نفسه: ١/٢٢١، ٢/٣٩٤، ٣/٧٢٧.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٥٩، ٢/٣١٣، ٣/٧٠١.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٥١، ٢/٣٨٦، ٣/٨٤٢.
(٤) مجمل اللغة: ١/١٦٧، ٢/٣٣٤، ٣/٧٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٧٣، ٢/٣٢٩.
(٦) المصدر نفسه: ١/١٩٥، ٢/٤١٠، ٣/٧٢٦.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٢، ٢/٣٢٢، ٣/٨١٩.
(٨) المصدر نفسه: ١/١٦٠، ٢/٤١٢، ٣/٧٧٥.
(٩) المصدر نفسه: ١/٢٤٨، ٢/٢٨٦، ٣/٦٩١.
(١٠) المصدر نفسه: ٢/٣٨٩، ٢/٥١٢.
(١١) المصدر نفسه: ١/١٢٤، ٣/٧٩٩.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٦٨، ٢/٢٧٩، ٣/٧١٣.
(١٣) المصدر نفسه: ٢/٢٧٩، ونقل عنه مائتين وأربعين مرة.
(١٤) المصدر نفسه: ١/٢٤٩.
(١٥) المصدر نفسه: ١/٣٦.
(١٦) المصدر نفسه: ١/٣٧.
(١٧) المصدر نفسه: ٢/٢٨٨.
(١٨) المصدر نفسه: ٣/٦١٨.

السكيت، و (غريب الحديث[١]) لابن قتيبة، وكتاب (الجيم[٢]) لأبي عمرو الشيباني، وكتاب (سيبويه[٣])، و (مجاز القرآن[٤]) لأبي عبيدة، ولكن ابن فارس لم يذكر هذه الكتب صراحة، والذي أراه أن ابن فارس أراد ان لا يثقل كتابه بمادة كثيرة، حيث توخى الاختصار والايجاز، إضافة إلى أنه روى عن اللغويين فوائد غير مدونة في كتبهم، وتوخى من ذلك الصدق والصواب فيما سمعه.

أما الأمثال وأقوال الفصحاء فكانت مصدراً آخر من مصادره مع قلة الأمثال وكثرة أقوال الفصحاء.

وبعد كل هذا، فإن مجمل اللغة لابن فارس يعد حلقة مهمة ومتطورة في تطور المعجم العربي والذي بدأ بها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وبعد أن رأى ابن فارس المعجمات التي سبقته أراد أن يبتكر نوعاً جديداً في ترتيب المعجم، إلا أن ابن فارس حاول تطوير منهج ابن دريد، فأهمل نظام التقليبات لما شاهده في كتاب العين من «وعورة ألفاظه وشدة الوصول إلى استخراج أبوابه[٥]»، وبهذه الطريقة في معالجة الألفاظ فقد أظهر ابن فارس مهارة فائقة في تناوله للفظة ومن اتساع في اللغة، وحفظه لكثير من مفرداتها وطول باع في مادته اللغوية وبهذه الملكة اللغوية الفذة فقد حوى كتابه مادة لغوية واسعة.

مقاييس اللغة لابن فارس[٦]

ألفه ابن فارس بعد أن بحث فيه أصول المفردات واشتراكها جميعاً بمعنى أو

(١) المصدر نفسه: ٢/٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٦٨٢.

(٣) مجمل اللغة: ١/٢١٨.

(٤) المصدر نفسه: ٢/٥٦٨.

(٥) المصدر نفسه: ١/٧٥.

(٦) حققه الأستاذ عبد السلام هارون وطبع مرتين، الطبعة الأولى كانت في القاهرة وفي الأعوام (١٣٦٦هـ - ١٣٧١هـ) وقد صدرت بستة أجزاء ونشرته مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

أما الطبعة الثانية فكانت في القاهرة أيضاً وفي الأعوام ١٩٦٩م — ١٩٧٢م. وصدرت بستة أجزاء نشرته مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

معان متعددة.

منهجه:

قسم ابن فارس كتابه على ثمانية وعشرين كتاباً، حسب حروف المعجم، ابتداء بالهمزة وانتهاء بالياء، ثم قسم كل كتاب منها على ثلاثة أبواب رئيسة هي: باب (الثنائي والمطابق)، وباب (الثلاثي)، وباب (ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف)، وقد سار في منهجه هذا إلى نهاية كتابه، فيكون في الحالة هذه أن منهجي (المقاييس) و (المجمل) هو منهج واحد، وإن كانت هناك اختلافات في طرق عرض المادة في كتابيه.

وبين ابن فارس غرضه من تأليفه لمقاييس اللغة أن يكشف عن المقياس في اللفظة وحسب جذرها، وقد صرح بذلك في بداية مقدمة كتابه بقوله: «إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولاً تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس[(١)]»، وقد أراد ابن فارس بهذه الكلمات أن يكشف عن المعنى الأصلي المشترك في جميع صيغ اللفظة، وأطلق عليها أصول الكلمة ويسميها اللغويون «الاشتقاق الأكبر».

وقد ولع ابن فارس به ولعاً شديداً حتى ذكر أمر الاشتقاق في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة[(٢)]»، حين قال: «أجمع أهل اللغة إلا من شذ منهم، أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض[(٣)]»، وعندما كانت مسألة الاشتقاق والمقاييس هي المسيطرة عليه، فقد سمى كتابه بالمقاييس.

والملاحظ في (مقاييس اللغة) أن المقاييس تنطبق على الألفاظ الثنائية المضاعفة الثلاثة، أما الرباعي والخماسي فقد ذهب ابن فارس إلى منهج آخر سماه

---

(١) مقاييس اللغة: المقدمة: ١/١.

(٢) حققه الدكتور مصطفى الشويمي، وطبع في بيروت سنة ١٩٦٣، وقد حققه الأستاذ سيد صقر ونشره في القاهرة سنة ١٩٧٧، وكان قد طبع من قبل في القاهرة سنة ١٩١٠.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة: ٦٧.

النحت وقال بذلك: «اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النحت أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعاً بحظ[١]».

ولم يكن ابن فارس أول من استعمل النحت بل سبقه الخليل إليه حيث ذكره بقوله: «فبنى من الكلمتين كلمة، فهذا من النحت، فهذا من الحجة في قولهم: حيعل حيعلة، فإنها مأخوذة من كلمتين حي على[٢]»، وقد أورد ابن فارس في باب ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف الكلمات المنحوتة، مثل قوله: «بلطح: الرجل إذا ضرب بنفسه الأرض، فهي منحوتة من بطح و أبلط، إذا لصق ببلاط الأرض[٣]»، وقوله: «سرحوب، وهي الجواد، وهي منحوتة من كلمتين من سرح وسرب[٤]».

وقد بدأ ابن فارس كتابه بمقدمة صغيرة، أوضح فيها هدفه ومنهجه في علاجه المواد مع ذكره المراجع التي اعتمدها في كتابه وهي: العين للخليل وغريب الحديث والغريب المصنف لأبي عبيد، وإصلاح المنطق لابن السكيت والجمهرة لابن دريد، وقد ذكر أنه اعتمد على هذه الكتب الخمسة بقوله: «فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول إليها، حتى إذا وقع الشيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله[٥]».

أما طريقته في تأليف مواده، فكانت تجري على نسق واحد مع منهجه في (مجمل اللغة[٦]).

وقد تناول الدكتور حسين نصار (مقاييس اللغة) في شيء من التفصيل

(١) مقاييس اللغة: ٣٢٨/١ — ٣٢٩.
(٢) العين: ٦١/١، وانظر مقاييس اللغة: ٣٢٩/١.
(٣) مقاييس اللغة: ٢٣١/١.
(٤) المصدر نفسه: ١٥٨/٣، وهناك حالات كثيرة.
(٥) مقاييس اللغة: ٥/١.
(٦) تحدثنا عن طريقته في تناول المفردات بالتفصيل في مجمل اللغة ونظراً لتشابه طريقته في الكتابين آثرنا ألا نكرر الحديث ثانية، عن مقاييس اللغة.

والإطناب، فأغنانا أيضاً عن الخوض في دراسته[١].

أما غرضه في كلا الكتابين فمختلف، (فمجمل اللغة) أراد أن يجمع فيه الواضح والصحيح من كلام العرب، والابتعاد عن الوحشي المستنكر، والغريب والنادر من الألفاظ، مع تأكيده على الصدق والصواب، وتجنبه الكذب والاعتماد على ما سمعه من العلماء الثقات، والخروج بمعجم مختصر يغني الناس عن الخوض في خضم الأصول الكبار من المعجمات (كالعين) (والجمهرة) (وتهذيب اللغة).

أما (مقاييس اللغة) فهو نمط جديد مبتكر من أنماط التأليف المعجمي اللغوي، انفرد به ابن فارس، حيث ابتناه على نسق صوتي بارع، اجتهد أن يربط المعاني المتعددة بسلك لفظي واحد. وهذا الابتكار فريد في بابه، وقد يقال إن شذرات منه وردت عند أهل اللغة المتقدمين، أمثال الخليل، وسيبويه، إلا أن ابن فارس أربى عليهما فوفى الأمر حقه.

فجاء (المقاييس) معجماً فذاً في بابه لحمته الأصوات وسداه المعنى المتفرع المتشقق من لفظ واحد[٢].

وبهذا فقد اتبع نهجاً دار حوله البحث في أصول المفردات واشتراك صيغ المادة جميعاً بمعنى أو معانٍ متعددة، وأن يدمج كل المعاني الفرعية حقيقية أو مجازية، وهو ما يبدو في اصطلاح البلاغيين أنه مشترك لفظي، حاول أن يربط بين المعاني الفرعية المختلفة لكل لفظ منها ليدمجها في المعنى العام[٣]، وأن يتحرى الألفاظ الصيحة وأن يتجنب المشوبة، لذلك نص على كل أصل من أصوله التي يرتضيها بالصحة مثل قوله: «بل: الباء واللام في المضاعف له أصول خمسة هي معظم الباب[٤]».

وعلى الرغم من هذا التشابه الكبير بين (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة) إلا أن ابن فارس حدد في كتابه (مقاييس اللغة) مسألة الاشتقاق وأدار حديثه فيه،

---

(١) انظر المعجم العربي: نشأته وتطوره: ٢/٤٣٥ – ٤٦٥.

(٢) من محاضرات الدكتور عبد الله الجبوري في فقه اللغة: مدونتي.

(٣) مقاييس اللغة: ١/١٢٥.

(٤) المصدر نفسه: ١/١٨٧.

فحفل كتابه بالأقوال المختلفة التي أدلى بها اللغويون في كل لفظة، وأميل إلى ترتيب المادة بحسب الأصول التي تنقسم إليها معانيها، بالإضافة إلى عنايته بالمجازات والتعبيرات الخاصة والمعاني الفرعية، كذلك أكثر من الشواهد في (مقاييس اللغة) بينما حذف كثيراً منها في (مجمل اللغة)، واختصاره لأقوال اللغويين كالخليل وابن دريد وغيرهما[١].

بين مجمل اللغة ومقاييس اللغة

تحدثنا عن منهج كتابي ابن فارس في (مجمل اللغة، ومقاييس اللغة) وما حظي كل منهما من شهرة، حتى وصف الباخرزي (مجمل اللغة) بقوله: «إذا ذكرت اللغة فهو صاحب مجملها[٢]»، وأثنى العلماء على مقاييس اللغة فقالوا: «هو كتاب جليل لم يصنف مثله[٣]»، وقال عنه الدكتور حسين نصار: «فكثرت الأقوال التي نجدها عنده ولا نجدها عند الخليل وابن دريد على الرغم من ميله إلى الاختصار، بل انفرد ببعض الألفاظ دون بقية المعاجم، لأن المراجع التي أخذ منها من الرسائل الصغيرة لم يصل إلينا كثير منها[٤]».

وقد عقد بعض الباحثين الذين تناولوا (مجمل اللغة ومقاييس اللغة) موازنة من حيث المنهج وترتيب الأبواب ولكنهم اختلفوا في أوليتهما تأليفاً، فأول من تحدث الأستاذ عبد السلام هارون وخلص إلى القول: «إن مجمل اللغة» أقدم تأليفاً من «مقاييس اللغة» فقال: «لا يساورني الريب أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس، فإن هذا النضج اللغوي الذي يتجلى فيه من دلائل ذلك، كما أن خمول ذكر هذا الكتاب بين العلماء والمؤلفين من أدلة ذلك ولو أنه أتيح له أن يحيا طويلاً في زمان مؤلفه لاستولى على بعض الشهرة التي نالها صفوة

(١) لقد أفدنا من وصف الكتاب مما كتبه الدكتور حسين نصار في كتابه «المعجم العربي نشاته وتطوره» الجزء الثاني من الصفحات ٤٣٥ — ٤٦٥.

(٢) دمية القصر تحـــ د/سامي العاني: ٢/٤٨٥.

(٣) انظر معجم الأدباء: ٣/٨٤، الوافي بالوفيات: ٧/٢٧٩، طبقات النحاة واللغويين: ٩٧، طبقات المفسرين للسيوطي: ٤، طبقات الداودي: ١/٦٠، هدية العارفين: ١/٦٩.

(٤) المعجم العربي، نشاته وتطوره: ٢/٤٦٢.

المجمل[١]»، وتابعه في رأيه هذا الدكتور حسين نصار فقال: «وبالرغم من هذه الفروق الشاسعة بين المقاييس والمجمل مال الناس إلى ثانيهما، وعنوا به كل عناية، ولم يلتفت كثير منهم إلى وجود الأول[٢]»، كذلك أضاف رأياً آخر هو: «أن ابن فارس ألف مقاييس اللغة قبل كتابه الصاحبي في فقه اللغة[٣]».

وقد خالف الزميل زهير عبد المحسن الأستاذين عبد السلام هارون والدكتور حسين نصار برأي له جديد، فقال: «إن ابن فارس الف الكتابين في وقت واحد[٤]»، وقد جاء بأدلة جديدة مختصرها ما يلي: أن ابن فارس تبع منهجاً واحداً في كتابيه، كذلك حدوث الاضطراب في ترتيب المواد وبعض الأبواب في كلا الكتابين، إضافة إلى وقوع الخلل في مواضع متشابهة من الكتابين ثم التشابه الكبير في مفردات ومواد بعض الأبواب، وختم أدلته بكثرة الشواهد الشعرية في مقاييس اللغة وحذف معظمها في مجمل اللغة وبهذه الوجوه أوافق الزميل زهير عبد المحسن على ما ذهب إليه.

وأضيف إلى ذلك أن ابن فارس في تناوله اللفظة في الكتابين أراد أن يستعمل الصحيح في كلام العرب في «مجمل اللغة» وتخصصه في كتاب «مقاييس اللغة»، بالاشتقاق وإرجاع كل كلمة إلى أصولها، ولو كان ابن فارس ألف (مجمل اللغة)، ثم (مقاييس اللغة) فلا حاجة أن يؤلف كتاباً آخر تحدث فيه عن الاشتقاق ألا وهو كتاب (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها). وهذا بالاضافة إلى أن ابن فارس أراد أن يطور فكرة النحت التي وضعها الخليل في العين وجاء ابن فارس وطورها وجعل لها باباً في كل كتاب من كتب (مقاييس اللغة).

---

(١) مقدمة المقاييس: ١/ ٤١

(٢) المعجم العربي: ٢/ ٤٧٦

(٣) المرجع نفسه: ٢/ ٤٧٧

(٤) مقدمة مجمل اللغة: ١/ ٥٤

المبحث الرابع

تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري[(١)]

بقي التأليف في المعاجم اللغوية الشغل الشاغل لجهود اللغويين، فأراد كل واحد منهم أن يجمع ألفاظ العربية ويضعها في كتاب، وكل منهم حاول أن يبتكر طريقة جديدة، فمنهم من قلد المتقدمين، فسار على من سبقه في المنهج، (كالقالي والزهري والصاحب بن عباد)، ومنهم من حاول أن يأتي بجديد في بناء المعجم ورتب التقليبات على أساس هجائي كابن دريد، ومنهم من ابتكر منهجاً جديداً خالف فيه اللغويين في طريقة عرضه المادة كالجوهري، فأراد أن يقرب اللغة إلى الباحثين وييسر لهم السبيل إلى الكلمة التي يقصدون، فألف كتابه وجمع فيه الصحيح حسب ما سمعه من العلماء وما شافه به العرب في البادية أثناء تنقلاته[(٢)].

منهجه

أطلق الجوهري على معجمه اسم الصحاح، لأنه أورد الألفاظ التي صحت عنده روايةً وسماعاً ودرايةً، وقد صرّح بمقدمته بذلك حيث بدأ بها كتابه، نوردها كاملة لقصرها، قال الجوهري: بعد الحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد (ﷺ)، «أما بعد فإني قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه، في ثمانية وعشرين بابا، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً، على عدد حروف المعجم وترتيبها، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول، بعد تحصيلها بالعراق روايةً، وإتقانها درايةً، ومشافهتي بها

---

(١) طبع في القاهرة طبعات قديمة ثم نهد الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار إلى تحقيقه، فنشره سنة ١٩٥٦ وطبع في دار الكتاب العربي وبستة أجزاء وأعاد نشره ثانية في بيروت سنة ١٩٧٩. وصدر عن دار العلم للملايين وبستة أجزاء أيضاً. وطبعه نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي وقدم له الشيخ عبد الله العلايلي وطبع في بيروت سنة ١٩٧٤ باسم «الصحاح في اللغة والعلوم».

(٢) مقدمة الصحاح ط بيروت ص ١٠١.

العرب العاربة، في ديارهم بالبادية، ولم آلُ في ذلك نصحاً ولا ادخرت وسعاً، نفعنا الله وإياكم به[١]».

الواضح من نص الجوهري أن كتابه ضم الصحيح والتزم به وقد أيده في ذلك السيوطي فقال: «أول من التزم الصحيح مقتصراً عليه الإمام أبو نصر إسماعيل الجوهري ولهذا سمى كتابه الصحاح[٢]». وخالف الدكتور حسين نصار كلام السيوطي، بأن الجوهري ليس أول من التزم الصحيح في معجمه بل التزمه قبله القالي والأزهري كما التزمه معاصره ابن فارس، وفرق أيضاً بين الصحاح وغيره، فقال: إن المعاجم الأخرى ذكرت غير الصحيح ونقدته[٣].وأوافق ما ذهب إليه الدكتور حسين نصار.

رتب الجوهري معجمه حسب الأبواب والفصول، فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والأول منها فصلاً وأشار بذلك في مقدمة كتابه: «... في ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً، على عدد حروف المعجم»، مثلاً باب الألف، فصل الألف ثم فصل الباء، ثم فصل التاء ففصل الثاء وهكذا إلى نهاية حروف المعجم، فالذي يبحث عن كلمة (الصبابة) مثلاً فإنه يرجع اللفظة إلى فصلها ويبحث عنها في باب الباء، فصل الصاد، فيجدها في مادة (صبب[٤])، وهكذا في بقية الألفاظ الأخرى، فهو في طريقته الجديدة ترك طريقة الخليل التي اتبعها في (العين) عندما رتبه على مخارج الحروف، وأعمل نظامه في ذكر الكلمة وما ينشأ عنها في القلب، وترك أيضاً تقسيم الكتاب على طريقة الألفبائي كما فعل ابن دريد في (الجمهرة)، وترك كل مناهج من تقدمه من اللغويين واتخذ نهجاً جديداً ابتكره، بترتيبه الصحاح على حروف المعجم واعتبار آخر حرف في الكلمة بدلا من الأول، وجعله الباب للحرف الأخير والفصل

---

(١) الصحاح: ٣٣/١.

(٢) المزهر: ٦٠/١.

(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره: ٤٨٥/٢.

(٤) الصحاح: ط القاهرة: ١٦١/١.

للأول[١]، فيكون بهذه الطريقة أن حشد في الباب كل الكلمات التي تتفق مع هذا النظام سواء كانت أفعال أو أسماء أو صفات.

وقد حشد الجوهري في كتابه عدداً كبيراً من الألفاظ، ليكون سهل المتناول لعامة الناس، بعد أن أتعبتهم طريقة الخليل ومن سار في نظام التقليبات، ثم نظام ابن دريد في (الجمهرة) على طريقة الألفبائي، وعلى أساس الأبنية مع مراعاة نظام التقليبات، وقد درج الجوهري في تصنيف معجمه هذا على نهج فريد ابتدعه ولم يسبقه إليه سابق في هذا النظام.

وقد أشار الأستاذ حمد الجاسر في مقالة كتبها ونشرها في مجلة (العرب[٢])، ذكر فيها سبق (البندنيجي ت ٢٨٤ هـ) في صناعة المعجم في نظام القوافي، وتبعه الجوهري بترتيب معجمه على منوال البندنيجي، وتبعه في هذا الرأي الدكتور خليل إبراهيم العطية، وقال: إن الجوهري ومن تبعه في اختيار هذا النظام أراد التيسير على الشعراء والكتاب النظم والنثر، فالكتاب كانوا يلتزمون السجع، ويلتزم الشعراء القوافي[٣]، وقد خالف الدكتور إبراهيم السامرائي الأستاذ حمد الجاسر، والدكتور خليل إبراهيم العطية فيما ذهبا إليه، وأضاف رأياً مخالفاً، فقال: كان صاحب كتاب (التقفية) يرمي إلى أن يصنف كتاباً يجمع فيه ما تيسر جمعه من الألفاظ التي تشترك في قافية واحدة ويقسمها تقسيماً يتساهل فيه مع الأبنية، وعلى هذا لا يمكن أن يكون كتاب (التقفية) معجماً يضم العربية على نحو (العين) و (الصحاح) وبذلك فإن كتاب (التقفية) لا يكون إلا معجماً خاصاً نظير كتب (القلب والإبدال) و (الهمز) و (المقصور والممدود)، وغيرها من المواد اللغوية.

أما صاحب (الصحاح) فقد رسم المنهج واضحاً، وعني بالأواخر عنايته بالأوائل من أصوات العربية. في حين أن كتاب التقفية لا يتصل بأي نظام وأي

(١) انظر مقدمة الصحاح، للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ص ١٢٠.

(٢) مجلة العرب، العدد السابع سنة ١٩٦٧، ص ٥٧٧ – ٥٨٨.

(٣) التقفية في اللغة: ٢٥.

منهج[١]. وقد رد الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار على رأي الدكتور خليل العطية بقوله: إن الجوهري حيث رتب صحاحه باعتبار أواخر الكلمات غير مقصور منه تيسير الأمر على الشعراء والكتاب، حتى يجدوا السجع وكلمات القوافي دون عناء.

بل أراد الجوهري أن يؤلف معجماً للناس دون أن ينظر إلى طائفة واحدة يؤثرها بعمله العظيم[٢].

ورد الدكتور خليل العطية على رأي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، بأن البندينجي رائد نظام القوافي في المعجم العربي، فقد كان شاعراً أراد أن يقفي الألفاظ فجمع منها جملة حسنة في معجمه الذي أنشأه كما ذكر في مقدمته للشعراء وأهل الأدب عامة.

ولئن كان الجوهري جمع في صحاحه الفصيح، فقد كان أيضاً هم البندينجي ولكن لم يكتب لمعجمه ذلك الشيوع المرجو[٣].

والذي أراه أن الجوهري بطريقته الجديدة أراد أن يكون مبتكراً رائداً على الرغم من اطلاعه على كتب المعاجم الأخرى، وقد عني بأواخر الكلمات وأوائلها من غير اهتمام لأوزانها أو ما هو قريب من أوزانها وصنف الكلمات المنتهية بقافية واحدة أي بحرف من الحروف الهجائية بحسب أوائلها[٤]، أما البندينجي فعلى الرغم من استعماله القافية، إلا أن ترتيب الحروف بحسب أوائلها غير مرتبة ومبوبة، مثل: «الأباء، الخباء، السباء، الهباء، الحرباء، العباء[٥]»، فقد تحول من الهمزة إلى الخاء ثم الهاء ثم عاد إلى الحاء ثم العين.

وقد لجأ الجوهري إلى ضبط اللفظة بالحركات، وهي طريقة لم يتبعها أحد

(١) مع المصادر في اللغة والأدب: ٢/٥٢ — ٥٣.
(٢) مقدمة الصحاح: (ط الثانية) بيروت: ١٢٢.
(٣) نظام القوافي في المعجم العربي، بين الجوهري والبندنيجي وابن قتيبة: ص ١٦، مقالة للدكتور خليل إبراهيم العطية، نشرها في مجلة كلية الآداب — جامعة البصرة. العدد العاشر، السنة التاسعة سنة ١٩٧٦.
(٤) مع المصادر في اللغة والأدب: ٢/٥٢.
(٥) التقفية في اللغة: ٣٨ — ٣٩.

قبله[١]، فإذا أراد ضبط لفظة معينة مثل: «القبطرية بالضم» و «كبر: بالضم» فمرة يضبط الحرف الأول، وأخرى يضبط الحرف الثاني، وإذا ضبط حرفين متتاليين أطلق عليهما التحريك، مثل قوله: «الشعث بالتحريك[٢]» و «القصر بالتحريك[٣]» وقال في ضبط الحرف الأول: «والجماد بالفتح[٤]» و «الرق بالكسر[٥]»وهكذا في بقية المعجم، وذكر أيضاً الكلمات الساكنة وحركة التسكين ويصرح بحركة الحرف الثاني أو سكونه عند الجهل به ويتركه إذا كان معلوماً وفي الأفعال ضبط الحرف الثاني منه مثال ذلك: «خطب: بالضم[٦]» و «حرق شعره: بالكسر[٧]».

وبهذه الطريقة استطاع الجوهري من خلالهما أن يتجنب التصحيف الذي يحدث في الكلمة نتيجة أخطاء النساخ، وهي حالة أصابت المعاجم التي وضعت قبل الصحاح نتيجة عدم ضبطها بالشكل.

ومن مزايا الصحاح أن مؤلفه يعيد ذكر المادة إذا تعددت معانيها، مثال ذلك: «الفند، بالتحريك: الكذب وقد أفند إفناداً، إذا كذب، والفند: ضعف الرأي من هرم[٨]» وأشار في كثير من الأحيان إلى النادر والغريب والمتروك من اللغات مثل قوله: «الكمأة: واحدها كمء على غير قياس وهو من النوادر[٩]»، وقوله في ذكر المجهول من اللغات «جفأت القدر: كفأتها أو أملتها فصببت ما فيها، ولا تقل: أجفأتها وأما الذي في الحديث: «فأجفؤوا قدورهم بما فيهم» فهي

---

(١) مقدمة الصحاح: ١٢٥، وأخالف الأستاذ العطار بذلك، حيث أن ضبط اللفظة بالحركات سبقه فيه ابن فارس في (مجمل اللغة). انظر مجمل اللغة: ١/٤٢.
(٢) الصحاح: ١/٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٧٩٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٤٥٩.
(٥) المصدر نفسه: ٣/١٤٨٣.
(٦) المصدر نفسه: ١/١٣١.
(٧) المصدر نفسه: ٤/١٤٥٧.
(٨) الصحاح: ٢/٥٢٠.
(٩) المصدر نفسه: ١/٧٠.

لغة مجهولة[١]».

وذكر أيضاً المادة إذا كانت في أكثر من لغة فنبه بذلك مثل قوله: «أمرته بالمد، وأمرته لغتان بمعنى كثرته[٢]»، وأحياناً يذكر اسمَ القبيلة التي تتكلم باللهجة: «والعجعجة في قضاعة، يحولون الياء جيماً مع العين، يقولون هذا راعج خرج معج، أي هذا راعي خرج معي[٣]»، وقوله أيضاً: «المعصوب في لغة هذيل: الجائع[٤]»، وذكر الجوهري المعرب والمولد والأضداد والمشترك مثل قوله: «الطنبور: فارسي معرب، والطنبـــار: لغة[٥]».

وضم كتابه أيضاً الألفاظ الإسلامية والمولدة مع التنبيه عليها قال: «قال ابن دريد: الصفران: شهران من السنة سمى أحدها في الإسلام المحرم[٦]»، وقوله أيضاً: «الجبر: خلاف القدرة، قال أبو عبيد: هو كلام مولد[٧]». ومن استعماله الأضداد قوله: «الغابر: الباقي، والغابر: الماضي، وهو من الأضداد[٨]».

ومن المزايا الأخرى لكتاب الصحاح أن مؤلفه عني بمسائل النحو والصرف مع ذكره للعلل النحوية والصرفية مع الاستعانة بآراء العلماء قوله: «البلبل، يعندل، إذا صوت، قال سيبويه: إذا كانت النون ثانية فلا تجعل زائدة إلا بثبت[٩]»، وأحياناً يناقشهم فيما يذهبون إليه فقال: «معدّ: أبو العرب، وهو معد بن عدنان وكان سيبويه يقول: الميم من نفس الكلمة لقولهم تمعدد، لقلة تمفعل في الكلام وقد خولف فيه، وهو تمعدد الرجل، أي تزيا بزيهم أو تنسب إليهم أو تصير على عيش معد[١٠]».

مصادره

كثرت مصادر الصحاح التي استقى فيها الجوهري مادته وتعددت أنواعها،

---

(١) المصدر نفسه: ٤١/١.
(٢) المصدر نفسه: ٥٨١/٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣٢٨/١.
(٤) المصدر نفسه: ١٨٢/١.
(٥) المصدر نفسه: ٧٢٦/٢.
(٦) المصدر نفسه: ٧١٤/٢.
(٧) الصحاح: ٦٠٨/٢.
(٨) المصدر نفسه: ٧٦٥/٢.
(٩) المصدر نفسه: ١٨٩/١.
(١٠) المصدر نفسه: ٥٠٦/٢

وكان لتجواله من أجل جمع مادته أثره في هذا التعدد، حيث تلقى اللغة من أفواه الأعراب، فقد شافهم في بواديهم، وطاف ببلاد ربيعة ومضر، ثم سافر إلى الحجاز، والتقى في بغداد بأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وبأبي سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) وغيرهم من اللغويين الذين زخر بهم هذا القرن، فكانت هذه الرحلات مصدراً من مصادر كتابه ساعدت في إغناء مادته، وهناك مصادر أخرى تناثرت أسماؤها في ثنايا الكتاب، ويقف في مقدمة هذه المصادر: القرآن الكريم، حيث استشهد بآيات كثيرة من آيه[1]. وكان الحديث النبوي الشريف[2] مصدراً آخر نهل منه الجوهري واستشهد بأحاديث كثيرة فعزز كتابه بهذين المصدرين المهمين.

أما استشهاده بالشعر والرجز فكان لهما نصيب وافر عنده، فالجوهري لم يعتمد على طبقة معينة من الشعراء استشهد بشعرهم بل استشهد بشعراء العصور المختلفة من جاهليين وغيرهم، أمثال: امرئ القيس[3]، وزهير بن أبي سلمى[4]، وعمرو بن كلثوم[5]، وأوس بن حجر[6]، وغيرهم، ومن الإسلاميين أمثال: عبد الله بن الزبعرى[7]، والأعشى[8]، ومن الأمويين أمثال: الكميت[9]، وعمرو بن أبي ربيعة[10]، وعبد الله بن قيس الرقيات[11]، وذي الرمة[12]، ومن العباسيين أمثال:

(١) الصحاح: ١/٢٧٥، ٣/١١٣٥، ٤/١٣٤٩، ٦/٢٣٩١.
(٢) المصدر نفسه: ١/٢٢٣، ٢/٢٢.
(٣) الصحاح: ٢/٥٧٧، ٥/١٨٥٨.
(٤) المصدر نفسه: ٥/١٨٩٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٥١١، ٥/١٣٣٤.
(٦) المصدر نفسه: ٥/١٨٩١، ٦/٢١٥٤.
(٧) المصدر نفسه: ٢/٥٩٧.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٥٧٧، ٥/١٩٩٦.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٦٥٠، ٦/٢٤٣٢.
(١٠) المصدر نفسه: ٢/٥٩٨.
(١١) المصدر نفسه: ٢/٢٣٦١.
(١٢) المصدر نفسه: ٢/٤٤٩.

ابن هرمة[١]، وابن ميادة[٢]، واستشهد أيضاً بالأرجاز أمثال: رؤبة[٣] والعجاج[٤]، وكان شأنه في نسبة شواهده شأن غيره من اللغويين، إذ إنه ينسب الشعر مرة ويغفله مرة أخرى[٥].

واقتبس الجوهري من العلماء الذي سبقوه سواء من أهل المعاجم أم من أهل اللغة، أمثال: الخليل[٦]، والأصمعي[٧]، وابن السكيت[٨]، وأبي زيد[٩]، والكسائي[١٠] والفراء[١١]، وثعلب[١٢] وابن دريد[١٣] وغيرهم من اللغويين الذين تناثرت أقوالهم في ثنايا الكتاب، وكذلك استشهد بالنثر وأقوال الحكماء والأمثال.

وخلاصة القول، فإن الجوهري قد خطا خطوة جديدة في سلسلة بناء وتطور المعجم اللغوي في القرن الرابع الهجري والذي يعد حركة بارعة في حركة بناء المعجم العربي، وقد وصل فيه قمة رفيعة من النهج والترتيب ومعالجته للمواد، وحسبه أنه رائد منهج ومؤسس نظام التأليف المعجمي.

(١) المصدر نفسه: ٢/٥٤٥.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٥٦٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣/٨٦٦.
(٤) المصدر نفسه: ٢/٥٦٣.
(٥) المصدر نفسه: ١/٢٣٠، ٢/٤٥٤، ٣/١٢٦٢، ٤/١٣٣٨، ٥/١٨٥٤.
(٦) الصحاح: ٢/٥١٩، ٥/١٨٦٩.
(٧) المصدر نفسه: ٢/٥١٨، ٣/٨٩٢، ٥/١٨٨٢.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٤٥١، ٣/٩٧٤، ٥/١٧٣٩.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٤٦٤، ٥/١٧٤٢.
(١٠) المصدر نفسه: ٢/٦١١، ٣/٩٠٠.
(١١) المصدر نفسه: ٢/٤٩١، ٣/٨٩١، ٥/١٧٥٠.
(١٢) المصدر نفسه: ٢/٤٥٣، ٣/٩٦١.
(١٣) المصدر نفسه: ٣/١٠٥٧.

الفصل الخامس

المبحث الأول: النقد اللغوي

المبحث الثاني: الأصوات اللغوية.

المبحث الثالث: فقه اللغة.

المبحث الأول
النقد اللغوي

يعد النقد اللغوي أول ما عرفته العربية من النقد العلمي القائم على التعليل وذكر الأسباب[1]، وبذلك مثل جانباً من جوانب عناية العرب بلغتهم[2]، وقد عرف النقد في العصر الجاهلي عندما كانت تعقد المنتديات في أسواق العرب المعروفة، غير أن ما يدور فيها من نقد كان قائماً على الذوق الفني المحض خال من التحليل والاستنباط[3]، فعد ذلك النمط من النقد بداية أصيلة لتاريخ النقد عند العرب.

بيد أن جانباً آخر من النقد الجاهلي كان منصباً على لغة الشاعر وصياغته اللفظية[4]، متعلقاً أيضاً بمعاني المفردات، فقد ينقل الشاعر لفظة من مجالها الحقيقي إلى مجال آخر مجازي، وهذا الأمر بطبيعته يدعو إلى إثارة المتلقين ولفت أنظارهم[5].

أما في العصر الإسلامي، وبعد نزول القرآن الكريم وانتشار آياته وما تحمله من بلاغة معجزة، وفضلاً عن أقوال الرسول (ﷺ)، التي أثارت انتباه العرب المسلمين ورفدتهم بالمعاني العظام، دعتهم إلى التعلم، وما أحدثته من نظم هزت كيان المجتمع في كل نواحيه، وكان من الطبيعي أن يمتد شعاع هذه النهضة، إلى اللغة والنقد، غير أن ذلك لم يمتد إلى اتساع أفق الناظرين إلى اللغة، إذ بقيت النظرة النقدية عندهم قائمة على الفطرة والذوق مع كونها قد حددت بخصائص الصياغة والمعاني[6]. وما أن انتشر الإسلام، وتوسعت رقعته، وظهرت بوادر اللحن، فكان أمرا طبيعيا أن تتسع دائرة النقد اللغوي، لدرء الخطر عن اللغة، وحمايتها من التحريف والفساد، وتصفية متنها مما يعتريه من دخيل وما يكتنف

---

(١) في تاريخ النقد: ١١٧.

(٢) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع: ٢٤.

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٨.

(٤) النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع: ٢٨.

(٥) مثل نقد طرفة بن العبد. انظر: المجازات القرآنية ومناهج بحثها دراسة بلاغية نقدية: ١/ ١٨، رسالة دكتوراه – الدكتور كامل حسن البصير – سنة ١٩٧٦، محفوظة في المكتبة المركزية - جامعة بغداد.

(٦) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٣٣.

دلالتها من اضطراب، ومع ذلك كان النقد ناشئاً يافعاً إلى أواخر القرن الأول، وبعد أن أطل القرن الثاني، ظهر نقاد لغويون، وضعوا بوادر النقد القائم على المزاج والاستعداد والثقافة[١]، فأحس النقاد اللغويون بقوة سلطانهم على الشعراء، قال الخليل (ت ١٧٥ هـ) مخاطباً ابن مناذر (ت ١٩٨ هـ) «إنما أنتم معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم، ورضيت قولكم نفقتم وإلا كسدتم[٢]»، واستمر اللغويون في رغبتهم الشديدة في مراقبة تطبيق الشعراء لقواعد النحو واللغة، ومتابعة ما في شعرهم من مواطن خطأ تشير إلى خروج واضح على أسس اللغة الصحيحة[٣]، وقواعدها الأسلوبية واللغوية المقررة[٤].

وبهذا فإن النقاد اللغويين نسوا أذواقهم، ولم يصدروا عنها في درس الشعر وتحليله، بقدر ما يتبعون الشعراء عن مخالفاتهم اللغوية، ومن أمثلة هذا النقد ما احتج به ابن أبي اسحق على الفرزدق بقوله:

مستقبلين شمال الشام تضربهم   بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنـــا تلقى وأرجلنا   على زواحف تزجى مخهاريـــر

فاحتج أبو إسحاق فقال: «إنما هو رير بالضم وكذلك قياس النحو[٥]» وهناك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها ولسنا بصدد تعديدها.

أما النقد في القرن الثالث فقد اتسع أفقه من خلال الكتب النقدية وصار عظيماً، فتعددت مناحيه وطرائقه، واختلفت وجهات النظر فيه، وقد طالعنا ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١ هـ) بكتاب نقدي علمي حاول أن يقنن النظرية المدرسية في النقد[٦]، في كتابه «طبقات فحول الشعراء[٧]». وتوالى التأليف في

(١) انظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٦٠.

(٢) الأغاني (ط بيروت): ١٨/١٨٤.

(٣) النقد عند اللغويين في القرن الثاني: ٢٠٥.

(٤) نقد الشعر: ١٧.

(٥) الموشح: ١٥٦.

(٦) مقالات في تاريخ النقد العربي: ٦٤.

(٧) حققه الأستاذ محمود محمد شاكر، ونشر مرتين، الأولى في القاهرة سنة ١٩٥٢، وطبعته دار المعارف، والثانية نشرت في القاهرة أيضاً سنة ١٩٧٥، وطبعته مطبعة الترقي.

كتب النقد، في كتب النقد، فجاء بعده الجاحظ[١] (ت ٢٥٥ هـ) بآراء نقدية، كما ألف ابن قتيبة[٢] (ت ٢٧٦ هـ) كتاباً نقدياً هو «الشعر والشعراء[٣]».

أما في نهاية القرن الثالث فقد ظهر تياران لغويان، مثلاً مدرسة تخرج فيها علماء أجلاء، حفظوا آراء شيوخهم وتمثل اللغويون بالمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وثعلب (ت ٢٩١ هـ) ومن تخرج على أيديهما من علماء زخر بهما القرن الرابع فكانت آثارهما متعددة في علوم العربية، ومن هذه العلوم النقد اللغوي. حيث نشأ على أرض خصبة، بعد أن وصل النقد اللغوي الذي نشأ بين اللغويين أنفسهم، وما تمخض عنه من مؤلفات نقدية مستقلة بهذا الجانب من اللغة.

لقد كان التنافس العلمي بين العلماء، على أشده في القرن الرابع، فقد أخذت الخصومة بين المدرستين تنشط في بغداد، بل ذهبوا إلى مناقشة الآثار اللغوية والرد على أوجه الخلاف والمناظرة فيها، والاستدراك على مصنفات من سبقهم، فنشط النقد اللغوي على أثر ذلك، وكثرت المصنفات، وتشير المصادر إلى أن أول من ألف في النقد اللغوي في القرن الرابع الزجاج[٤] (ت ٣١٠ هـ)، وابن دريد[٥] (ت ٣٢١ هـ) ألف (تقويم اللسان)، ونفطويه[٦] (ت ٣٢٣ هـ) ألف كتاب (الرد على المفضل في نقضه على الخليل) وألف أبو عمر الزاهد

---

(١) انظر الحيوان: ١/٦٧، ٢/١٣٠، البخلاء: ١٩٦.

(٢) طبع مرات عديدة آخرها بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، وطبعت في القاهرة سنة ١٩٦٦.

(٣) انظر مقدمة الشعر والشعراء ط القاهرة.

(٤) معجم الأدباء: ١/١٤٣، والكتاب معروف باسم (استدراك الزجاج على الفصيح) وقد أورد ياقوت جزءا من الرد في معجم الأدباء: ١/١٣٧ — ١٤٣، وأورد السيوطي جزءا من الرد في المزهر: ١/٢٠٢ — ٢٠٦، وفي الأشباه والنظائر: ٤/١٦٢ — ١٦٥، وتوجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (٢١) نخوش، ويقع في أربع صفحات انظر الزجاج ومذهبه في النحو: ٨٤، وابن درستويه: ١٦١.

(٥) إنباه الرواة: ٣/٩٧، معجم الأدباء: ١٨/١٣٦، وقال عنه: (كتاب تقويم اللسان على مثال كتاب ابن قتيبة لم يجرده من المسودة فلم يخرج منه شيء يعول عليه). وهو من الكتب المفقودة. انظر لحن العامة: ٨٤.

(٦) الفهرست: ٩٠.

(ت ٣٤٥ هـ) (فائت الفصيح) و (فائت العين[١]) و (فائت الجمهرة والرد على ابن دريد[٢])، وألف ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) (الرد على ابن خالويه في الكل والبعض[٣]) و (الرد على المفضل في الرد على الخليل[٤]) و (الرد على ابن مقسم في اختياره[٥]) و(الرد على الفراء في المعاني[٦]).

و(الرد على من نقل كتاب العين عن الخليل[٧])، وألف الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) كتاب (الرد على الليث[٨])، وألف ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) كتاب (الهاذور[٩]) في الرد على أبي علي على كتابه (الإغفال).

ونبَّهَ علي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥ هـ)، على أغاليط الرواة، وألف أبو علي (ت ٣٧٠ هـ) كتاب (الإغفال) رد فيه على معاني القرآن للزجاج، وكتاب (نقض الهاذور[١٠]) للرد على ابن خالويه في كتابه (الهاذور)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ألف (تمام الفصيح).

وقد وصلت إلينا مطبوعة من هذه المجموعة كتب: الزاهد، ابن درستويه، علي بن حمزة، أبي علي، ابن فارس.

(١) طبقات النحاة واللغويين: ١٧٥، معجم الأدباء: ٢٣٢/١٨، إنباه الرواة: ٣/ ١٧٧، مرآة الجنان: ٣٣٧/٢.
(٢) الفهرست: ٣٨، معجم الأدباء: ٢٣٢/١٨، بغية الوعاة: ١٦٦/١، ونقل منه الصفاني وابن منظور والبغدادي.
(٣) الفهرست: ٦٣، إنباه الرواة: ١١٤/٢، إيضاح المكنون: ٢٩٨/٢.
(٤) الفهرست: ٦٣، المزهر: ٨٦/١.
(٥) الفهرست: ٦٣، إنباه الرواة: ١١٤/٢، إيضاح المكنون: ٤٩٨/٢.
(٦) الفهرست: ٦٣، إنباه الرواة: ١١٤/٢، طبقات النحاة واللغويين: الورقة: ١٦٧.
(٧) الفهرست: ٦٣، هدية العارفين: ٤٤٦/١.
(٨) معجم الأدباء: ٢٠٩/٧، وانظر تهذيب اللغة: ١٥/١.
(٩) خزانة الأدب: ٩/١، ٣٩، ٣٣٤/٤، وانظر ابن خالويه وجهوده في اللغة: ٣٧.
(١٠) خزانة الأدب: ٤٥٢/٢، وانظر أبو علي الفارسي: ١٧٥.

فائت الفصيح لأبي عمر الزاهد[١]

منهجه

الكتاب خال من المقدمة ومن منهج الزاهد سوى كلامه عن قراءة الكتاب عن أبي موسى الحامض فقال: «قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب، قرأته على أبي موسى الحامض بعد موت ثعلب حين جمعته وألفته[٢]»، قسم الزاهد كتابه على سبعة وعشرين باباً:

١. باب فعل يفعل.

٢. باب فعِل يفعل.

٣. باب فعل يفعل.

٤. باب فعل يفعل.

٥. باب فعِلت وفعلت باختلاف المعنى.

٦. باب ما لا ينطق منه إلا بفعل.

٧. باب فعلت بغير ألف.

٨. باب ما يقال فيه أفعلت.

٩. باب من الهمز.

١٠. باب ما يهمز ولا يهمز.

١١. باب فعلت و أفعلت باختلاف المعنى.

١٢. باب ما يقال بحرف الخفض.

١٣. باب.

١٤. باب ما يفتح أوله.

١٥. باب ما يفتح ثانيه مع فتح أوله.

١٦. باب ما يكسر أوله.

١٧. باب آخر.

---

(١) حققه الدكتور محمد عبد القادر أحمد ونشره في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد التاسع عشر العدد الثاني لسنة ١٩٧٣.

(٢) مجلة معهد المخطوطات: ٣٣٨.

أما الأبواب (من الثمانية عشر إلى الباب السابع والعشرين) فإنها خالية من ذكر العناوين ويكتفي بذكر كلمة باب فقط.

وطريقته في عرض المادة هي أن يذكر الباب والعنوان ثم يشرح اللفظة التي تدخل ضمن الباب الذي وضعه إذا كانت تحتاج إلى تفسير وإذا لم تكن في حاجة إلى ذلك فإنه يكتفي بذكرها والألفاظ التي يذكرها لا توجد في كتاب الفصيح.

أما الأبواب التي ذكرها الزاهد فقد خلا منها كتاب ثعلب وليست أبواب (الفصيح) كلها لها نظائرها في كتاب (فائت الفصيح)، بل إن هناك أبواباً انفرد بها الزاهد، أما اتفاقه مع أستاذه فقد ظهر في عشرة أبواب فقط[١].

مصادره

تتلمذ الزاهد على أبرز علم من أعلام العربية (ثعلب) ودامت الصحبة بينهما أربعين سنة حسب ما تذكره المصادر وأن هذه الصحبة الطويلة من الزمن أعطت (الزاهد مكانة علمية واسعة حيث خلف أستاذه للتدريس في بعده وأصبح مجلسه مكتظاً بالأشراف والكتاب وأهل اللغة والأدب ليسمعوا منه كتب ثعلب[٢])، وملكته اللغوية هذه تمكن من إفراغ كسبه اللغوي في كتابه (فائت الصحيح)، فقد اعتمد في تفسيره الألفاظ على ثقافته اللغوية الواسعة حيث مثلت المصدر الرئيسي في كتابه إضافة إلى روايته الكثيرة عن (ثعلب عن ابن الأعرابي) وكثرة استشهاد بأقوالهما، أما مصادره الأخرى فقد اقتصرت على الحديث النبوي الشريف والشعر الذي أورد بعضه منسوباً إلى قائله وبعضه الآخر غير منسوب واستشهد أيضاً بالأمثال العربية أما أقوال اللغويين فقد استشهد بها أمثال الأصمعي وابن الأعرابي وأبي عبيدة والمبرد، وبعد فإن كتاب (فائت الصحيح) من الكتب النقدية اللغوية التي تنبه الزاهد بها ما فات ثعلب من (فصيح الكلام)، فضلاً عن اختلافه مع أستاذه، فقد أضاف أبواباً جديدة افتقر إليها كتاب (فصيح ثعلب).

---

(١) انظر مجلة معهد المخطوطات العربية: م ١٩ ع ٢ ص ٣٣٣.

(٢) المنتظم: ٥/٢٤٥.

تصحيح الفصيح لابن درستويه[١]

يعد كتاب (تصحيح الفصيح) من أوائل الشروح التي تناولت (الفصيح) لثعلب (ت ٢٩١ هـ) وكان ابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) من الشراح الأوائل له لذلك بات كتابه من كتب النقد اللغوي المهمة، حيث ظهرت شخصية ابن درستويه جلية في كتابه وهو الثقة المشار إليه بين الأقران في اللغة بالبنان[٢].

منهجه

بدأ ابن درستويه كتابه بمقدمة وجيزة تحدث فيها عن كتاب (الفصيح) وما تضمنه من مادة لغوية، بعدها تحدث عن منهجه فقال: «فشرحنا لمن عني بحفظه، معاني أبنيته، وتصاريف أمثلته، ومقاييس نظائره، وتفسير ما يجب تفسيره من غريبه واختلاف اللغات فيه دون مالا يتعلق به وبينا الصواب والخطأ منه ونبهنا على مواضع السهو والإغفال من مؤلفه ولتتم فائدة قارئه وتكثر المنفعة له فيه ويعرف كثيراً من علل النحو وضروباً من الأبنية وتصاريف صحيح اللغة ومعتلها ووجوهاً من المجازات والحقائق والتشبيهات والاستعارات المؤدية إلى علم كثير من كتاب الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ وسائر مخاطبات بلغاء العرب وشعرائها والله عز وجل موفقنا لذلك كله وله الحمد كثيراً[٣]».

وبعد أن تحدث عن منهجه بدأ يذكر الأبواب وهي:

١. تصحيح الباب الأول: وهو باب فعلت بفتح العين.

٢. تصحيح الباب الثاني: وهو باب فعلت بكسر العين.

٣. تصحيح الباب الثالث: وهو باب فعلت بغير ألف.

٤. تصحيح الباب الرابع: وهو باب فعلت بضم الباء.

٥. تصحيح الباب الخامس: وهو باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.

---

(١) حققه الدكتور عبد الله الجبوري، وطبع في رئاسة ديوان الأوقاف بغداد، وصدر منه الجزء الأول سنة ١٩٧٥. وبقية الأجزاء ما زالت مخطوطة في مكتبة الدكتور عبد الله الجبوري.

(٢) تصحيح الفصيح: ١/٨١.

(٣) تصحيح الفصيح: ١/١٠٤.

٦. تصحيح الباب السادس: وهو المترجم بباب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى.

٧. تصحيح الباب السابع: وهو المترجم بباب أفعل بالألف.

٨. تصحيح الباب الثامن: وهو المترجم بباب ما يقال بحروف الخفض.

٩. تصحيح الباب التاسع: وهو المترجم بباب ما يهمز من الفعل.

١٠. تصحيح الباب العاشر: وهو الباب المترجم بباب المصادر.

١١. تصحيح الباب الحادي عشر: وهو في بعض النسخ فصل من باب المصادر الذي قبله[١].

١٢. تصحيح الباب الثاني عشر[٢].

١٣. تصحيح الباب الثالث عشر: وهو المترجم بباب ما جاء وصفاً من المصادر[٣].

١٤. تصحيح الباب الرابع عشر: وهو المترجم بباب المفتوح أوله من الأسماء[٤].

١٥. تصحيح الباب الخامس عشر: وهو المترجم بباب المكسور أوله[٥].

١٦. تصحيح الباب السادس عشر: وهو المترجم بباب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى[٦].

١٧. تصحيح الباب السابع عشر: وهو المترجم بباب المضموم أوله[٧].

١٨. تصحيح الباب الثامن عشر: وهو المترجم بباب المفتوح أوله والمضموم باختلاف المعنى[٨].

---

(١) إلى نهاية هذا الباب ينتهي الجزء الأول من المطبوع لتصحيح الفصيح: ١/٤١٤.

(٢) تصحيح الفصيح: الورقة ١٠١أ.

(٣) المصدر نفسه: الورقة ١٢٢أ.

(٤) المصدر نفسه: الورقة ١٢٨أ.

(٥) المصدر نفسه: الورقة ١٤٠أ.

(٦) المصدر نفسه: الورقة ١٥٣ب.

(٧) المصدر نفسه: الورقة ١٦٤ب.

(٨) المصدر نفسه: الورقة ١٧٢ب وفي فصيح ثعلب (٦٣) المضموم أوله والمفتوح...

١٩. تصحيح الباب التاسع عشر: وهو المترجم بباب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى[١].

٢٠. تصحيح الباب العشرين: وهو المترجم بباب ما يثقل و يخفف باختلاف المعنى[٢].

٢١. تصحيح الباب الواحد والعشرين: وهو المترجم بباب المشدد[٣].

٢٢. تصحيح الباب الثاني والعشرين: وهو المترجم بباب المخفف[٤].

٢٣. تصحيح الباب الثالث والعشرين: وهو المترجم بباب المهموز[٥].

٢٤. تصحيح الباب الرابع والعشرين: وهو باب ما يقال للمؤنث بغير هاء[٦].

٢٥. تصحيح الباب الخامس والعشرين: وهو باب ما أدخلت فيه الهاء من وصف المذكر[٧].

٢٦. تصحيح الباب السادس والعشرين: وهو باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء[٨].

٢٧. تصحيح الباب السابع والعشرين: وهو باب ما الهاء فيه أصلية[٩].

٢٨. تصحيح الباب الثامن والعشرين: وهو المترجم بباب آخر ما تلحن فيه العامة[١٠].

٢٩. تصحيح الباب التاسع والعشرين: وهو المترجم بباب ما جرى مثلاً

(١) المصدر نفسه: الورقة ١٧٧أ.

(٢) المصدر نفسه: الورقة ١٨١أ.

(٣) المصدر نفسه: الورقة ١٨٣ب.

(٤) تصحيح الفصيح: الورقة ١٨٨ب.

(٥) المصدر نفسه: الورقة ١٩٢أ.

(٦) المصدر نفسه: الورقة ١٩٧أ.

(٧) المصدر نفسه: الورقة ٢٠٣أ.

(٨) المصدر نفسه: الورقة ٢٠٥أ.

(٩) المصدر نفسه: الورقة ٢٠٦ب.

(١٠) المصدر نفسه: الورقة ٢٠٨ب.

كالمثل[١].

٣٠. تصحيح الباب الثلاثين: وهو المترجم بباب ما جاء بلغتين[٢].

٣١. تصحيح الباب الواحد والثلاثين: وهو المترجم بباب حروف منفردة[٣].

٣٢. تصحيح الباب الثاني والثلاثين: وهو المترجم بباب من الفرق[٤].

وطريقته في شرح المادة هي أن يذكر الباب أولا وبعدها عنوان الباب مثل قوله: «تصحيح الباب الأول وهو باب فعلت بفتح العين[٥]».

وقوله: «تصحيح الباب الخامس عشر وهو المترجم بباب المكسور أوله[٦]» وهكذا إلى نهاية الأبواب التي ذكرها ثعلب في فصيحه وبعد أن يذكر العنوان يعقبه بالحديث عن محتوى الباب معرفاً وشارحاً ما يحتويه مثل قوله في تصحيح الباب الأول وهو (باب فعلت بفتح العين) حيث قال: «اعلموا أن كل ما ماضيه من الأفعال الثلاثية على فعلت بفتح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا حروف الحلق فإنه يجوز في مستقبله يفعل -بضم العين- ويفعل -بكسرها- كقولنا ضرب يضرب، وشكر يشكر، وليس بأحدهما أولى به من الآخر، ولا فيه عند العرب إلا الإحسان والاستخفاف[٧]».

وقوله أيضاً في تصحيح الباب الرابع عشر وهو (باب المفتوح أوله من الأسماء) «هذا باب قد خلط فيه أبواباً مختلفة كان حقها أن نصنفها على مراتبها فلم يفعل ذلك وجمعها في باب ما يقع أوله مما تلحن العامة فيه فتكسره أو تضمه والفتح الصواب، ومنه ما يجوز كسره، وإن كان الفتح أجود ونحن نبين من كل

(١) المصدر نفسه: الورقة ٢١٠أ.

(٢) تصحيح الفصيح: الورقة ٢١٨ب.

(٣) المصدر نفسه: الورقة ٢٢٧ب.

(٤) المصدر نفسه: الورقة ٢٤٦أ.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٠٥.

(٦) المصدر نفسه: الورقة ١٤٠أ.

(٧) المصدر نفسه: ١/١٠٥.

ذلك ما يجب تبيينه[١]».

وهكذا نهج النهج نفسه في جميع الأبواب الأخرى وقد نبّه على المواضع التي أخطأ فيها ثعلب في وضع الألفاظ تحت كل باب من أبواب كتابه فقال ابن درستويه: «وقد غلط ثعلب في وضعه قولهم، هرقت الماء، في هذا الباب لأنه قد ترجمه بباب: فعلت، بغير الف، وإنما هرقت من باب أفعلت[٢]».

وكان عندما ينتهي من شرح الباب يشير في نهايته إلى ذلك مثل قوله: «فهذا آخر الباب الثاني[٣]» «فهذا آخر الباب[٤]» «فهذا آخر تفسير هذا الباب[٥]».

وقد سار على هذا المنوال في جميع أبواب الكتاب.

مصادره

كثرت وتعددت مصادر ابن درستويه في (تصحيح الفصيح) بالإضافة إلى ثقافته اللغوية الواسعة فمثل القرآن الكريم من مصادره الرئيسة حيث ضم عدداً ضخماً من آي الذكر الحكيم ولم يخل باباً من شواهد قرآنية حيث بلغت خمساً وأربعين ومائتي شاهد كما أحصاها الدكتور عبد الله الجبوري[٦].

وكان إلى جانب القرآن الكريم ذكر لوجوه القراءات القرآنية بوجهها على وفاق المذهب الذي ذهب إليه.

أمـــا الحـــديث النبوي الشريف فإنه يعد من مصادره الأخرى في (تصحيح الفصيح) حيث بلغت شواهده سبعة وثمانين شاهداً[٧]. أما الشواهد الشعرية فقد استشـــهد ابـــن درستويه كثيراً بالشعر والرجز حتى يعد من أكثر المصادر التي تطالعـــنا في كتاب الفصيح حيث بلغت ثلاثة وثمانين وخمسمائة شاهد من الشعر

---

(١) تصحيح الفصيح: الورقة ١٢٨أ.

(٢) المصدر نفسه: ١/١٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ١/١٦٢.

(٤) المصدر نفسه: ١/٣١٥، ١/٣٨٢.

(٥) المصدر نفسه: الورقة ١٢١أ.

(٦) في كتابه تصحيح الفصيح: ١/٧٢.

(٧) تصحيح الفصيح: ١/٧٣.

والرجـــز[١]، وقد استشهد بكلام الشعراء في العصور المختلفة، فاستشهد بكلام الجاهلـــيين أمـــثال: امـــرئ القيس[٢]، وطرفة[٣]، وزهير[٤] والنابغة الذبياني[٥]، وعنتـــرة[٦]، والأعشى[٧]، وغيرهم، ومن المخضرمين أمثال: حسان بن ثابت[٨]، والحطيـــئة[٩]، ولبيد[١٠]، والشماخ[١١]، وسواهم من الأمويين أمثال: جرير[١٢]، والفـــرزدق[١٣]، والكمـــيت[١٤]، وعمـــر بـــن أبي ربـــيعة[١٥]، والطرماح[١٦]، وذي الرمة[١٧]، وغيرهم، كما استشهد بكلام المولدين أمثال ابن هرمة[١٨]، ومن الرجازين رؤبة[١٩]، والعجاج[٢٠]، وأبي النجم[٢١]، واستشهد بأشعار كثيرة تركها

(١) المصدر نفسه: ١/٧٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٧١. والورقة: ١١٠أ، ٢٤١ب.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٥٥. والورقة: ١٣٠ب، ١٨٠أ.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٥٨ والورقة: ١٧٠ب، ٢١٤ب.
(٥) المصدر نفسه: ١/١١٧. والورقة: ١١٧أ، ١٣٣ب.
(٦) المصدر نفسه: الورقة: ٢١٧ب، ٣١٧أ.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٦١، ١/٢٣٠. الورقة: ١٤٣أ، ١٦٦ب.
(٨) المصدر نفسه: الورقة: ١٣٧أ، ١٧٦ب.
(٩) المصدر نفسه: ١/٣٠٩. الورقة: ١١٤أ، ١٦٦ب.
(١٠) المصدر نفسه: ١/١٩٤. الورقة: ٢٣٨أ، ٢٥١أ.
(١١) المصدر نفسه: ١/٢٤٤. الورقة: ١٢٢أ، ٢٠٦ب.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٤٩. الورقة: ١٤٨ب، ٢١٩ب.
(١٣) تصحيح الفصيح: ١/ ١٩٠. الورقة: ١٦٨، ٢٣٧ب.
(١٤) المصدر نفسه: ١/٧٧. الورقة ١٧٧ب.
(١٥) المصدر نفسه: ١/٢٣١. الورقة: ١١٧ب، ٢٣١أ.
(١٦) المصدر نفسه: ١/ ٢٨٧. الورقة: ٢١٢ب، ١٨٧أ.
(١٧) المصدر نفسه: ١/٣٠٧، ١/٣٥٢. الورقة: ١١٨ب، ١٦٢أ.
(١٨) المصدر نفسه: ١/٣٥٢. الورقة: ٢٥٢ب.
(١٩) المصدر نفسه: ١/٢٣٥. الورقة: ١٤٢ب، ٢٢٠أ.
(٢٠) المصدر نفسه: ١/٢٣٦. الورقة: ١٢٣ب، ١٣٥ب.
(٢١) المصدر نفسه: الورقة: ١٩٤أ، ٢٣٤أ.

بـــلا عـــزو، مثل: قال الشاعر[١]، قال الآخر[٢]، قال الراجز[٣]، أما الأمثال فتعد مصدراً آخر من مصادره، فقد استشهد بأمثال جاهلية قديمة، وقيل منها مولد[٤]، وكـــان ابن درستويه يشرح المثل أحياناً، وأخرى يكتفي بذكر المثل وقائله، وقد بلغت شواهده من الأمثال خمسة وثلاثين شاهداً[٥].

وثمة مصدر آخر من مصادره هو الخطب وكلام الفصحاء، حيث وجدت مكاناً لها في الكتاب، على الرغم من قلة نصوص هذه الشواهد، فقد انتقى ابن درستويه طائفة من خطب وكلام الفصحاء، أمثال: قس بن ساعدة من الجاهليين[٦]، ثم استشهد بكلام الخلفاء الراشدين أمثال عمر بن الخطاب[٧] (رض) وعلي بن أبي طالب[٨] (كرم الله وجهه)، وقد بلغت شواهده من الخطب وكلام الفصحاء خمسة عشر شاهداً[٩].

أما أقوال اللغويين وكتبهم فقد ذكرها ابن درستويه في كتابه ويأتي على رأسها في الترتيب كتاب (العين[١٠]) للخليل بن أحمد الفراهيدي حيث اقتبس كثيراً منه ونادراً ما يخلو باب من أبواب (تصحيح الفصيح) من ذكر للخليل، وبعده يأتي كتاب (الكتاب[١١]) لسيبويه كما ذكر بعضاً من أقوال اللغويين أمثال المبرد[١٢]، وأبي

(١) المصدر نفسه: ١/١٣٦، ١/١٨٣. الورقة: ١٠٦أ، ١٤٣ب.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٧٠، ١/٢٧٦، الورقة: ٢١٦أ، ٢٥١ب.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٣٢، ١/٢٩٥، الورقة: ١٥٢أ، ٢٣٧ب.
(٤) المصدر نفسه: ١/٧٤.
(٥) المصدر نفسه: ١/٧٤.
(٦) تصحيح الفصيح: ١/١٧٨، ١/٢٧١.
(٧) المصدر نفسه: ١/٧٣.
(٨) المصدر نفسه: ١/١٧٩.
(٩) المصدر نفسه: ١/٧٥.
(١٠) المصدر نفسه: ١/٢٩٥، ١/٣٤٣، الورقة: ١٣٨أ، ١٤٤ب، ١٥٦ب، ١٧٣ب، ٢٢٠أ، ٢٣٠ب، ٢٥٠أ.
(١١) المصدر نفسه: ١/١٣٥، ١/٣٨٨. الورقة: ١٨٨ب.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٠٩.

حاتم السجستاني[١]، وأبي زيد[٢]، والأصمعي[٣]، والفراء[٤]، وابن الأعرابي[٥]، وغيرهم، وهناك أقوال أخرى لم ينسبها إلى لغويٍّ بعينه وإنما يكتفي بقوله: «قال أهل اللغة[٦]».

وقد ذكر ابن درستويه بعضاً من كتبه أمثال (الفرق بين فعل وأفعل[٧])، (في إبطال تعاقب الحروف[٨])، (في إبطال الأضداد[٩])، وغيرها من كتبه الأخرى[١٠]. مثل كتاب (تصحيح الفصيح) ثقافة عالم لغوي واسع المعرفة بلغات العرب، ولهذا فقد فسر الغريب من الألفاظ بشيء من التفصيل النافع.

ثم نبّه على مواضع السوء والإغفال التي أغفلها مؤلف كتاب (الفصيح) فضلاً عن تعريفه بالظواهر اللغوية وبعلل النحو وضروباً من الأبنية، وقد أسهب ابن درستويه كثيراً في أثناء شرحه لأبواب فصيح ثعلب.

وبهذا يعد (تصحيح الفصيح) من كتب النقد اللغوي المهمة لما حواه من مادة لغوية واسعة، فقد شارك ابن درستويه بجهده في هذه الحركة النقدية التي نضجت في هذا القرن.

(١) المصدر نفسه: ١/١٠٩، ١/٣٤٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٣٧.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٣٧. الورقة: ١٨١ب.
(٤) المصدر نفسه: الورقة: ١٣٣ب.
(٥) المصدر نفسه: الورقة: ١١٣ب، ٢٥٤ب.
(٦) المصدر نفسه: ١/٢٣٤. الورقة: ١٢٨أ، ٢٠٧ب.
(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٦.
(٨) تصحيح الفصيح: ١/٣٣١.
(٩) المصدر نفسه: ١/٣٣٩. الورقة: ١٥٨ب.
(١٠) انظر ابن درستويه: ١/٤٧ — ٧٣.

التنبيهات على أغاليط الرواة في كتب اللغة المصنفات[١]

ألفه علي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥ هـ) لينبه فيه على أغلاط بعض اللغويين من خلال كتبهم، والكتب هي: الكامل للمبرد[٢] (ت ٢٨٥ هـ)، وفصيح ثعلب[٣] (ت ٢٩١ هـ)، والغريب المصنف[٤] لأبي عبيد (ت ٢٤٤ هـ)، وإصلاح المنطق لابن السكيت[٥] (ت ٢٤٤ هـ)، والمقصور والممدود لابن ولاد[٦] (ت ٣٣١ هـ)، وهناك كتب أخرى نبِّهت على أغلاط آخرين أمثال: نوادر ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ)، والحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (ت ٣١٠ هـ)، والجمهرة لابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، ولم تصل إلينا هذه المجموعة.

منهجه

بدأ أبو القاسم كتابه بالحمد لله والصلاة والسلام على نبيه محمد (ﷺ)، بعد ذلك تحدث عن غرضه من تأليف كتابه من مقدمة موجزة فقال: «كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة في كتب اللغة المصنفات، لم نعدل فيه عن سبيلهم،

---

(١) نشره لأول مرة المستشرق البريطاني (Richard Bell) في المجلة البريطانية سنة ١٩٠٤. من الصفحات ٩٥ — ١١٤. ينظر التنبيهات ٦٩، وابن درستويه: ١٦١ ثم أعاد نشرها الشيخ عبد العزيز الميمني وقد ضم إليها كتاب المنقوص والممدود للفراء، وذلك في سنة ١٩٦٧. صدر في القاهرة عن دار المعارف.

(٢) طبع مرات عديدة كان آخرها بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاته، وصدر بأربعة أجزاء في القاهرة سنة ١٩٥٦.

(٣) طبع أكثر من مرة، آخرها كانت بتعليق محمد عبد المنعم خفاجي وطبعت في القاهرة سنة ١٩٤٩.

(٤) مخطوطة في المتحف العراقي، وقد هم بتحقيقه الدكتور رمضان عبد التواب، ولم يصل إلينا بعد.

(٥) حققه الأستاذان أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. نشرته دار المعارف وطبع في مصر سنة ١٦٥٦م.

(٦) نشره بولس بردنله، وطبع في لندن سنة ١٩٠٠، ونشره محمد بدر الدين الحلبي، وطبع في مطبعة السعادة — القاهرة ١٩٠٨.

ولم نجز عن سنتهم، في رد بعضهم على بعض الغلط، وقد أخذ أحدهم على صاحبه السقط، يتراسلون في ذلك بالرسائل، ويتشاغبون به في المحافل، ويتسائلون فيه عن المسائل، ونحن نذكر من ذلك ما يستدل به الناظر في كتابنا أنا بهم اقتدينا، وعلى أمثلتهم احتذينا». وبعد هذه المقدمة تحدث عن مجالس اللغويين والتي غلط أحدهما الآخر أمثال الأصمعي وابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني وأبي حاتم السجستاني، وابن قتيبة وابن دريد وغيرهم، فقال أبو القاسم: «أخبرني أبو سعيد المروزي قال: أخبرني أبو حاتم السجستاني قال: سمعت الأصمعي يقول للكرماني وقد قال له: قال أبو عبيدة هوى وأهوى بمعنى، ما قال عربي قط هوى، وإنما الكلام أهوى[(١)]»، وبعد أن ساق أمثلة خطّأ بها اللغويين بعضهم بعضاً[(٢)]، بدأ بالتنبيه على الكتب التي غلط فيها أصحابها فأول كتاب تناوله هو: (الكامل للمبرد).

أما طريقته في التنبيه على أغلاطهم فهي أن يبدأ بالبسملة بعدها الصلاة والسلام على محمد (ﷺ)، ثم يذكر الكتاب المراد تغليطه مثل قوله: «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم[(٣)]»، ثم يذكر اسم الكتاب فيقول: «التنبيهات على أغلاط كتاب اختيار فصيح الكلام تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب[(٤)]». وهكذا في بقية الكتب الأخرى.

وقد نهج نهجاً واحداً في كتابه، فكان أول ما يبدأ كلامه بذكر الخبر المراد تغليطه كاملاً من الكتب التي غلط فيها أصحابها، فقال في التنبيه على أبي العباس المبرد (قال أبو العباس: وما يؤثر ويقدم من هذه الأخبار قول عمر في أول خطبة خطبها، حدثني العتبي وقال: لم أرَ أقلّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى، حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: أيها الناس إنه والله ما منكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى

(١) التنبيهات: ٨٣ — ٨٤.

(٢) انظر المصدر السابق: ٧٩ — ٩٠.

(٣) المصدر السابق: ١٧٧.

(٤) المصدر السابق: ١٧٧.

آخذ الحق منه، ثم نزل. وهذه الخطبة لأبي بكر وقد سها هو والعتبي، وقد أخذ في هذا الناس قبلنا عليه[١]).

وقال أيضاً في تنبيه غلط ابن السكيت في إصلاح المنطق: «وروي عن الفراء: الكرار: الإحساء، واحدها كر وكر والضم صحيح والفتح غلط[٢]».

وقال أيضاً في تنبيه غلط أبي عبيد في الغريب المصنف: «قال أبو عبيد: المشفوعة التي قد أصابها شفعة وهي العين، وهذا أيضاً تصحيف، إنما المسفوعة بسين غير معجمة[٣]»، أما بالنسبة لفصيح ثعلب والمقصور والممدود لابن ولاد، فقد بدأ أول حديثه عن أهمية هذين الكتابين وما فيهما من فائدة، بعدها تناول أغلاطهما، فقال في التنبيه على أغلاط ثعلب في فصيحه «قال أبو العباس في باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى: والحيوة من العطاء، والحبوة من الاحتباء. قال أبو القاسم: وقد يقال من الاحتباء حبوة أيضاً بالضم[٤]».

تناول ابو القاسم: «فصيح ثعلب» بالتنبيه حسب الأبواب المرتبة في الكتاب، وفعل الشي نفسه في كتاب المقصور والممدود لابن ولاد، فقال أبو القاسم في التنبيهات على أغلاط ابن ولاد: «قال ابن ولاد في الممدود من باب الفاء والقفعاء نبت – وقد أساء إنما هي القفعاء بتقديم القاف، قال زهير:

بالسي ما تنبت القفعاء والحسك

وقال أبو حنيفة وذكر العشب: وإذا قبضه اليبس انقفع انقفاعا، ومنه تقفع اليد، ومنه سميت القفعاء، وذاك إنها إذا همت بالجفوف تقبض، وأنشد:

في ذنبات وبيبس منقفع   وفي رقوض كلأ غير قشع

وليس بين الرواة خلاف في إنهاء القفعاء بتقديم القاف على الفاء[٥]».

وبهذا النهج سار في تبويب كتابه ورتبها حسب الترتيب الآتي:

---

(١) التنبيهات: ٩٣، وينظر الكامل: ٨.

(٢) المصدر السابق: ١٧٤، وينظر إصلاح المنطق: ١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٢، وينظر الغريب المصنف: ٥٨.

(٤) التنبيهات: ١٨٣ وينظر فصيح ثعلب.

(٥) المصدر نفسه: ٣٤٩، وينظر المقصور والممدود: ٨٦.

أول كتاب بدأ به هو الكامل[١] بعدها كتاب فصيح ثعلب[٢]، ثم الغريب المصنف[٣]، ثم إصلاح المنطق[٤]، وآخرها المقصور والممدود[٥] وهناك إشارات وردت للتنبيه على أغلاط ابن دريد في الجمهرة، فجعلها متناثرة بين ثنايا هذه الكتب.

مصادره

لما كان كتاب التنبيهات هو تعيين موقع الغلط في عدد من مؤلفات اللغويين، فإن مؤلفه استند في ثقافته اللغوية للتنبيه على الغلط مستعينا بذلك بالمصادر الأخرى، فكان أولها القران الكريم، فقد استشهد أبو القاسم بآي من الذكر الحكيم أثناء تفسيره، إلا أن الآيات المستشهد بها قليلة قياسا إلى سعة الكتاب وكثرة مواقع الغلط، بعدها الحديث النبوي الشريف، وهو أيضا من المصادر المستشهد بها إلا أن مواضع الاستشهاد كانت قليلة أيضا.

أما المصدر الذي يتكرر عنده كثيرا فهو أقوال اللغويين، فقد روى عنهم في كتابه، لكي يدعم رأيه أمثال الأصمعي، وابن الإعرابي وأبي زيد الأنصاري والزجاج وابن دريد وسواهم. وتمثل الشعر والرجز بين مصادره، فقد استشهد كثيرا بكلام الشعراء وفي عصور مختلفة، فاستشهد بالشاعر الجاهلي أمثال: امرئ القيس[٦] وزهير بن أبي سلمى[٧]، والأعشى[٨]، والنابغة الذبياني[٩] وغيرهم، ومن المخضرمين أمثال: الحطيئة[١٠]، الشماخ[١١].

(١) من الصفحات: ٧٩ — ١٧٥.
(٢) من الصفحات: ١٧٧ — ١٨٨.
(٣) من الصفحات: ١٨٩ — ٢٧٣.
(٤) من الصفحات: ٢٧٥ — ٣٢٣.
(٥) من الصفحات: ٣٢٥ — ٣٥٤.
(٦) التنبيهات: ١٨١، ٢١٥.
(٧) المصدر نفسه: ١٥٢، ٢١٧.
(٨) المصدر نفسه: ١٢٧، ٢٠٠.
(٩) المصدر نفسه: ١٣٩، ٢٣١.
(١٠) المصدر نفسه: ١٢٩، ٢٣٦.
(١١) المصدر نفسه: ١١١، ٢٠٥.

وغيرهم ومن الإسلاميين: جرير[١] والفرزدق[٢] والكميت[٣] والطرماح[٤] وكثير[٥] وسواهم ومن العباسيين ابن هرمه[٦]، ويقف في مقدمة الرجازين رؤبة[٧] والعجاج[٨] وأبي نخيلة[٩].

وهناك شعر ورجز تركه أبو القاسم من غير نسبة، مكتفيا بالقول: (قال الشاعر[١٠]) (قال الآخر[١١]) (قال الراجز[١٢]).

وتوخى أبو القاسم من تأليف كتابه هو التنبيه على ما رافق هؤلاء اللغويين من وهم وغلط وإن هذا الكتاب لا يقل من شأنهم فقد كان كل واحد منهم علما بارزاً من أعلام العربية قامت على أيديهم المدارس اللغوية والنحوية لما كانوا يمثلونه من موقع متميز وخاصة المبرد وثعلب حيث عدا رأس المدرستين البصرية والكوفية وتخرج منهم كثير من اللغويين والنحويين والذين أغنوا الحركة العلمية بما أنتجوا من مؤلفات كثيرة في علوم العربية.

(١) التنبيهات: ٩٩، ١٩٦.
(٢) المصدر نفسه: ١١٦، ١٨٥.
(٣) المصدر نفسه: ١٢٦، ٢٢١.
(٤) المصدر نفسه: ١٠٩، ٢٦٧.
(٥) المصدر نفسه: ٢٠٣.
(٦) المصدر نفسه: ٢٦٣، ٢٩٧.
(٧) المصدر نفسه: ١٢٩، ٢٢٧.
(٨) المصدر نفسه: ١٩٥، ٢٠٥.
(٩) المصدر نفسه: ١٨٥.
(١٠) المصدر نفسه: ٩٥، ١٩٣.
(١١) المصدر نفسه: ١٧٩، ٢٠٧.
(١٢) المصدر نفسه: ١٣٠، ١٩٠.

الإغفال لأبي علي الفارسي[(١)]

ألفه أبو علي الفارسي لنقد كتاب (معاني القرآن) لأستاذه أبي إسحاق الزجاج، وأراد من تأليفه أن يذكر ما أغفله شيخه حيث ذكر ذلك في مقدمة كتابه: «هذه مسائل من كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح فيها، للإغفال الواقع فيها ونحن ننقل كلامه في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه وعلى جملته، وعن النسخة التي سمعناها منه فيها، ثم نتجه بما عندنا وبالله التوفيق[(٢)]»، وتذكر بعض المصادر اسماً آخر للإغفال هو «المسائل المصلحة عن الزجاج، وتعرف بالإغفال[(٣)]»، ومهما تغيرت عناوين الكتاب إلا أن الغرض من تأليفه هو إظهار المواقع التي أخطأ فيها الزجاج وحسبما أوردها الفارسي.

منهجه:

بين الفارسي منهجه والغرض من تأليفه في مقدمة الكتاب وجاءت تسمية الكتاب «بالإغفال» مطابقة لما أراده من تبيان مواضع الخطأ، حيث تتبعها بعد أن ذكر كلام الزجاج وعن النسخة التي سمعها من أستاذه، فقال: «ونحن ننقل كلامه أي «كلام أبي إسحاق» في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه، وعلى جملته عن النسخة التي سمعناها منه ثم نتبعه بما عندنا[(٤)]». وقد كان أبو علي

---

(١) توجد منه ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية، نسخة برقم ٥٢، تفسير ونسخة أخرى برقم (٨٧٥) تفسير، عدد صفحاتها (٦٨٠) صفحة ونسخة ثالثة برقم (٦٩٩) تفسير عدد صفحاتها (٦٤٩) صفحة فهرست المخطوطات المصورة: ١/ ٦٧٢ وانظر القرآن وأثره في الدراسات النحوية: ٢٥٧ وتوجد نسخة أخرى في مكتبة الأوقاف في طرابلس الغرب خزانة (١) رف العلمي العربي، المجلد ٣٤، هامش صفحة ٦٠٩وتوجد نسخة برقم ٢٩٧، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا: ١/ ٢٦٥، وانظر المسائل المشكلة: «البغداديات: ٢٤».

(٢) أبو علي الفارسي: ٤٧٦ نقلاً عن الإغفال الورقة: ٢، ينظر مقدمة معاني القرآن للزجاج: ٦٧.

(٣) انظر الزجاجي حياته ومذهبه في النحو: ٨٧.

(٤) أبو علي الفارسي: ٤٧٨، القرآن وأثره في الدراسات النحوية: ٢٥٨، نقلاً عن =

الفارسي محبًا للرد على الزجاج، بعدما وصل إلى درجة من الفهم والدراية والذي يمكنه من تتبعه لأستاذه حيث قال: «ثم نتبعه بما عندنا[(١)]»، وقد ذكر هذه النقطة صاحب البحر المحيط بقوله: «لأنه كان مولعاً بذلك وللشنآن الجاري بينهما ذكره للناس[(٢)]».

تتبع الفارسي الزجاج في تعيين مواضع الخطأ في «معاني القرآن» مبتدئاً من «بسم الله الرحمن الرحيم» ثم فاتحة الكتاب ثم سورة البقرة فسورة آل عمران وهكذا إلى نهاية المصحف، عدا السور التي لا مآخذ له على الزجاج فيها. أما طريقته فهي أن يذكر كلام الزجاج ثم يبدأ بشرحه، وقد وقف أبو علي من شيخه مواقف مختلفة، فنراه مرة يهدم ما يقوله الزجاج، وتارة يرميه بالغلط والنسيان، ثم يصف قوله بالفساد وأخرى يقول عنه ليس بالجيد، وقليلاً ما يتفق أبو علي مع الزجاج فيما رآه، وعند ذلك يبسط القول ويذكر أوجهاً أخرى غير التي ذكرها أبو إسحاق، أو يعلن استقامة ما قاله الزجاج وعدم امتناعه[(٣)].

ومن خلال وقوفنا لبعض من نصوص الإغفال، تبين أن أبا علي الفارسي كان يميل إلى الاستطراد والشرح، متوخياً من ذلك التوضيح، والتعليل، وإصلاح ما رواه أستاذه.

أكثر أبو علي في نقده من المسائل النحوية في «معاني القرآن» وأراد أن يظهر أنه أدق فهماً من أستاذه في المسائل النحوية، ونحن نعلم أن الزجاج اعتمد في أكثر شرحه على كتاب سيبويه ولما قرأ الفارسي الكتاب، رد على أستاذه في المآخذ، حيث كانت بوجه عام لغوية ونحوية، إلا أن الجانب النحوي كان هو الطاغي على (الإغفال)، بحيث أراد الفارسي أن يثبت أنه أكثر عمقاً من دراسته «الكتاب» من أستاذه.

الإغفال.

(١) أبو علي الفارسي: ٤٧٨، القرآن وأثره في الدراسات النحوية: ٢٥٨، نقلاً عن الإغفال.

(٢) البحر المحيط: ١/٣٣١ – ٣٣٢.

(٣) أبو علي الفارسي: ٤٧٩.

مصادره

تعددت مصادر الفارسي في «الإغفال» ويأتي القرآن الكريم في مقدمتها، ثم الحديث النبوي الشريف، واعتمد في نقده للكتاب على ثقافته النحوية واللغوية في تعرضه لمادة الكتاب، فقد ظهرت جليةً في كتابه. أما أقوال العلماء فقد وجدت طريقها في «الإغفال» حيث استشهد بأقوالهم خاصة الخليل وسيبويه، إذ ملأت أقوالهم الكتاب[١].

وفي ملاحظتنا أن كتاب «الإغفال» قد أظهر تحامل الفارسي على أستاذه. ذلك أن كتاب «معاني القرآن» للزجاج، يعد من الكتب اللغوية المهمة التي برع فيها وحمل إلينا مسائل لغوية ونحوية كثيرة من التي زخر فيها الكتاب. وقد أدى ظهور كتاب «الإغفال» نشاط في الحركة اللغوية، فقد رد ابن خالويه على أبي علي في «الإغفال» بكتاب سماه «الهاذور[٢]»، ورد عليه أبو علي في كتاب سماه «نقد الهاذور[٣]»، حيث تعقب أبو علي ابن خالويه فيما كتبه. وقد نقل البغدادي[٤] في خزانته بعضاً من كتابي «الإغفال» «والهاذور» ثم تطرق إلى وحدة التنافس بينهما والذي أحدثه تأليف أبي علي لكتاب الإغفال وقد وصفه ابن قاضي شبهه (بأنه كتاب نفيس[٥]).

أما زمن تأليف كتاب «الإغفال» فقد ألفه أبو علي بعد موت أستاذه الزجاج، بدليل ترحمه على الزجاج[٦].

تمام فصيح الكلام لابن فارس

يعد كتاب «تمام فصيح الكلام[٧]» من الكتب النقدية المهمة التي تناول فيه

---

(١) المصدر نفسه: ٤٨٣.

(٢) خزانة الأدب: ١/٩، ٣٥٢، ينظر ابن خالويه وجهوده في اللغة ٣٧.

(٣) خزانة الأدب: ٢/٤٠١، الفلاكة والمفلوكون: ١٠٢.

(٤) انظر خزانة الأدب: ١/٣٥٢، ٢/٤٠١، ٤/٣٢٤، ٣٤١.

(٥) طبقات النحويين واللغويين: الورقة ٢٩٥.

(٦) أبو علي الفارسي: ٤٧٧.

(٧) نشره أول مرة المستشرق الانكليزي آربري في لندن سنة ١٩٥١ بطريقة التصوير مع مقدمة باللغة الانكليزية، ثم أعاد نشرها الدكتور مصطفى جواد ويعقوب مسكوني، =

المؤلف ما فات ثعلب من ذكر الألفاظ.

منهجه

الكتاب خال من المقدمة، والتي يمكن أن نتعرف من خلالها على منهج ابن فارس وغرضه، وإنما بدأ الحديث بذكر الألفاظ مقسمة حسب الأبواب وهي:

١. باب فعلت بفتح العين
٢. باب فعلت بكسر العين
٣. باب فعلت بغير ألف
٤. باب فعل بضم الفاء
٥.باب فعلت وفعلت باختلاف المعنى
٦. باب فعلت وأفعلت باختلاف المعنى
٧. باب أفعل
٨. باب ما يقال بحرف الخفض
٩. باب ما يهمز من الفعل
١٠. باب من المصادر
١١. باب ما جاء وصفاً من المصادر
١٢. باب المفتوح من الأسماء
١٣. باب المكسور أوله
١٤. باب المفتوح أوله والمكسور باختلاف المعنى
١٥. باب المضموم أوله
١٦. باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى

ضمن رسائل أخرى في اللغة والنحو، ونشرته وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٦٩، وهذه الطبعة خالية من ستة أبواب هي: «باب المخفف، باب المهموز، باب مايقال للأنثى بغير هاء، باب ما أدخلت فيه الهاء من وصف الذكر، باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء، باب ما الهاء فيه أصلية». ينظر ابن درستويه: ١٦٣.ثم أعاد نشرها الدكتور إبراهيم السامرائي في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي والعشرون سنة ١٩٧١، ثم انتزعت من المجلة المذكورة فظلت مستقلة.

١٧. باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى

١٨. باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى

١٩. باب المشدود

٢٠. باب المخفف

٢١. باب المهموز

٢٢. باب ما يقال للأنثى بغير هاء

٢٣. باب ما أدخلت فيه الهاء من وصف المذكر

٢٤. باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء

٢٥. باب ما الهاء فيه أصلية

٢٦. باب ما جرى مثلاً أو كالمثل

٢٧. باب ما يقال بلغتين

٢٨. باب حروف منفردة

أما طريقة ابن فارس في تناوله المادة فهي أن يذكر اسم الباب من أبواب الفصيح ثم يورد الألفاظ التي تدخل ضمن كل باب، ثم يشرحها ويذكر معناها إن استدعت اللفظة ذلك.

مصادره

اعتمد ابن فارس في إيراده الألفاظ على ثقافته اللغوية الواسعة، أما مصادره، فكتابه خال من المصادر التي نهل منها مثل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الحكماء والبلغاء، والمصدر الوحيد الذي يطالعنا في كتابه هو الأبيات الشعرية، فقد استشهد بها أثناء شرحه للألفاظ، أما نسبة الأشعار إلى قائلها فمرة ينسب البيت إلى قائله وأخرى يتركه غير منسوب، وفي رأيي أن ابن فارس أراد أن يستدرك على ثعلب في فصيحه فقد بذل جهداً كبيراً من أجل أن يخرج كتابه مكملاً لما جاء به ثعلب، إضافة إلى أن ابن فارس شارك مع مجموعة من العلماء بشرح ونقد «فصيح ثعلب».

المبحث الثاني
الأصوات اللغوية

عني علماء العرب الأوائل بموضوع (علم الأصوات)، حيث اهتموا به، وبخاصة بعد انتشار الإسلام في بقاع الأرض المختلفة، وطرقت أسماع العرب اللغات الأخرى وخشي العلماء أن تنحرف أصوات العربية بتأثرها بأصوات تلك اللغات، فلم يكد القرن الثاني الهجري يبدأ حتى قام بين علماء العرب من يصف الأصوات العربية، معتمداً على التجربة باللسان والأذن[١].

وقد اهتم اللغويون بدراسة الحروف من حيث أقسامها، وصفاتها، ومخارجها، وتآلف حروفها، وخصائصها، وأعضاء النطق، كما درسوا القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثر بعضها ببعض عبر تركيبها في الكلمات أو الجمل[٢].

ومن المعروف أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، هو أول من درس الحروف على أساس صوتي، فقد رتب معجمه على أساس مخارج الحروف، فوضع لكل حرف تسمية، وحسب أعضاء النطق الإنساني، ابتداء بأصوات الحلق وانتهاء بأصوات الشفتين.

وجاء بعد الخليل تلميذه سيبويه (ت ١٨٠ هـ)، حيث خصص مباحث في كتابه لدراسة أصوات الحروف[٣]، ومخارجها وصفاتها، حيث جعلها مقدمة الحديث عن الإدغام والإعلال[٤]، وقد رتب سيبويه الأصوات العربية، ترتيباً خالف به ترتيب الخليل، حيث بدأ بالهمزة وجعلها أقصى حروف الحلق وانتهاء بالواو[٥]، وفاقا لمعيار تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج من الفم[٦].

---

(١) المدخل إلى علم اللغة: ١٤.
(٢) المرجع نفسه: ١٣.
(٣) انظر الكتاب: ٤/٤٣٣.
(٤) المدخل إلى علم الأصوات: ٣.
(٥) انظر المدخل إلى علم اللغة: ١٦.
(٦) في الأصوات اللغوية: ٧٧.

وتناول بعد سيبويه عدد من العلماء دراسة الأصوات، فوقفوا عندها وقفات متعددة، ولعل أبرزها وقفة الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في كتابه (معاني القرآن[١])، وتناول المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه (المقتضب[٢]) دراسة أصوات الحروف، ولم يتعد المبرد في هجائيته الصوتية، هجائية سيبويه[٣]، أما علماء القرن الرابع الهجري، فقد تناولوا دراسة الأصوات بالدرس والتفتيش، فتناول ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) دراسة الحروف، من حيث خصائصها، ومخارجها، وأعضاء النطق وتحدث عنها مفصلاً في مقدمة كتابه (الجمهرة[٤])، وتناول الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) دراسة الأصوات بتأليفه كتاب (الإبدال والمعاقبة والنظائر)، حيث درس إبدال الحروف وتعاقبها، ومخارجها، وعرض مؤلفو المعجمات إلى دراسة الحرف من الناحية الصوتية، فتحدث الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) في ثنايا كتابه (تهذيب اللغة)، وابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) في كتبه (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة) و (الصاحبي في فقه اللغة) وتأليفه كتاباً مستقلاً تناول فيه ظاهرة (الاتباع والمزاوجة).

ويقف ابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، من علماء القرن الرابع الهجري في مقدمة الدارسين لعمل الأصوات، فقد خصص باباً في كتابه (الخصائص[٥]) تحدث فيه عن الأصوات، أما كتابه (سر صناعة الإعراب)، فقد خصصه لدراسة الصوت، في نواحٍ متعددة منها، دراسة الأصوات على أساس ذوقي وتشبيه الحلق بالناي وتشبيه مدارج الأصوات بفتحات هذا الناي، التي توضع عليها الأصابع وهي إشارة ذكية دالة على قوة الملاحظة وصحة الفهم لاكتناه عمل جهاز النطق[٦]، وتحدث عن الإدغام والإمالة وغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى، وهو بهذا الصنيع، فقد كون لنفسه صنعة طغت وغلبت على آراء من سبقه من العلماء حتى

---

(١) الدراسات اللغوية عند العرب: ٤٣٦.
(٢) المقتضب: ١٩٢/١.
(٣) انظر في البحث الصوتي عند العرب: ٢٧.
(٤) انظر مقدمة الجمهرة: ١٤/١ وما بعدها.
(٥) الخصائص: ٥٤٤/١، ٥٤٩.
(٦) في البحث الصوتي عند العرب: ٢٢.

أن سيبويه لم يهتد إليها[١].

وخلاصة القول، فإن أكثر العلماء اعتمدوا في دراسة الأصوات على كلام الخليل وسيبويه، وإنهم لم يضيفوا إلى آرائهما ما يستحق الذكر[٢]، إلا ابن جني فقد شذ عنهم، حيث تميزت دراسته بطابع خاص في دراسة الأصوات، على الرغم من ترديده لكلام سيبويه في تعداد مخارج الحروف ووصفها فكثيراً ما كان يقتبس نص العبارات من كتاب سيبويه ويقف عند حدودها[٣].

أما في مجال القراءات القرآنية، فقد تعرضت إلى دراسة الأصوات فوصف القراء مخارج الحروف، وصفاتها، في صورة مفصلة، لا تخلو من الغموض أو التحريف، واستمرت القراءات توجه إلى ضبط الحركة و الحرف عن طريق التلقي الشفوي جيلا بعد جيل، حتى انتهى الأمر إلى بضعة متون صغيره، سميت(بعلم التجويد) حيث كان الطالب يحفظ سور القرآن عن ظهر قلب، وكانت دراسة نصوص سيبويه وعباراته في دراسة أصوات اللغة هي المعول عليها[٤].

لقد كانت دراسة الأصوات في القرن الرابع الهجري استكمالا لجهود العلماء في الحقب السابقة، وقد نضجت وتطورت على يد علم من أعلام هذا القرن وهو ابن جني (ت ٣٩٢ هـ).

وقد ملت إلى دراسة الصوت عند علماء اللغة، وقصرته على جهود اللغويين، وقد اجتنبت دراسة جهود علماء القراءات في دراسة الصوت يقيناً مني بأن هذا الجانب قد تناوله أكثر من باحث، وهو ليس من شرط بحثي.

وقد تحدثت في هذا المبحث عن جهود الزجاجي، وابن جني، وابن فارس، في دراسة الصوت في هذه المدة.

(١) المدخل إلى علم اللغة: ١٦.

(٢) انظر جهود علماء العرب في الدراسات الصوتية للدكتور إبراهيم أنيس بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق المجلد الخامس عشر سنة ١٩٦٣، صفحة ٤٧.

(٣) المدخل إلى علم اللغة: ١٦.

(٤) انظر جهود علماء العرب في الدراسات الصوتية: ٤٦ — ٤٧، وانظر أيضاً المدخل إلى علم اللغة: ١٨، وفقه اللغة وخصائص العربية: ٦٦.

الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي[(١)]

وهو من الكتب الصوتية التي ألفت في هذا القرن ومن آثار الدراسة الصوتية عند الزجاجي، فقد لاحظ مخارج بعض الألفاظ وتقارب النطق بها، وإبدال حرف من حرف لتقارب مخرجيهما[(٢)].

منهجه

تناول الزجاجي في كتابه الألفاظ التي يحدث فيها إبدال حرف مكان الآخر، أو تعاقب حرف لآخر، فقد أورد مائتين وسبعين لفظة حدث فيها إبدال وتعاقب، مقسمة على أربعة وثلاثين باباً.

والكتاب غير مبوب ولا منظم، وبدون منهج معين، وإنما يورد الألفاظ والأبواب من غير ترتيب، وقد ساق الألفاظ ونظائرها خالية من سند الرواية، وأحياناً يهمل المعنى، واكتفى فقط بسرد الألفاظ المبدلة مثل قوله: «السكوت والسكات[(٣)]» و «زنبور وزنبير[(٤)]» و «وهدل الحمام وهدر[(٥)]».

برزت شخصية الزجاجي في كتابه، حيث اعتمد على ثقافته اللغوية في إيراده الألفاظ، وبيان الحرف المبدل أو المتعاقب ولهذا فإننا لم نر قولا للعلماء استشهد به سوى قول واحد (للمازني[(٦)])، وبيت شعر أنشده للفراء[(٧)].

أما شواهده فقد اقتصرت على الآيات القرآنية، حيث استشهد بأربع عشرة آية في مواضع مختلفة أما الشعر فقد استشهد بخمسة وستين بيتاً، موزعة على حقب مختلفة، لا يتعداها الشعر الأموي.

وخلاصة القول فإن كتاب (الإبدال والمعاقبة والنظائر) يعد مرحلة متقدمة

---

(١) حققه الأستاذ عز الدين التنوحي، وطبع ضمن مطبوعات المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٦٢.

(٢) الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٥٢.

(٣) الإبدال والمعاقبة والنظائر: ١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢١.

(٥) المصدر نفسه: ٧٤.

(٦) المصدر نفسه: ٧٠.

(٧) الإبدال والمعاقبة والنظائر: ٩٣.

من التأليف الصوتي، وجمع الألفاظ التي يحدث فيها الإبدال والمعاقبة ووضعها في كتاب مستقل، لا كما فعل غيره من اللغويين حين سردوا هذه الألفاظ في أثناء كتبهم، كما فعل أبو عبيد في (الغريب المصنف)، وابن السكيت في (القلب والإبدال) وابن دريد في (الجمهرة) وابن جني في (الخصائص[١]). أما المأخذ الذي يمكن أن أراه، هو أن الزجاجي لم يشر إلى اللهجات العربية، ومدى إحداث الظواهر في لهجاتها، علماً أن مثل هذه الظواهر، تحدث في لهجات قبائل كثيرة، كإبدال حرف مكان آخر، أو تعاقب كلمتين في لهجتين متبادلتين من القبائل.

سر صناعة الإعراب لابن جني[٢]

وهو كتاب يشتمل على أبحاث في علم الأصوات، ومخارج الحروف ولفظها وحركاتها وخصائصها وأجناس حروفها وهو بهذا الصنيع أراد أن يبتكر دراسة جديدة ومتطورة عن دراسة الخليل وسيبويه للأصوات.

منهجه

افتتح ابن جني في كتابه بمقدمة طويلة، تليق بكتاب عظيم مثله، فقد استهلها بخطاب إلى رجل لم يفصح عن اسمه[٣]، وإنما وصفه على صفات تدل على علو منزلته ومكانته في عصره، فقال: «رسمت أطال الله بقاءك، وأحسن إمتاع العلم وأهله بك، فإنك بحمد الله ما زلت جمالاً له ولهم وقفا عليه وعليهم، إن أظلم شق منه، كنت لهم فيه سراجاً، أو طمس منار له[٤]........»

ويستمر في وصفه الحياة والنسب بعدها تحدث عن كتابه، وأوضح أن هذا

---

(١) انظر الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة: ١٥١.

(٢) حققت الجزء الأول منه لجنة من الأساتذة: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبدالله أمين وطبع في القاهرة سنة ١٩٥٤. وتحتفظ مكتبة المتحف العراقي بنسخة كاملة منه وبرقم (٩٨٩٦). ومنه نسخ قديمة ناقصة وكاملة في خزائن العالم، انظر: بروكلمان وفهرس مخطوطات الأوقاف بغداد ج٣.

(٣) وهو عبد الواحد بن عرس بن فهد الأزدي، وقد ذكره محققو الكتاب اعتماداً على نسخة عبد القادر البغدادي صاحب كتاب (خزانة الأدب) انظر مقدمة التحقيق: ١/ ١٠.

(٤) سر صناعة الإعراب: ١/٣.

الكتاب وضع باقتراح منه، حيث تابع الحديث بعد الانتهاء من صفاته، فقال: «... أن أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب، وأن أتقصى القول في ذلك، وأشبعه وأؤكده، فاتبعت ما رسمته، وانتهيت إلى ما مثلته، ولم أجد مع ما أنا بسبيله[١]». وتحدث بعد ذلك عن خواص الحروف وصفاتها متبعاً بذلك اللغويين الذين سبقوه، فقال: «واتبع كل حرف منها مما رويته من حذاق أصحابنا وجلتهم، وحذوته على مقاييسهم وأمثلتهم، ما أقدر أن فيه بلوغاً لأمدك، وإصابة لغرضك[٢]»أما غرضه من تأليفه فقد أوضحه في أثناء مقدمة الكتاب بقوله: «وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر هذه الحروف مؤلفة لأن ذلك كان يقود إلى استيعاب جميع اللغة، وهذا مما يطول جداً، وليس عليه عقدنا هذا الكتاب، وإنما الغرض فيه ذكر أحوال الحروف منفردة، أو منتزعة من أبنية الكلم التي هي مصوغة فيها لما يخصها من القول في أنفسها، وأقروا ذلك شيئاً فشيئاً على تأليف حروف المعجم، دون مدارج الحروف[٣]».

وبعد أن انتهى من هذه المقدمة، بدأ حديثه عن الأصوات وعلاقتها بالحروف، شارحاً ذلك بالتفصيل، مستشهداً بأقوال العلماء والشعر، وقد قسمها إلى ما يلي:

١. فرق ما بين الصوت والحرف[٤].
٢. ذوق أصوات الحروف[٥].
٣. تشبيه الحلق بآلات الموسيقى[٦]، حيث شبه الحلق والفم بالناي.

(١) سر صناعة الإعراب: ١/١ — ٢.
(٢) المصدر نفسه: ١/٣.
(٣) المصدر نفسه: ١/ ٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٦.
(٥) المصدر نفسه: ١/٧.
(٦) سر صناعة الإعراب: ١/٩.

٤. اشتقاق الصوت والحرف[١].

٥. الحركات أبعاض حروف المد[٢].

ثم تحدث أيضاً عن أسباب قلب الواو والياء ألفين[٣]، وما يضاف إليه الظرف من الأسماء[٤]، والحرف ضربان، ساكن ومتحرك[٥]، ومرتبة الحركة من الحرف، أقبله، أم معه، أم بعده[٦].

وعندما تم ابن جني حديثه على صفات الحروف وحركاتها، انتقل إلى حروف المعجم[٧]، فتحدث عن معناها، مستشهداً بأقوال العلماء، ثم تطرق إلى اشتقاق «ع ج م[٨]»، شارحاً بالتفصيل مع ذكر الأمثلة على كلامه، ثم تطرق إلى ما لم ينقط من حروف الهجاء[٩].

وبعد هذه المقدمة الطويلة، التي تعد مبحثاً متطوراً وناضجاً في الدراسات الصوتية والتي تخلو كتب الأصوات من مثلها. بدأ حديثه عن أسماء الحروف[١٠]، جاعلاً ذلك أول الأبواب، فتحدث عن ذلك بالتفصيل، وأول حديثه كان عن أصل الحروف، فقال: «اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً. فأولها الألف، وآخرها الياء، على المشهور من ترتيب حروف المعجم[١١]». وتطرق أيضاً إلى أنواع الحروف ورتبها على الترتيب الآتي:

١. الحروف الفرعية المستحسنة، وهي: النون الخفيفة، والهمزة المخففة،

(١) المصدر نفسه: ١/١١.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٩.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٧.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣١.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٨.
(٧) المصدر نفسه: ١/٣٨.
(٨) المصدر نفسه: ١/٤٠.
(٩) المصدر نفسه: ١/٤٤.
(١٠) المصدر نفسه: ١/٤٦.
(١١) سر صناعة الإعراب: ١/٤٦.

وألف التفخيم، وألف الإمالة، الشين التي كالجيم، الصاد التي كالزاي(١).

٢. الحروف الفرعية المستقبحة، وهي الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالميم(٢).

وانتقل بعد ذلك إلى مخارج الحروف وجعلها ستة عشر مخرجاً ابتداءً من وسط الحلق وهي مخرج العين والحاء إلى ما بين الشفتين وهي مخرج الباء والميم والواو. وقد تناول ابن جني هذه الحروف بالشرح والتفصيل، مستشهداً بأقوال سيبويه في مجال الدراسات الصوتية(٣). ونظر ابن جني في هذه الحروف، فقسمها إلى أجناسها من ناحية النطق، فجعل حديثه عن أقسام الحروف كالآتي:

١. المجهور والمهموس، فأما الحروف المجهورة فهي: العين، الغين، القاف، الجيم، الضاد، الزاي، الطاء، الدال، الظاء، الذال، الواو، اللام، النون، الباء، الميم، الياء، الواو، الهمزة، الألف. أما الحروف المهموسة فهي: الهاء، الحاء، الخاء، الكاف، الشين، الصاد، التاء، السين، الثاء، الفاء(٤).

٢. الحرف الشديد والرخو والمتوسط، فأما حروف الشدة فهي الهمزة والقاف والكاف والجيم، والطاء والدال والتاء والباء. وأما الحروف ما بين الشدة والرخوة فهي: الألف، والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو(٥).

٣. الحرف المنطبق والمنفتح فالمنطبقة أربعة أحرف هي: الضاد والطاء والصاد و الظاء وما سواها فمفتوح غير منطبق(٦).

٤. الحرف المستعلي والمنخفض، فالمستعلية هي: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء وما سواها فمنخفض(٧).

(١) المصدر نفسه: ١/٥١.
(٢) المصدر نفسه: ١/٥١.
(٣) المصدر نفسه: ١/٥١ — ٦٨.
(٤) المصدر نفسه: ١/٦٨ — ٦٩.
(٥) سر صناعة الإعراب: ١/٦٩.
(٦) المصدر نفسه: ١/٧٠.
(٧) المصدر نفسه: ١/٧١.

٥. الحرف الصحيح والمعتل، فجميع الحروف صحيحة إلا الألف والياء والواو[١].

٦. الحرف الساكن والمتحرك[٢].

٧. الحرف الأصلي والزائد هي: الهمزة والألف، والياء والواو والميم، والنون والسين والتاء، والهاء والطاء والدال والجيم[٣].

٨. حروف البدل وهي: الهمزة والألف والياء والواو والميم والتاء والهاء والطاء والدال والجيم[٤].

٩. الحرف المنحرف وهو اللام [٥].

١٠. الحرف المكرر وهو الراء[٦].

١١. الحروف المشربة، وتسمى حروف القلقلة وهي: القاف والطاء والدال والباء والزاي والظاء والذال والضاد[٧].

١٢. الحرف المهتوت وهو الهاء[٨].

١٣. حروف الذلاقة والإصمات، فأما حروف الذلاقة فهي اللام والراء والنون والفاء والباء والميم وأما بقية الحروف فهي الحروف المصمتة[٩].

لقد أحسن ابن جني ما عرض له في شرحه للحروف ودراسته المستفيضة للأصوات ووصف الجهاز الصوتي وتقسيمه إلى مخارج الأصوات فقد قاده ذكاؤه المتفوق والمتميز إلى وضع مقاييس صحيحة لدراسة أصوات الحروف وقد شبه نطق الحروف وهي (حروف الحلق) بالمزمار، وتشبيه مخارج الحروف ومدارجها بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع[١٠]، لقد رتب ابن جني كتابه (سر صناعة الإعراب) على حروف المعجم وهي (أ ب ت ث ج ح خ د ذ.... إلى

---

(١) المصدر نفسه: ١/٧١.
(٢) المصدر نفسه: ١/٧١.
(٣) المصدر نفسه: ١/٧١.
(٤) المصدر نفسه: ١/٧٢.
(٥) المصدر نفسه: ١/٧٢.
(٦) المصدر نفسه: ١/٧٢.
(٧) المصدر نفسه: ١/٧٣.
(٨) سر صناعة الإعراب: ١/٧٤.
(٩) المصدر نفسه: ١/٧٤.
(١٠) انظر مقدمة المحققين: ١/١٣.

حرف الياء) مخالفاً بذلك الترتيب الذي ابتكره الخليل بن أحمد في كتابه (العين) على الترتيب الصوتي، على الرغم من أن ابن جني استفاد من ترتيب الخليل الصوتي للحروف فقد درس ابن جني الحروف، من ناحية، صفاتها وخواصها ومخارجها، من أقصى حروف الحلق إلى حروف الشفتين.

وبدأ ابن جني بالكلام على أول حروف المعجم وهي الهمزة ثم أعقبها بالحديث عن حرف الباء ثم التاء ثم الثاء وهكذا إلى أن ينتهي من حرف الياء، فكانت طريقته هي أن يذكر الحرف يعقبه بكلمة (باب) وأول ما يبدأ به هو وصف الحرف صوتياً، مثل: «باب الهمزة، اعلم أن الهمزة حرف مجهور[(١)]». و«باب الدال، الدال حرف مجهور[(٢)]». و «باب السين، السين: حرف مهموس[(٣)]». «باب الفاء، الفاء حرف مهموس[(٤)]».

ثم يتحدث بعد ذلك عن أصالة الحرف أو زيادته وإبداله مثل قوله في باب الثاء: «.... وهو أحد حروف النفث ومحله من الذال محل التاء من الدال، ولا تكون إلا أصلاً[(٥)]»، وقوله في باب الراء: «.... يكون أصلاً لا بدلاً ولا زائداً[(٦)]».

وقد نهج الطريقة ذاتها إلى نهاية كتابه، أما شرحه للحروف التي ذكرها فقد فصل القول فيها ويمضي في إيراد الأمثلة على الحروف حتى يستوفي الشروحات اللغوية والصرفية والنحوية، مستشهداً على كل ظاهرة لغوية يوردها بالأمثلة والبراهين.

لقد برزت شخصية ابن جني وفذلكته اللغوية واضحةً في كتابه حيث عرض لآراء اللغويين والنحويين وناقشهم وجادلهم في مسائل لغوية ونحوية وصرفية

---

(١) سر صناعة الإعراب: ١/٧٨.
(٢) سر صناعة الإعراب: ١/٢٠٠.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٠٩.
(٤) المصدر نفسه: ١/٢٤٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٨٩.
(٦) المصدر نفسه: ١/٢٠٥.

ويفند آرائهم مستوحاة من استيعابه للغة، فقد اجتهد كثيراً لنفسه رأياً خاصاً مستقلاً ومخالفاً لآراء العلماء حتى أستاذه أبو علي فقد خالفه كما في قوله: «فهذان الوجهان اللذان أحتملهما عندي قولهم «آديت زيداً» أي قويته، وفيه وجه آخر غامض أيضا وهو أن أراد أعديته، فأبدل العين همزة فصارت أأديته، ثم أبدل الهمزة ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التي قبلها آديته على أن في هذا الوجه عندي بعض الضعف وأن كان أبو علي قد أجازه[1]».

وقد ظهرت للنزعة البصرية عنده في أثناء تناوله الحديث عن الحروف كذلك ظهر تأثره الكبير بالقياس فقد ذكره في أكثر من موضع، وأخضع حديثه إلى القياس ورفض ما سواها.

مصادره

اعتمد ابن جني على تفسير الحروف في (سر الصناعة) مصادر وشواهد كثيرة حيث يقف القرآن الكريم على رأس مصادره، واستشهد أيضا بالقراءات القرآنية[2].

أما الشعر فهو أكثر أنواع الشواهد لديه، فقد استشهد بالشاعر الجاهلي أمثال أمرئ القيس[3]، طرفة[4]، طفيل الغنوي[5]، تأبط شراً[6]، عبيد بن الأبرص[7]، عنترة[8] وغيرهم.

ومن الإسلاميين أمثال: حسان بن ثابت[9]، أبي ذؤيب الهذلي[10]، لبيد[11] وغيرهم من الأمويين أمثال: الأخطل[12] والكميت[13] والفرزدق[14] وذي

(١) المصدر نفسه: ١/٢٤٦.
(٢) سر صناعة الإعراب: ١/١٥٤.
(٣) المصدر نفسه: ١/٤٢ -٧٦.
(٤) المصدر نفسه: ١/١٦٣.
(٥) المصدر نفسه: ١/٢١٨.
(٦) المصدر نفسه: ١/٢٠٤.
(٧) المصدر نفسه: ١/٥٥.
(٨) المصدر نفسه: ١/١٥٠.
(٩) المصدر نفسه: ١/٩١.
(١٠) المصدر نفسه: ١/١٥١.
(١١) المصدر نفسه: ١/١٨.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٥٩.
(١٣) المصدر نفسه: ١/١٥٥.
(١٤) المصدر نفسه: ١/١١٥.

الرمة[١]، وغيرهم، ومن العباسيين بكلام ابن هرمة[٢]، المتنبي[٣]، وهو بذلك خالف جمهور اللغويين، الذي حظروا الاستشهاد بشعراء العصر العباسي، وذكر أيضاً أبياتاً من غير نسبه[٤]، كما استشهد بالأبيات ذاتها عند سيبويه في كتابه[٥]، وعني ابن جني باللغات واللهجات عنايةً كبيرةً، ونصَّ على كثير منها، فمنها قوله: «وفي كيت وذيت ثلاث لغات[٦]»، وقوله أيضاً: «وأما ارمعل وارمغل فلغتان[٧]». وتحدث أيضاً عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة [٨].

وتناولها بالشرح والتفصيل، مستشهداً بأقوال العلماء والشواهد الشعرية.

أما أقوال العلماء، فقد زخر كتابه بأقوالهم، ويقف في طليعتهم أستاذه أبو علي، فقد ذكره كثيراً مثل: «قال أبو علي[٩].....» «وأخبرني أبو علي[١٠]» ثم يلي بعده سيبويه حيث ذكر أيضاً، واستشهد بمادة كتابه، وشارحيه وناقديه أمثال الأخفش والمبرد والمازني[١١]، وذكر أيضاً الأصمعي[١٢]، ويونس[١٣]، وأبي عمرو بن العلاء[١٤]، والفراء[١٥]، وابن الأعرابي[١٦]، وثعلب[١٧]، ومرة يذكر

---

(١) المصدر نفسه: ١/٢٠٧. (٢) المصدر نفسه: ١/٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢٢. (٤) سر صناعة الإعراب: ١/١٥، ٨٣، ٢١٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/١٧٩، ٢٥٨.(٦) المصدر نفسه: ١/ ١٦٩.
(٧) المصدر نفسه: ١/ ٢٤٧. (٨) المصدر نفسه: ١/٢٣٤.
(٩) المصدر نفسه: ١/٢٠٥. (١٠) المصدر نفسه: ١/٢٣٨.
(١١) المصدر نفسه: انظر مقدمة المحققين.
(١٢) المصدر نفسه: ١/١٥٠.
(١٣) المصدر نفسه: ١/ ١١٧.
(١٤) المصدر نفسه: ١/١٦٢.
(١٥) سر صناعة الإعراب: ١/١٠٢.
(١٦) المصدر نفسه: ١/٢٤٦.
(١٧) المصدر نفسه: ١/١٢٤.

البصريين والكوفيين دون نسبة لأحد، مثل قوله: «قال أصحابنا[(١)]» «خالف جماعة من أصحابنا سيبويه[(٢)]» «قال بعضهم[(٣)]».

وخلاصة القول أن كتاب (سر صناعة الإعراب) من أوفى الكتب التي تناولت القضايا الصوتية، حيث تكلم ابن جني في الموضوعات الصوتية بصورة دقيقة، فأعطى كل نوع منها حقه، وتوسع فيه، وفصل الحديث، ويكفي ابن جني فخراً في هذا التأليف أنه جمع الدراسات الصوتية التي نشأت ضئيلة عند الخليل وسيبويه ومن تبعهما، وكوَّن لنفسه ملكةً فنيةً حتى بلغت قمة الإحاطة في كتابة (سر صناعة الإعراب[(٤)]).

لقد اجتهد ابن جني كثيراً في كتابه، وتناول فيه كلاماً كثيراً عن الدراسة الصوتية، والحديث عن هذا الكتاب طويل لأنه كتاب جمع في خضمه أصوات اللغة، واشتمل على دراسة صوتية لعدد من الحروف العربية الأصلية والفرعية، وتناول علاقة الصوت بالموسيقى، وأذواق الأصوات ووصفها، وما إلى ذلك مما يدخل عنده في التفكير الصوتي، وفي هذا المجال لا نستطيع أن نعطيه حقه، ولا يمكننا إلا الإحاطة كاملة بكتابه لأنه قلما نجد عالماً مثل (ابن جني) وفي هذه العقلية الفذة.

وقد أجهدت في إبراز الجوانب الرئيسية في كتابه، أما الحديث عن تفاصيل الكتاب، فإن دراسته تكفي لتأليف كتب كثيرة.

(١) المصدر نفسه: ١/٦٣، ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ١/٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٠٧.

(٤) انظر التفكير اللغوي عند العرب في القرنين الخامس والسادس ٨٤، ٨٦ وما بعدها رسالة دكتوراه الدكتور سليمان حسين جرير، نوقشت في القاهرة سنة وهي بحوزة الدكتور عناد الكبيسي.

الإتباع والمزاوجة لابن فارس[١]

وهو من الكتب التي عالجت ظاهرة الاتباع والمزاوجة في الحروف.

منهجه

بدأ ابن فارس كتابه بمقدمة موجزة، تحدث فيها عن كتابه، مبيناً معنى (الاتباع والمزاوجة) وسأوردها كاملة لقصرها، قال ابن فارس: «هذا كتاب الاتباع والمزاوجة وكلاهما على وجهين، أحدهما: أن تكون الكلمتان متواليتان على روي واحد، والوجه الآخر: أن يختلف الراويان ثم تكون بعد ذلك على وجهين، أحدهما: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق، إلا أنها كالاتباع لما قبلها[٢]».

وقسم ابن فارس كتابه على أبواب، وحسب حروف المعجم، ليسهل تداوله، فقال: «وصنفته على الحروف ليكون ألطف، وأقرب مأخذا إن شاء الله تعالى[٣]».

أما أبوابه فمختلفة صغراً وكبراً، منها ما يستغرق الأسطر القليلة، كما في أبواب (الخاء والذال والهاء[٤])، ومنها ما يستغرق صحيفة أو صحيفتين كما في أبواب (الباء والراء والعين[٥])، وكان يسمي هذه الأبواب حسب الحروف مثل: (باب التاء، باب السين[٦]).

أما طريقته في عرض المادة فهي، أن يأتي باللفظتين ويذكر فيهما الإتباع

(١) نشره المستشرق رودلف برونو في مدينة جيسن بألمانيا سنة ١٩٠٦. ثم حققه ونشره كمال مصطفى في القاهرة سنة ١٩٤٧.
(٢) الإتباع والمزاوجة: ٢٦.
(٣) الإتباع والمزاوجة: ٢٦.
(٤) المصدر نفسه: ٣٦، ٣٨، ٨٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢٩، ٣٩، ٤٧.
(٦) المصدر نفسه: ٣١، ٤٩.

والمزاوجة شارحاً معناها، مفصلاً إذا احتاجت اللفظة إلى ذلك مثل قوله: «خب ضب فالضب: البخيل الممسك، والخب من الخب، ويقولون هو ضب كدية إذا وصفوه بالضيق و التشدد ويقال خراب يباب وقد يفرد اليباب فهذا اتباع[١]».

أما المزاوج فبينه، مثل قوله: (ومن المزاوج قولهم: لقيته أول صوك وعوك[٢]).

ويستمر في هذه الطريقة إلى آخر الكتاب.

مصادره

على الرغم من صغر الكتاب إلا أنه حفل بمجموعة من الشواهد، كان الشعر في مقدمتها وفي حقب مختلفة امتدت إلى الشاعر العباسي حيث استشهد بشعر ابن ميادة.

أما أقوال العلماء فقد زخر كتابه بأقوالهم، ويقف في مقدمتهم اللحياني[٣].حيث نقل كثيراً من أقواله في ثنايا كتابه.

وروى عن أبي عمرو بن العلاء[٤]، وأبي عبيدة[٥]، والأصمعي[٦]، وابن السكيت[٧]، والفراء[٨]، والكسائي[٩]، وابن الأعرابي[١٠]، وغيرهم.

وبهذا يعد كتاب (الإتباع والمزاوجة) من الكتب المهمة التي تناول فيه المؤلف، ما يحدث في إتباع كلمة لكلمة أخرى على وزنها أو رويها إشباعاً

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩.
(٢) الإتباع والمزاوجة: ٤٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣٤، ٣٨.
(٤) المصدر نفسه: ٥٠.
(٥) المصدر نفسه: ٤٥.
(٦) المصدر نفسه: ٢٩، ٥٥.
(٧) المصدر نفسه: ٦٧.
(٨) المصدر نفسه: ٤٦.
(٩) المصدر نفسه: ٥٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٣١.

وتأكيداً وقد تعرض هذا الكتاب إلى نقد من قبل السيوطي ووصفه بأنه غير مستوعب الألفاظ كلها، فقال: «وقد رأيته مرتبا، على حروف المعجم وفاته أكثر مما ذكره، وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته (الإلماع في الإتباع) [(١)]».

(١) المزهر: ١/٤١٤.

المبحث الثالث

كتب في فقه اللغة

لقد اهتم علماء العربية منذ القدم بلغتهم، فنظروا فيها جملة وتفصيلاً بحثاً ودرساً حيث كان للعرب سبق معروف في الدراسات اللغوية، منذ أخذوا اللغة بالبحث العميق زادهم بذلك اهتمامهم الشديد بالقرآن الكريم وقراءته ومعرفة وجوهها، وبدأت هذه الدراسات متداخلة المباحث حيث توزع اهتمامهم على موضوعات اللغة.

وما إن أطل القرن الثاني الهجري، بدأت هذه الدراسات، تستقل بعضها عن البعض، فكان التأليف المستقل، وبدأ الاقتصار على كل موضوع من موضوعات العربية فكان من بينها (فقه اللغة) الذي برز علماً مستقلاً، وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري وعلى يد أحد اللغويين وهو ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) حيث عني — أعني فقه اللغة — باللغة من حيث بداية نشأتها، (تاريخاً وموطناً) وخصائص أصواتها وأبنية مفرداتها، وتطور دلالتها، وما إلى ذلك من الظواهر اللغوية الأخرى، ولم يكن ظهوره أول الأمر مكتمل الملامح بل ظهر أولا بشكل بحوث جزئية تعالج ظاهرة من ظواهر اللغة، كمباحث الأصمعي، وقطرب، وأبي الحسن الأخفش والمبرد والزجاج وابن دريد وابن الأنباري عن الاشتقاق والمشترك والأصوات والأضداد وغيرها من الظواهر اللغوية، ولم تعد إلا ملاحظات عامة اتسع فيها القول فيما بعد، حتى غدت جزءاً مهماً من هذا العلم الذي عرف فيما بعد بفقه اللغة.

عرف هذا العلم — أعني فقه اللغة — عند اللغويين، حيث درسوا اللغة كوسيلة لدراسة الحضارة أو الأدب من خلال اللغة والبحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها من حيث تقسيم اللغات ومقارنتها بعضها ببعض.

وتضمنت أيضاً موضوعات فقه اللغة نشأة اللغة وأطوارها حتى وصلت إلى النضج والكمال اللغويين، وتتضمن دراسة اللهجات، وتحولها مع الزمن إلى لغات مستقلة، ومن موضوعاته الأصوات اللغوية، علم الدلالة، وعلم الأبنية، وأصول الكلمات، حيث يتناول البحث في الأصول التي جاءت منها الكلمات في لغة من

اللغات.

وقد تناول كثير من الباحثين موضوع (فقه اللغة) وشروحه بالتفصيل فأغنونا عن الخوض في دراسته.

الخصائص لابن جني[١]

وهو من أوفى الكتب التي عرضت لدراسة اللغة، وأشمل كتاب وضع في خصائص اللغة العربية، حيث أطلق لنفسه حرية البحث دون تقييد.

لقد تناول ابن جني في (الخصائص) مسائل كثيرة تدخل في دراسة اللغة، فقسمه إلى اثنين وستين ومائة باب، مقسمة على أبحاث (فقه اللغة)، مظهراً ميزة كتابه عن الكتب التي سبقته في مجال دراسة اللغة وخصائصها، أما المسائل التي تناولها فبدأها بالحديث عن نشأة اللغة وتطورها وأصلها[٢]، وتداخل اللغات[٣]، ثم تحدث عن مسائل أخرى تتعلق بمنهج البحث في اللغة، ذاكراً اختلاف اللغات[٤]، وأخذ اللغة قياساً[٥]، وتناول أيضاً مسائل صوتية متمثلاً في تقارب الحروف، واستعمال أحدها مكان الآخر[٦]، ومضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف[٧]، ثم الساكن والمتحرك[٨]، وتحريف الحرف[٩]، وتضمن كتاب (الخصائص) مسائل صرفية منها قلب لفظ إلى لفظ[١٠]، أو الاشتقاق الأكبر[١١]،

---

(١) حققه الأستاذ محمد علي النجار، طبع في بيروت سنة ١٩٥٢.
(٢) الخصائص: ١/٤٠.
(٣) المصدر نفسه: ١/٣٧٤.
(٤) الخصائص: ٢/١٠.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٤٠.
(٦) المصدر نفسه: ٢/٨٢.
(٧) المصدر نفسه: ٢/٣١٥.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٣٢٨.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٤٤٠.
(١٠) المصدر نفسه: ٨٨.
(١١) المصدر نفسه: ٢/١٣٣.

والاشتقاق الأصغر[١]، وزيادة الحرف عوضاً من آخر محذوف[٢]، أما المسائل النحوية، فقد احتلت مكاناً بارزاً في (الخصائص) فتحدث ابن جني عن النحو[٣]، والإعراب[٤] البناء[٥]، والفعل[٦]، وحذف الحرف[٧]، واحتلت المسائل البلاغية والدلالية حيزاً في (الخصائص) فتطرق بالحديث إلى الحقيقة والمجاز[٨]، وقوة اللفظ لقوة المعنى[٩]، والدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية[١٠].

رسم كتاب (الخصائص) لمؤلف بارع، ملم بالعربية وعلومها وما احتواه من مادة غزيرة، مليئة بالشواهد المختلفة، هذا وقد تناول كل من الأستاذ محمد علي النجار[١١]، والدكتور حسام سعيد النعيمي[١٢] (كتاب الخصائص) في شيء من التفصيل النافع، فأغنيانا عن الخوض في دراسته، من ناحية منهجه، وزمن تأليفه، وطريقته في تناول بحوث اللغة التي تطرق فيها مؤلفه.

لقد برزت شخصية ابن جني العلمية في كتابه (الخصائص) فإنه في أثناء تناوله مادةً معينةً، لم يكتف بالنقل من العلماء، ووصف الظواهر، بل ناقش القضايا وعللها، حيث غاص في أغوار اللغة العربية، وتناولها في الدرس والتفصيل، وخرج بعدد من خصائص العربية، أفرغها في كتابه، استطاع أن يبرزها في جدل

(١) المصدر نفسه: ٢/١٣٩.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٨٥.
(٣) المصدر نفسه: ١/٣٤.
(٤) المصدر نفسه: ١/٣٥.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣٧.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٧٩.
(٧) المصدر نفسه: ١/٣٨١.
(٨) المصدر نفسه: ٢/٤٤٢.
(٩) المصدر نفسه: ٢/٢٦٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٣/٩٨.
(١١) الخصائص: ٣/٩٨.
(١٢) في مواضع متفرقة من كتابه الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني.

سهل، وحجاج لطيف، تمثلت في الدراسات الجدلية، والتطبيقية، والنقلية والفلسفية[١].

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها[٢]

وهو أول مؤلف يصل إلينا يحمل عنوان (فقه اللغة)، ويعد ابن فارس أول من جمع في كتابه خصائص اللغة المختلفة ودراستها بصورة تفصيلية، وقد أوضح في عصره المتقدم المباحث اللغوية التي ينبغي أن تتوافر عليها المناهج في دراسة علم اللغة[٣].

وضمنه بعض المباحث الهامة في فقه العربية، كخصائص هذه اللغة، واشتقاقها وقياسها، ومترادفها ومجازها، واشتراكها ونحتها، واختلاف لغاتها ولهجاتها[٤].

منهجه[٥]:

رسم كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس، لمؤلف وضع لنفسه منهجاً يختلف عن سابقيه، بأن ضم أصول العربية، ويتدبر سنن العرب في كلامها، وقد أقر بذلك في أثناء حديثه عن مقدمة كتابه، فقال: «والذي جمعناه في مؤلفنا هذا مفرق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين – رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء – وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق[٦]».

---

(١) رواية اللغة: ٢٩٧.

(٢) نشر أول مرة بعناية محب الدين الخطيب، وقد نشرته المكتبة السلفية في القاهرة سنة ١٩١٠، ثم حققه الدكتور مصطفى الشويمي ونشره ببيروت سنة ١٩٦٣. ثم نشر أخيراً بتحقيق السيد صقر في القاهرة ١٩٧٧.

(٣) الدراسات اللهجية والصوتية والنحوية في كتاب الصاحبي للأستاذ محمد كاظم البكاء، نشره في مجلة كلية الفقه العدد الثاني سنة ١٩٨٣ – ١٩٨٤، ص ٣٢٠.

(٤) دراسات في فقه اللغة: ٢٤.

(٥) اعتمدت في دراسة الكتاب على طبعة الدكتور مصطفى الشويمي.

(٦) الصاحبي في فقه اللغة: ٣١.

يطالعنا كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) بمقدمة وجيزة مقتضبة، بدأها بسبب تسمية الكتاب فقال: «هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، وإنما عنونته بهذا الاسم، لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل[١] كافي الكفاة عمر الله عراص العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره – تجملاً بذلك وتحسناً[٢]».

وضمن مقدمته أيضاً حديثاً عن الأصل والفرع، فقال: «إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً[٣]».ويفصل القول بذلك، مشفوعاً بالأمثلة.

لقد درس ابن فارس خصائص اللغة العربية دراسةً تفصيليةً، دقيقاً في تناوله شرح المادة، موفياً حقها، واضعاً لنفسه منهجاً مستقلاً، تطرق فيه على مسائل اللغة من لغة، ونحو، وبلاغة وشعر، وما يدخل في دراسة اللغة من أصوات، وإبدال، وقلب، وغيرها من المباحث اللغوية ضمن مباحث فقه اللغة.

تناول ابن فارس – كما قلنا – كثيراً من المسائل التي ضمها فقه اللغة، ومن خلال دراستنا للكتاب، نستطيع أن نقسمه إلى أقسام، هي:

١. القسم الأول يتضمن دراسة اللغة، وتناول نشأة اللغة حيث ذهب إلى أن نشأة لغة العرب توقيف، ودليله على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [٤]، وهذا الباب جعله أول باب كتابه[٥]، وبعد ذلك تحدث عن الخط العربي وأول من كتب فيه[٦]، وذهب إلى أن آدم أول من كتب الكتب كلها، ثم تحدث عن لغة العرب، على أنها أفضل اللغات وأوسعها، فقال: «وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية، فهذا غلط، لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر

(١) هو الصاحب بن عباد المتوفى (سنة ٣٨٥هـ).
(٢) الصاحبي في فقه اللغة: ٢٩.
(٣) المصدر نفسه: ٢٩.
(٤) البقرة: الآية: ٣١.
(٥) الصاحبي في فقه اللغة: ٣١.
(٦) المصدر نفسه: ٣٤.

للسيف بالعربية صفات كثيرة[١]». ثم فصل القول بالعربية معدداً ما تضمنه من ظواهر بيانية مثل الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن[٢].

ومن الأبواب الأخرى التي تضمنه هذا القسم هي:

١. باب لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها[٣]، وبدأه بقول الإمام الشافعي: «كلام العرب لا يحيط به إلا نبي[٤]». وقد أيد ابن فارس هذا القول بقوله: «وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً[٥]».

٢. باب اختلاف لغات العرب[٦]، وتحدث فيه عن الاختلاف في الحركات وإبدال الحروف، والهمز والتليين، والتقديم والتأخير، والحذف والإثبات، والإمالة والتفخيم، والإدغام، والإعراب، وصورة الجمع[٧]، وكل هذه الاختلافات مؤيدة بالأمثلة مثل قوله: «ومنه الاختلاف في التقديم والتأخير، نحو: صاعقة، صاقعة[٨]»، ومثل ذلك في بقية الاختلافات الأخرى.

٣. باب القول في أفصح العرب[٩] وعنده قريش أفصح اللغات فقال: «إن قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً[١٠]».

وقد علل ذلك بقوله: «وذلك أن الله — جل ثناؤه — اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد — ﷺ- فجعل قريشاً قطان

(١) المصدر نفسه: ٤١.
(٢) المصدر نفسه: ٤١.
(٣) المصدر نفسه: ٤٧.
(٤) المصدر نفسه: ٤٧، وينظر: الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٥ — ٥٥.
(٥) الصاحبي في فقه اللغة: ٤٧، وينظر الرسالة للإمام الشافعي ص ٤٥ — ٥٥.
(٦) المصدر نفسه: ٤٨.
(٧) انظر المصدر نفسه: ٤٨ — ٥١.
(٨) المصدر نفسه: ٤٩.
(٩) المصدر نفسه: ٥٢.
(١٠) المصدر نفسه: ٥٢.

حرمه وجيران بيته الحرام وولاته[١]»

٤. باب اللغات المذمومة[٢]، وتحدث عن عنعنة تميم، وكشكشة أسد وكسكسة ربيعة، وقد جعل ابن فارس اللغات الأخر بين الفصيحة والمذمومة، وكان المعيار عنده في تقويم فصاحة اللغات هو نسبة استعمالها في القرآن الكريم، فأفصحها أكثرها استعمالاً في القرآن الكريم، وهي لغة قريش، أما لغات القبائل الأخر فالفصيح من لغاتها ما نال نصيبه في لغة القرآن[٣].

٥. باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن[٤]، وقد تناول هذه اللغات معتمداً على الحديث النبوي الشريف: «نزل القرآن على سبعة أحرف[٥]».

٦. باب القول في مأخذ اللغة[٦]، وتحدث في هذا الباب في مصادر استقاء اللغة بقوله: «فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم، أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة[٧]».

ثم تحدث بعد ذلك على الاحتجاج باللغة العربية[٨]، ثم حاجة أهل العلم والفتيا إلى معرفة اللغة العربية، بعدها تحدث عن القياس[٩] والاشتقاق[١٠].

وتكلم أيضاً عن كثرة كلام العرب[١١] وأن ما وصلنا منه قليل، فقال: «ذهب علماؤنا – أو أكثرهم – إلى أن الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقل، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاء شعر كثير وكلام كثير[١٢]».

---

(١) المصدر نفسه: ٥٢.
(٢) المصدر نفسه: ٥٣.
(٣) الدراسات اللهجية والصوتية والنحوية في الصاحبي ص ٢٨٩.
(٤) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٧.
(٥) سبقت الإشارة إليه في مبحث القراءات في رسالتنا.
(٦) الصاحبي في فقه اللغة: ٦٢.
(٧) المصدر نفسه: ٦٣.
(٨) المصدر نفسه: ٦٣.
(٩) المصدر نفسه: ٦٤.
(١٠) المصدر نفسه: ٦٧.
(١١) المصدر نفسه: ٦٧.
(١٢) الصاحبي في فقه اللغة: ٦٧.

ومن الأبواب الأخرى التي تناولها في دراسة اللغة هي: باب انتهاء الخلاف في اللغات[١]، باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله[٢].

وتحدث ابن فارس أيضاً عن تطور اللغة، وجعلها في باب الأسباب الإسلامية، وذهب إلى أن اللغة تتطور بتطور أسباب حياة الإنسان، فتحدث عن حياة الإنسان في الجاهلية، وما صاحبها من تطور في الحياة والألفاظ المستعملة عند مجيء الإسلام[٣].

القسم الثاني: وتناول ابن فارس المسائل النحوية، وقد أراد أن يخضع هذه المسائل إلى دراسة اللغة من حيث الدلالة، وهو أحد مباحث فقه اللغة الرئيسة[٤].
أما أهم الأبواب التي تضمنها الكتاب في مسائل نحوية فهي:

١. باب أقسام الكلام، فقال: «أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف[٥]»، ويفصل القول بها جاعلاً كل قسم منها بباب فتحدث أولاً عن باب الاسم[٦]، فباب الفعل[٧]، ثم باب الحرف[٨].

وقد اضطرب ترتيب ابن فارس بهذه الأبواب، فقد تحدث أولاً عن الأسماء، ثم عن الأفعال، ثم الحروف، بعد ذلك تحدث عن باب النعت[٩]. ثم يرجع إلى الحديث عن الأسماء[١٠]، وكان حرياً به أن يؤخر الحديث عن النعت بعد الانتهاء من الحديث عن الأسماء.

---

(١) المصدر نفسه: ٧٢.
(٢) المصدر نفسه: ٧٤.
(٣) انظر الصاحبي في فقه اللغة: ٧٨ — ٨١.
(٤) الدراسات اللهجية والصوتية والنحوية: ص ٣١٤.
(٥) الصاحبي في فقه اللغة: ٨٢.
(٦) المصدر نفسه: ٨٢.
(٧) المصدر نفسه: ٨٥.
(٨) الصاحبي في فقه اللغة: ٨٦.
(٩) المصدر نفسه: ٨٨.
(١٠) انظر المصدر نفسه: ٨٨ — ٩٩.

٢. باب الحروف[١]، وتحدث عن أصل هذه الحروف فقال: «فأصل الحروف الثمانية والعشرون التي منها تأليف الكلام كله[٢]».ثم تحدث عن ابتداء من الألف وانتهاء بالياء.

مثلاً في باب الفاء «قال البصريون: مررت بزيد فعمرو، الفاء أشركت بينهما في المرور، وجعلت الأول مبدوءا به[٣]».

وتناول حديثه في الكلام على الحروف المفردة الدالة على المعنى فقال: «وللعرب الحروف المفردة التي تدل على المعنى نحو: التاء في خرجت وخرجت والياء في ثوبي وفرسي[٤]».

٣. باب الكلام في حروف المعاني[٥]، وقد عدد حوالي تسعين حرفاً من الحروف[٦]، ورتبها حسب الترتيب الهجائي، فقال: «فأول ذلك ما كان أوله ألف[٧]»، فبدأ حديثه بـــ (أمْ[٨]) وانتهى حديثه بـــ (يا[٩]). وأراد ابن فارس أن يضع لنفسه منهجاً يختلف عن النحاة في تناولهم للمسائل النحوية في توخيه أصول النحو العامة بلحاظ أصل الوضع والاستعمال اللغوي[١٠]. وهو بذلك درس النحو بمنظور لغوي ووضعه ضمن مباحث فقه اللغة.

أما القسم الثالث فقد تناول فيه مسائل بلاغية، حيث ابتدأ حديثه عن معاني الكلام[١١]، وقد عد منها عشرة أبواب فقال: «وهي عند أهل العلم عشرة: خبر

---

(١) المصدر نفسه: ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٠.
(٣) المصدر نفسه: ١١٠.
(٤) المصدر نفسه: ١٢١.
(٥) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٦) الصاحبي في فقه اللغة: من الصفحات ١٢٥ – ١٧٩.
(٧) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٨) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٩) المصدر نفسه: ١٧٨.
(١٠) الدراسات اللهجية والصوتية والنحوية في الصاحبي: ٣١٨.
(١١) الصاحبي في فقه اللغة: ١٧٩.

واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمن وتعجب[١]». وقد فصل القول بها مع الأمثلة.

وتحدث أيضاً عن (معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء[٢])، وتحدث ضمن هذا الباب عن المعنى والتفسير والتأويل، وقد فصل الحديث عنهما داعماً ذلك بالأمثلة.

ومن المسائل البلاغية الأخرى التي تحدث عنها هي: الحقيقة والمجاز وجعلها في باب أطلق عليه (باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز[٣])، وفصل القول في أبواب أخرى من المسائل البلاغية[٤]، مثل: القلب، والإبدال، والاستعارة والحذف والاختصار، والتكرار والعموم والخصوص، والكناية.

أما المسائل الصرفية فقد أخذت القسم الرابع من الكتاب وتناول في هذا القسم الأبواب التالية:

١. باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر[٥].
٢. باب الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد[٦].
٣. باب البناء الدال على الكثرة[٧].
٤. باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان، وقد تختلف[٨].
٥. باب البسط في الأسماء[٩].

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة: ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه: ١٩٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٦.
(٤) انظر المصدر نفسه: ٢٠٢ – ٢١٠، ٢٦٠.
(٥) الصاحبي في فقه اللغة: ٢٢٢.
(٦) المصدر نفسه: ٢٢٣.
(٧) المصدر نفسه: ٢٢٤.
(٨) المصدر نفسه: ٢٢٤.
(٩) المصدر نفسه: ٢٢٧.

وتحتل المسائل الصوتية حيزاً في الكتاب، إلا أنها جاءت متناثرة في كتابه وخاصة في الباب الذي خصصه لدراسة الحروف[١]، وقد تحدث عن الحروف ومخارجها وعللها وزياداتها فقال: «وحدثني علي بن أحمد الصاحبي قال: سمعت ابن دريد يقول: حروف لا تتكلم بها إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها[٢]».

أما القسم الخامس والأخير، فقد تحدث فيه عن الشعر إلا أن حديثه كان في غاية الإيجاز، حيث بدأ كلامه بتعريف الشعر، فقال: «الشعر كلام موزون مقفى دال على معنى ويكون أكثر من بيت[٣]»، ثم تحدث عن مواقف القرآن الكريم بعدها تحدث عن الشعراء، وما يستعملونه من قواعد نحوية ولغوية، وقد رد على القائلين بالضرورة الشعرية، فقال: «ولا معنى لقول من يقول: إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز[٤]».

وبنهاية الحديث عن الشعر ينتهي كتاب ابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامهما).

مصادره:

كان ابن فارس في كتابه متعدد المصادر والشواهد والموضوعات، ويقف على رأس هذه المصادر القرآن الكريم[٥]، وعمد أيضاً إلى ذكر القراءات القرآنية في مواضع الخلاف[٦]، واستشهد أيضاً بالحديث النبوي الشريف[٧]، أما الشعر فقد أكثر الاستشهاد به والشعراء عنده يتوزعون إلى عصور مختلفة، فاستشهد بكلام

(١) المصدر نفسه: ١٠٠ — ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه: ٤٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢٧٣.
(٤) الصاحبي في فقه اللغة: ٢٧٥، وينظر الضرورة الشعرية: دراسة أسلوبية للدكتور السيد إبراهيم محمد بيروت دار الأندلس ١٩٨١م/ط ٢.
(٥) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٥، ١٣٢، ٢٦٢، ٢٧٠.
(٦) المصدر نفسه: ٦٣، ١٦٣، ٢٢٩.
(٧) المصدر نفسه: ٧٠، ١٤٦، ٢٧٥.

الجاهليين أمثال، امرئ القيس[١]، الأسود بن يعفر[٢]، وزهير بن ابي سلمى[٣]، والنابغة الذبياني[٤]، الأفوه الأودي[٥]، قيس بن الخطيم[٦]، وغيرهم، ومن الإسلاميين أمثال، حسان بن ثابت[٧]، ولبيد[٨]، كعب بن زهير[٩]، الشماخ[١٠]، حميد بن ثور[١١] وغيرهم من الأمويين: أمثال: الأحوص[١٢]، جرير[١٣]، الفرزدق[١٤]، ذي الرمة[١٥]، عمرو بن أبي ربيعة[١٦]، ومن العباسيين، ابن هرمة[١٧]، وابن ميادة[١٨]، واستشهد أيضاً بالرجز أمثال، رؤبة[١٩] والعجاج[٢٠]، وأبي النجم[٢١].

أما أقوال اللغويين والنحويين، فقد حفل بها (الصاحبي) وهو في أثناء ذلك

(١) المصدر نفسه: ١١٠، ١٨٩، ٢١٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٩، ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٦، ٢١٣.

(٤) المصدر نفسه: ٩٢، ١١٣، ٢٣٥.

(٥) المصدر نفسه: ٦٨، ٢٤٩.

(٦) المصدر نفسه: ٢١٨.

(٧) المصدر نفسه: ٨٩، ٢١٨.

(٨) المصدر نفسه: ١٦٩، ٢٢٦.

(٩) المصدر نفسه: ٩٠٢، ٢٣٧.

(١٠) المصدر نفسه: ١٣٢، ٢١٠، ٢٤٧.

(١١) المصدر نفسه: ٨٠، ١٩٥.

(١٢) الصاحبي في فقه اللغة: ١٦٧.

(١٣) المصدر نفسه: ١٦٠، ١٨٠.

(١٤) المصدر نفسه: ١٨٣، ٢٥٥.

(١٥) المصدر نفسه: ٥٣، ١٩٤، ٢٤٦.

(١٦) المصدر نفسه: ١٢٩.

(١٧) المصدر نفسه: ١٤٦.

(١٨) المصدر نفسه: ٦٩.

(١٩) المصدر نفسه: ٢٠٢، ٢٧٦.

(٢٠) المصدر نفسه: ١٦٧، ٢٥٢.

(٢١) المصدر نفسه: ١٤٠، ٢٢٨.

كثير الرواية عنهم، فذكر من البصريين، الخليل[١]، الأصمعي[٢]، وأبا عبيدة[٣]، والمبرد[٤]، والزجاج[٥]، وابن دريد[٦]، ومن الكوفيين، الفراء[٧]، والكسائي[٨]، وابن الأعرابي[٩]، وثعلب[١٠]، وكان كثير النقل عن علي بن إبراهيم القطان[١١].

وخلاصة القول، فإن كتاب (الصاحبي في اللغة)، قد فتح مجال البحث والغوص في مسائل العربية، ويكفي ابن فارس أن يكون رائداً في اختيار (فقه اللغة) وإطلاق التسمية على كتابه حيث إن هذا المصطلح لم يكن معروفاً عند اللغويين الذين سبقوا عصره، على الرغم من بحوثهم اللغوية في دراسات اللغة وخصائصها فضلاً عن تطور الدراسات اللغوية في العصور الأولى، وتطورها ونضجها في القرن الرابع.

---

(١) المصدر نفسه: ٣٨، ١٣٠، ٢٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٤، ٩٩، ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠، ١٦٦، ٢٦٨.

(٤) المصدر نفسه: ٨٣، ١٣٨، ٢٦٤.

(٥) المصدر نفسه: ٨٨، ١٤٤، ١٥٩.

(٦) المصدر نفسه: ٥٤، ٩١، ٢٦٥.

(٧) المصدر نفسه: ٤٨، ١٣٣، ٢٥٣.

(٨) المصدر نفسه: ٥٨، ٨٦، ١٧٠.

(٩) المصدر نفسه: ١٣٣، ١٩٢.

(١٠) المصدر نفسه: ٧٣، ١٥٥، ١٩٢.

(١١) المصدر نفسه: ٣٦، ٥٧، ٩٩، ١٧٤، ٢٦٤.

الخاتمة

لقد توخيت في هذه الرسالة أن أتتبع الدراسات اللغوية في العراق خلال القرن الرابع الهجري، وحسبي أني تمكنت من بلوغ ما أذهب إليه في تتبع جوانب الموضوع، وحصر متطلباته في قدر استطاعتي وما وجدته من المصادر والمراجع.

أما أهم نتائج ما وصلت إليه، فيمكن إجمالها بما يأتي:

١. انقسام العراق إلى دويلات مستقلة، وقد ساعد هذا الانقسام إلى إذكاء التنافس العلمي بين العلماء، وما صاحب ذلك من ازدهار الحياة الثقافية والعلمية، حتى شغلت هذه الحركة الجميع على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وديانتهم.

٢. تبوأت بغداد منزلة علمية رفيعة، وذاع صيتها في الآفاق فقصدها الدارسون، وشدت إليها الرحال من كل حدب وصوب.

٣. ظهور منهج جديد له خصائص وأسس علمية جديدة، عرف بمنهج البغداديين.

٤. بروز ظاهرة الأمالي، فإنها لم تقتصر على اللغويين، وإنما جلس للإملاء أدباء وكتاب، أمثال: الصولي، والآمدي وغيرهم.

٥. اهتمام اللغويون بالدراسات القرآنية، وبروز ابن مجاهد، ووضع أسس جديدة للقراءات القرآنية فقد يرجع الفضل إليه في تسبيع القراءات، واقتصارها على القراء السبعة.

٦. استكمال المعجمات اللغوية، بعد الانتهاء من جمع مادة اللغة الفصيحة، وتدوينها في المعاجم، فكان: تهذيب اللغة، والجمهرة ومجمل اللغة، والصحاح وغيرها.

٧. اهتمام اللغويون بالألفاظ المعربة.

٨. ظهور العالم الموسوعي في التأليف اللغوي، فقد تعددت مصنفات العالم في علوم العربية المختلفة.

٩. مثل القرن الرابع حلقة واحدة متكاملة من اللغويين في تاريخ علم اللغة.

١٠. التوسع في الاستشهاد، فاستشهدوا بأقوال من سبقهم من العرب شعراً

كان أو نثراً من العصر الجاهلي وحتى القرن الرابع، ولم يقفوا عند حدود مدرسة لغوية معينة، ولم يقفوا أيضاً بشواهدهم الشعرية عند الحدود المتعارف عليها عند اللغويين - في نهاية العصر الأموي - بل استشهدوا بالشعراء العباسيين أمثال: بشار بن برد، وأبي تمام، وأبي العتاهية والمتنبي.

١١. استكمال الدراسات الصوتية فقد اهتم علماء القرن الرابع بدراسة الأصوات، فظهرت مؤلفاتهم المستقلة به وقد وضحت معالمه وبلغت قمته على يد ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب.

١٢. اهتمام علماء القرن الرابع بنقد مصنفات من سبقهم، فظهر على أثر ذلك النقد اللغوي وتوضحت معالمه، حيث قامت حركة نقدية مباركة، فضلا عن الشروح والتعليقات للمصنفات، ويقف في طليعتها كتاب (سيبويه) حيث تناولوه بالشرح والتعليق، ثم كتاب (فصيح ثعلب).

١٣. عرف في هذا القرن مصطلح فقه اللغة حيث لم يكن معروفاً قبل القرن الرابع الهجري، وقد ألف فيه ابن فارس كتاباً سماه (الصاحبي في فقه اللغة) وابن جني في كتابه (الخصائص) وإن كان ابن جني لم يطلق عليه اسم (فقه اللغة) إلا أن موضوعاته تدخل ضمن موضوعات فقه اللغة.

وهناك أمور أخرى ذكرت في موضعها من البحث.

وبعد......

فإني بذلت قصارى جهدي، ولم أدخر وسعاً في البحث والتنقيب للوصول إلى هدف البحث، ولكني لا أدعي الكمال، فإن الكمال لله وحده، وفوق كل ذي علم عليم، وحسبي أني طالب علم، ولج أغمار البحث والتتبع لأول مرة، وجرب حظه في معانيه، فإن أكُن قد وفقت في ذلك، فما توفيقي إلا بالله، وإن أخفقت فإني أستلهم من الله الشكر وحسن المآب، والسداد، والعمل في قابل أيامي، فهو مولانا ونعم النصير والحمد لله أولاً وآخراً.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطة

١. الاشتقاق وشرح الصفات من كلام العلماء ولغة الفصحاء، لأبي عبد الله محمد بن محمد الصبحي، مصورة الدكتور محمد جبار المعيبد.

٢. تاريخ الإسلام – للذهبي. مصورة الدكتور بشار عواد معروف.

٣. تصحيح الفصيح – ابن درستويه – مصورة الدكتور عبد الله الجبوري.

٤. سر صناعة الإعراب – ابن جني- مخطوطة مكتبة المتحف العراقي.

٥. طبقات النحاة واللغويين – ابن قاضي – شهبة مخطوطة مكتبة الأوقاف العامة برقم ١٠٦.

٦. عيون التواريخ – محمد شاكر الكتبي – مصوره الدكتوره نبيلة عبد المنعم.

٧. غريب القرآن - أبو عمر الزاهد – مصوره الدكتور محمد جبار المعيبد.

٨. الغريب المصنف – أبو عبيد القاسم بن سلام – مخطوطة مكتبة المتحف العراقي.

٩. محاضرات الدكتور عبد الله الجبوري على طلبة قسم اللغة العربية (مدونتي).

١٠. معاني القرآن – الزجاج – مصوره الدكتور محمد صالح التكريتي.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. ابن الأعرابي – كامل سعيد – رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة – بغداد ١٩٧٥. محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

٢. ابن خالويه وجهوده في اللغة – محمود جاسم محمد – رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة بغداد ١٩٨٢.

٣. ابن دريد وجهوده في اللغة – عبد الحسين عبد الله – رسالة ماجستير

مطبوعة بالآلة الكاتبة – جامعة البصرة ١٩٨٤.

٤. أبو عمر الزاهد، حياته، وآثاره – محمد جبار المعيبد – رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة بغداد ١٩٧٣. مكتبة الدراسات العليا – كلية الآداب – جامعة بغداد.

٥. أثر المحتسب في الدراسات النحوية – حازم سليمان الحلي – رسالة ماجستير في جامعة القاهرة – ١٩٧٨ – مطبوعة بالآلة الكاتبة – محفوظة في المكتبة المركزية جامعة بغداد.

٦. الأزهري وكتابه تهذيب اللغة، رشيد عبد الرحمن العبيدي – رسالة دكتوراه من آداب القاهرة ١٩٧٣، محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

٧. بغداد في القرن الثالث الهجري – مكية سلمان العبيدي – رسالة ماجستير من جامعة بغداد – ١٩٦٧ – محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

٨. التفكير اللغوي في القرنين الخامس والسادس الهجريين – سليمان حسين جوير الكبيسي – رسالة دكتوراه – جامعة الأزهر – القاهرة ١٩٨٠- محفوظة في مكتبة الدكتور عناد الكبيسي.

٩. الحديث الشريف في الدراسات اللغوية والنحوية – محمد ضاري حمادي – رسالة ماجستير مطبوعة بالآلة الكاتبة – بغداد ١٩٧٣ محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

١٠. الدراسات اللغوية في القرن الثالث الهجري – خليل العطية – رسالة دكتوراه – القاهرة ١٩٧٦، مطبوعة بالآلة الكاتبة محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

١١. الزجاج – حياته ومذهبه في النحو – محمد صالح التكريتي – رسالة ماجستير – بغداد ١٩٦٧ مطبوعة بالآلة الكاتبة، محفوظة في المكتبة المركزية جامعة بغداد.

١٢. المجازات القرآنية – ومناهج بحثها دراسة بلاغية نقدية – الدكتور كامل البصير – رسالة دكتوراه – القاهرة ١٩٧٥، محفوظة في المكتبة المركزية – الجامعة المستنصرية.

١٣. معاني القرآن – الأخفش – دراسة وتحقيق – عبد الأمير الورد– رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة – بغداد ١٩٧٨ – محفوظة في المكتبة المركزية – جامعة بغداد.

ثالثاً: المجلات

١. مجلة كلية الآداب – البصرة – العدد العاشر – السنة التاسعة ١٩٧٦.

٢. مجلة كلية الآداب – بغداد – العدد السابع عشر لسنة ١٩٧٣.

٣. مجلة كلية الآداب – المستنصرية – العدد الثالث لسنة ١٩٧٨.

٤. مجلة كلية أصول الدين العدد الأول ١٩٧٥.

٥. مجلة كلية الفقه العدد الثاني سنة ٨٣ – ١٩٨٤.

٦. مجلة اللسان العربي – المجلد الثامن – الجزء الأول لسنة ١٩٧١.

٧. مجلة لغة العرب – الجزء الثاني – السنة التاسعة ١٩٣١.

الجزء السابع – لسنة ١٩٦٧.

٨. مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد العاشر لسنة ١٩٦٢.

المجلد الحادي والعشرون لسنة ١٩٧١.

٩. مجلة المجمع العلمي العربي – المجلد السادس عشر، الجزء التاسع لسنة

١٩٤١، المجلد الرابع والثلاثون لسنة ١٩٦٣، المجلد الخامس عشر لسنة ١٩٦٣، المجلد الثاني والأربعون – الجزء الثاني لسنة ١٩٦٧، المجلد الرابع والأربعون – الجزء الثاني لسنة ١٩٦٩.

١٠. مجلة معهد المخطوطات العربية – المجلد التاسع عشر العدد الثاني لسنة ١٩٧٣، المجلد العشرون – الجزء الثاني لسنة ١٩٧٤، المجلد الرابع والعشرون – الجزء الثاني لسنة ١٩٧٨.

١١. مجلة المقتبس – العدد الثامن ١٩١٤.

رابعاً: الكتب المطبوعة

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة في معاني القراءات – مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي – القاهرة مطبعة الرسالة.

٣. الإبدال لابن السكيت – تحقيق سليم النعيمي بغداد ١٩٦٧.

٤. الإبدال والمعاقبة والنظائر – أبو القاسم الزجاجي – تحقيق عز الدين التنوخي دمشق ١٩٦٢، مطبوعات المجمع العلمي العربي.

٥. ابن درستويه – الدكتور عبد الله الجبوري – مطبعة العاني – بغداد ١٩٧٤.

٦. أبو علي الفارسي – الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي – مطبعة نهضة مصر ١٣٧٧هـ.

٧. الاتباع والمزاوجة – ابن فارس – تحقيق كمال مصطفى – القاهرة ١٩٤٧.

٨. الاتقان في علوم القرآن – للسيوطي – مطبعة حجازي ١٣٦٨هـ.

٩. الآثار الباقية عن القرون الخالية – البيروني – طبعة لا يبزك ١٩٢٣.

١٠. الأزمنة والأمكنة – للمرزوقي – حيدر آباد الدكن ١٣٣٢هـ.

١١. أساس البلاغة – الزمخشري – تحقيق عبد الرحيم محمود – مطبعة أولاد أورثاند – القاهرة ١٩٥٣.

١٢. الإسلام والشعر – الدكتور سامي مكي العاني – الكويت ١٩٨٣ ضمن سلسلة عالم المعرفة.

١٣. الإسلام والشعر – الدكتور يحيى الجبوري – بغداد ١٩٦٤، مكتبة النهضة.

١٤. الأشباه والنظائر – السيوطي – تحقيق طه عبد الرؤوف سعد – مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٩٧٥.

١٥. الاشتقاق – ابن دريد تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي ودار الرفاعي ١٤٠٣.

١٦. الاشتقاق – ابن السراج – تحقيق الدكتور محمد صالح التكريتي – مطبعة المعارف بغداد – الطبعة الأولى ١٩٧٣.

١٧. اشتقاق أسماء الله – لأبي القاسم الزجاجي – تحقيق الدكتور عبد الحسين مبارك – بغداد ١٩٧٤.

١٨. الاصابة في تمييز الصحابة – أبو علي العسقلاني – القاهرة ١٣٢٧هـ.

١٩. إصلاح المنطق لابن السكيت – تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – دار المعارف – مصر سنة ١٩٥٦.

٢٠. الأضداد – أبو بكر الأنباري – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم –

الكويت ١٩٦٠.

٢١. الأضداد – قطرب – تحقيق هانس كوفلر – مجلة إسلاميكا – المجلد الخامس ١٩٣١.

٢٢. الأضداد في اللغة – محمد حسين آل ياسين – مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٧٤.

٢٣. الأعلام للزركلي – بيروت ١٩٦٩.

٢٤. أعيان الشيعة – محسن العامي – مطبعة الإتقان – دمشق ١٣٦٧.

٢٥. الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – بإشراف محمد أبي الفضل إبراهيم – مؤسسة جمال للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ١٩٧٠.

٢٦. الأمالي – أبو علي القالي – دار الكتب المصرية – القاهرة سنة ١٩١٦.

٢٧. الأمالي – أبو القاسم الزجاجي – تحقيق وشرح عبد السلام هارون – مطبعة المدني القاهرة ١٣٨٢هـ - الطبعة الأولى.

٢٨. الأمالي – لليزيدي – مطبعة حيدر آباد الدكن.

٢٩. الإمتاع والمؤانسة – للتوحيدي – لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٣٩.

٣٠. الأمثال السائرة في شعر المتنبي – الصاحب بن عباد – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – نشرته مكتبة النهضة – بغداد ١٩٦٥.

٣١. الأمثال العربية القديمة – رودلف زلهايم – تعريب الدكتور رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١.

٣٢. إنباه الرواة على أنباه النحاة – للقفطي – تحقيق محمد أبي الفضل

إبراهيم – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٥٠.

٣٣. الأنساب – السمعاني – تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني – وزارة المعارف الهندية – حيدر آباد الدكن ١٩٦٢.

٣٤. الإنصاف في مسائل الخلاف – أبو البركات الأنباري – دار الجيل – بيروت ١٩٨٢.

٣٥. الأنواء – ابن قتيبة – طبع حيدر آباد الدكن بالهند ١٩٥٦.

٣٦. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون – إسماعيل باشا البغدادي – عني بنشره محمد شرف الدين – ١٣٦٤هـ.

٣٧. إيضاح الوقف والابتداء – أبو بكر الأنباري – تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان – دمشق ١٩٧١.

٣٨. البارع في اللغة – أبو علي القالي – تحقيق هاشم الطعان – بيروت ١٩٧٥.

٣٩. البحث اللغوي عند العرب – الدكتور أحمد مختار عمر – مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٧١.

٤٠. البحر المحيط – أبو حيان – مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٨هـ.

٤١. البخلاء – للجاحظ – تحقيق طه الحاجري – القاهرة – دار المعارف ١٩٦٣.

٤٢. البداية والنهاية – ابن كثير – مطبعة السعادة – مصر ١٣٥١هـ.

٤٣. بغية الوعاة للسيوطي – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – مطبعة البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٤.

٤٤. البلغة في تاريخ أئمة اللغة – الفيروزآبادي – تحقيق محمد المصري –

دمشق مطبعة وزارة الثقافة ١٩٧٢.

٤٥. البيان و التبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٤٨.

٤٦. تاج العروس – محمد مرتضى الزبيدي – وزارة الإرشاد والإنباء – الكويت ١٩٦٥، والخيرية بمصر ١٣٠٦هـ.

٤٧. تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – تعريب الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور رمضان عبد التواب – دار المعارف – مصر – القاهرة ١٩٦١.

٤٨. تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي – طبعة مصورة في بيروت عن طبعة مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٣١.

٤٩. تاريخ الخلفاء – السيوطي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – مصر سنة ١٩٥٢م – الطبعة الأولى.

٥٠. تاريخ النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري – الأستاذ طه أحمد إبراهيم. دار الحكمة – بيروت ١٩٣٧.

٥١. تذكرة الحفاظ – الذهبي – طبع حيدر الدكن سنة ١٩٥٨.

٥٢. تصحيح الفصيح – ابن درستويه – تحقيق الدكتور عبد الله الجبوري – رئاسة ديوان الأوقاف مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٥.

٥٣. التطور اللغوي التاريخي – الدكتور إبراهيم السامرائي – دار الأندلس – بيروت ١٩٨٣.

٥٤. تعليق أمالي ابن دريد – تحقيق مصطفى السنوسي – الكويت ١٩٨٤ – الطبعة الأولى.

٥٥. تقريب النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تحقيق إبراهيم

عطوة - القاهرة ١٩٦١- البابي الحلبي.

٥٦. التقفية في اللغة - أبو بشر البندنيجي - تحقيق الدكتور خليل العطية، وزارة الأوقاف بغداد ١٩٧٦.

٥٧. التكملة والذيل والصلة - الصغاني - تحقيق عبد العليم الطحاوي - وجماعة، دار الكتب - القاهرة ١٩٧٠.

٥٨. تهذيب اللغة - الأزهري - تحقيق عبد السلام هارون وآخرين - الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤.

٥٩. الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٦٧.

٦٠. جمهرة اللغة - ابن دريد - تحقيق كرنكو - مطبعة حيدر آباد الدكن ١٣٤٤هـ.

٦١. الجيم - أبو عمر الشيباني - تحقيق إبراهيم الأبياري وجماعة - نشر مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٧٤.

٦٢. الحجة في علل القراءات السبع - أبو علي الفارسي - تحقيق على النجدي وآخرون، القاهرة مكتبة دار الكاتب العربي.

٦٣. الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم - بيروت دار الشرق ١٩٧١.

٦٤. حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة - الدكتور يوسف خليف القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر سنة ١٩٦٨.

٦٥. الحيوان - الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون، بيروت ١٩٦٩.

٦٦. خزانة الأدب - عبد القادر البغدادي - طبعة بولاق ١٢٩٩هـ.

٦٧. الخصائص - ابن جني - تحقيق محمد علي النجار- دار الكتب -

القاهرة ١٩٦٢.

٦٨. دراسة أدبية لنصوص من القرآن – محمد المبارك – دار الفكر – بيروت ١٩٦٤.

٦٩. دراسات في فقه اللغة – الدكتور صبحي الصالح – دار العلم للملايين الطبعة العاشرة ١٩٨٣.

٧٠. الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث – محمد حسين آل ياسين – منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ١٩٧٩.

٧١. الدراسات اللغوية والنحوية في مصر، منذ نشأتها إلى نهاية القرن الرابع الهجري – الدكتور أحمد نصيف الجناني – دار التراث – القاهرة ١٩٧٨.

٧٢. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – الدكتور حسام النعيمي – وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠ بغداد.

٧٣. الدراسات اللغوية والنحوية في البصرة ومنهجها التعليمي إلى نهاية القرن الثالث – جاسم السعدي – بغداد ١٩٧٣.

٧٤. درة الغواص في أوهام الخواص – الحريري – طبعة مصورة عن طبعة ثوريكي في لايبزك ١٨٧١.

٧٥. ديوان ابن دريد – تحقيق عمر بن سالم – تونس ١٩٧٣.

٧٦. ديوان الأعشى – شرح محمد محمد حسين – بيروت دار النهضة ١٩٧٤.

٧٧. ذيل الأمالي والنوادر أبو علي القالي – ملحق بكتاب الأمالي.

٧٨. رسائل في اللغة والأدب – الدكتور إبراهيم السامرائي – بغداد ١٩٦٤.

٧٩. رسالة الغفران أبو العلاء المعري – تحقيق عائشة عبد الرحمن – القاهرة دار المعارف – الطبعة الثالثة ١٩٦٣.

٨٠. الرسالة المستطرفة – محمد بن جعفر الكناني – تحقيق محمد المنتصر محمد الزمزي – دمشق دار الفكر ١٩٦٤.

٨١. رواية اللغة – الدكتور عبد الحميد الشلقاني – دار المعارف – مصر ١٩٧١.

٨٢. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات – الخواساري – المطبعة الحيدرية ١٣٩٠هـ.

٨٣. الزاهر – أبو بكر الأنباري – تحقيق الدكتور حاتم الضامن – وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٧٩.

٨٤. الزجاجي ومذهبه في النحو واللغة- الدكتور عبد الحسين المبارك مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٢.

٨٥. سر صناعة الاعراب- ابن جني- تحقيق مصطفى السقا وآخرين- البابي الحلبي- القاهرة ١٩٥٤.

٨٦. سلاح الشعر- أحمد الشرباصي- الدار القومية للطباعة والنشر مصر.

٨٧. سؤالات نافع بن الأزرق – تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي- بغداد ١٩٦٨.

٨٨. شرح القصائد التسع المشهورات- ابن النحاس- تحقيق أحمد خطاب نشر وزارة الاعلام- بغداد ١٩٧٣.

٨٩. شرح ما يكتب بالباء من الأسماء المقصورة- ابن درستويه، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي.

٩٠. الشعر والشعراء- لابن قتيبة- تحقيق أحمد محمد شاكر- القاهرة دار المعارف١٩٦٦.

٩١. الصاحبي في فقه اللغة- أحمد بن فارس- تحقيق مصطفى الشويمي بيروت ١٩٦٤.

٩٢. الصحاح للجوهري -تحقيق أحمد عبد الغفور عطار- مطابع دار الكتاب العربي- القاهرة ١٩٥٦.

٩٣. الصحاح ومدارس المعجمات العربية- أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢ بيروت ١٩٦٧.

٩٤. طبقات المفسرين -الداودي- تحقيق علي محمد- القاهرة- مكتبة وهبة ١٩٧٢.

٩٥. طبقات الشافعية الكبرى- السبكي- تحقيق الحلو والطناحي- مطبعة البابي الحلبي بمصر سنة ١٩٦٤.

٩٦. طبقات فحول الشعراء- ابن سلام الجمحي- تحقيق محمود محمد شاكر- دار المعارف-مصر ١٩٥٢.

٩٧. طبقات المفسرين للسيوطي- مطبعة ليدن ١٩٣٩.

٩٨. طبقات النحاة واللغويين- ابن قاضي شهبة- تحقيق الدكتور محسن غياض- مطبعة النعمان- النجف١٩٧٤.

٩٩.طبقات النحويين واللغويين – أبو بكر الزبيدي – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٥٤.

١٠٠. العربية – يوهانفك – تعريب الدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٨٠.

١٠١. العقد الفريد – ابن عبد ربه الأندلسي تحقيق محمد سعيد العريان الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة مصر ١٩٤٠.

١٠٢. العين – الفراهيدي – تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠ بغداد.

١٠٣. غاية النهاية في طبقات القراء – ابن الجزري – نشر برجشتراسر القاهرة ١٩٣٣.

١٠٤. غريب القرآن – السجستاني – عني بتصحيحه لجنة من أفاضل العلماء – مطبعة محمد علي وأولاده – ١٩٦٣ – الأزهر.

١٠٥. الفاضل – المبرد – تحقيق عبد العزيز اليمني– دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٥٦.

١٠٦. الفروق اللغوية للعسكري.

١٠٧. فصيح ثعلب – نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي – الطبعة الأولى ١٩٤٩.

١٠٨. فقه اللغة العربية وخصائصها – الدكتور أميل بديع يعقوب – دار العلم للملايين بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٢.

١٠٩. فقه اللغة وخصائص العربية – محمد المبارك – دار الفكر بيروت ١٩٦٤ الطبعة الثانية.

١١٠. الفلاكة والمفلكون – الدلجي – نشر مكتبة الأندلس بغداد – مطبعة الآداب – النجف ١٣٨٥هـ.

١١١. الفهرست – ابن النديم – المطبعة الرحمانية بالقاهرة، وطبعة فلوجل.

١١٢. فهرس المخطوطات المصورة – فؤاد سيد – دار الرياض للطبع

والنشر – القاهرة ١٩٥٤.

١١٣. فهرسة ما رواه عن شيوخه – ابن خير الإشبيلي – تحقيق زيد زيدين وطرغوة – نشر المكتب التجاري – ١٩٦٣ طبعة مصورة. بيروت.

١١٤. فوات الوفيات – ابن شاكرالكتبي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة ١٩٥١.

١١٥. في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية – الدكتور غالب فاضل المطلبي، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٤.

١١٦. في البحث الصوتي عند العرب – الدكتور خليل إبراهيم العطية – ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم ١٢٤ – بغداد.

١١٧. في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية، العصر الجاهلي والقرن الإسلامي الأول، الدكتور طه الحاجري – الاسكندرية ١٩٥٣.

١١٨. القراءات القرآنية، تاريخ وتعريف – الدكتور عبد الهادي الفضلي – دار القلم – بيروت لبنان – الطبعة الثانية – ١٩٨٠.

١١٩. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية – الدكتور عبد العال سالم مكرم – دار المعارف – مصر ١٩٦٨.

١٢٠. الكامل – للمبرد. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والسيد شحاتة – دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة.

١٢١. الكامل في التاريخ – لابن كثير – دار صادر للطباعة والنشر ١٩٦٧.

١٢٢. الكتاب، سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – عالم الكتب ببيروت ١٩٦٦.

١٢٣. كتاب أفعل – أبو علي القالي – تقديم وتحقيق محمد الفاضل بن عاشور – المصرف التونسي للطباعة – تونس ١٩٧٢.

١٢٤. كشف الظنون عن أسام الكتب والفنون – حاجي خليفة – تحقيق التقايا والكليس – وكالة المعارف باستنبول ١٩٤١.

١٢٥. الكنايات – الجرجاني – مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٠٨.

١٢٦. لحن العامة والتطور اللغوي – الدكتور رمضان عبد التواب دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٦٧.

١٢٧. لسان العرب – ابن منظور – نشر دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥.

١٢٨. لسان الميزان – للعسقلاني – مطبعة دار المعارف النظامية ١٣٢٩.

١٢٩. اللغات في القرآن – ابن عباس – تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد بيروت ١٩٧٢.

١٣٠. المباحث اللغوية – الدكتور مصطفى جواد – القاهرة ١٩٥٥.

١٣١. مجاز القرآن – أبو عبيدة – تحقيق فؤاد سيزكين – القاهرة ١٩٥٤ – ١٩٦٢.

١٣٢. مجالس ثعلب – تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٤٨.

١٣٣. مجالس العلماء – الزجاجي – تحقيق عبد السلام هارون – الكويت ١٩٦٢.

١٣٤. مجمل اللغة – ابن فارس – تحقيق زهير عبد المحسن، دار الرسالة – بيروت.

١٣٥. محاضرات الأدباء – الراغب الأصفهاني – منشورات مكتبة الحياة ١٩٦١.

١٣٦. المحتسب – ابن جني – تحقيق علي النجدي ناصف وجماعة – دار التحرير للطباعة بالقاهرة ١٣٨١هـ.

١٣٧. المحيط في اللغة – الصاحب بن عباد – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – بغداد (ج١) ١٩٧٦، (ج٢) ١٩٧٨، (ج٣)١٩٨٠.

١٣٨. مختصر المذكر والمؤنث – المفضل بن سلمة – تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب – الشركة المصرية للطباعة والنشر – ١٩٧٢ القاهرة.

١٣٩. مختصر في شواذ القرآن – ابن خالويه – نشر براجستر – المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٣٤.

١٤٠. المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة – الدكتور صلاح الدين صالح حسين – الطبعة الأولى – القاهرة سنة ١٩٨١.

١٤١. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – الدكتور رمضان عبد التواب – الطبعة الأولى – القاهرة ١٩٨٢.

١٤٢. المذكر والمؤنث – ابن دريد – ضمن ديوان ابن دريد.

١٤٣. المذكر والمؤنث – ابن جني – تحقيق ريتر – مجلة المقتبس ١٩٤١.

١٤٤. المذكر والمؤنث – ابن فارس – تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٦٩ الطبعة الأولى.

١٤٥. المذكر والمؤنث – أبو بكر الأنباري – تحقيق الدكتور – طارق عب عون الجنابي وزارة الأوقاف – بغداد ١٩٧٨ مطبعة العاني.

١٤٦. مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي – تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم القاهرة ١٩٥٥.

١٤٧. المزهر – للسيوطي – تحقيق محمد أحمد جاد المولى – البابي الحلبي – القاهرة.

١٤٨. مع مصادر في اللغة والأدب – الدكتور إبراهيم السامرائي – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٩٨١.

١٤٩. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين – الدكتور عبد الله درويش – مطبعة الرسالة – القاهرة ١٩٥٦.

١٥٠. المعاجم اللغوية العربية – بدايتها وتطورها – الدكتور أميل يعقوب – دار العلم للملايين – الطبعة الأولى ١٩٧٨.

١٥١. معاني القرآن – الأخفش الأوسط – تحقيق فائز فارس – الشركة الكويتية الكويت ١٩٨١.

١٥٢. معاني القرآن – الزجاج – تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي – بيروت ١٩٧٨.

١٥٣. معاني القرآن – الفراء – تحقيق محمد علي النجار وجماعة – القاهرة ١٩٥٥.

١٥٤.المعاني الكبير – ابن قتيبة – تحقيق كرنكو – حيدر آباد الهند – طبعة مصورة ببيروت.

١٥٥. معجم الأدباء – ياقوت الحموي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٦. معجم البلدان – ياقوت الحموي – مطبعة السعادة ١٩٠٦.

١٥٧. المعجم العربي – الدكتور حسين نصار – دار مصر للطباعة – القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٦٨.

١٥٨. المعجم العربي بين الماضي والحاضر – مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة ١٩٦٧.

١٥٩. معجم غريب القرآن مستخرجاً من صحيح البخاري – لابن عباس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – مصر ١٩٥٠.

١٦٠. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ١٦١.

١٦١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – القاهرة ١٣٦٤.

١٦٢. المعرب من الكلام الأعجمي – الجواليقي – تحقيق أحمد محمد شاكر – القاهرة ١٣٦١

١٦٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار – الذهبي – تحقيق محمد سيد جاد الحق – مطبعة دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٩.

١٦٤. مغني اللبيب – ابن هشام – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة.

١٦٥. مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله سبحانه – ابن فارس – تصحيح وتعليق عبد العزيز اليمني – المطبعة السلفية – مصر ١٣٤٤هـ.

١٦٦. مقاييس اللغة – ابن فارس- تحقيق عبد السلام هارون ١٣٦٦هـ.

١٦٧. المقتضب - للمبرد – تحقيق عبد الخالق عظيمة – القاهرة ١٣٨٨هـ.

١٦٨. مقدمة ابن خلدون – ابن خلدون نشر ورثة الشيخ محمد عبد الخالق المهدي – القاهرة ١٩٣٠.

١٦٩. مقدمتان في علوم القرآن – آرثر جفري – مكتبة الخانجي –

القاهرة ١٩٥٤.

١٧٠. المقصـــور والممـــدود – ابـــن ولاد – تصحيح محمد بدر الدين الحلبي – مطبعة السعادة القاهرة ١٩٠٨.

١٧١. مقالات في تاريخ النقد العربي والدكتور داود سلوم وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩.

١٧٢. المقصور والممدود – نفطويه – تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود – دار التراث – القاهرة ١٩٨٠.

١٧٣. الممـــدود والمقصـــور – الوشـــاء – تحقـــيق الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٩.

١٧٤. المنتظم – لابن الجوزي-.

١٧٥. المنقوص والممدود – الفراء – مع كتاب التنبيهات لعلي بن حمزة البصري –تحقيق عبد العزيز اليمني الراجكوتي – دار المعارف – مصر ١٩٦٧.

١٧٦. المؤتلف والمختلف – الآمدي – تحقيق عبد الستار احمد فراج دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦١.

١٧٧. الموشح – المرزباني – نشرته جمعية نشر الكتب بالقاهرة – المطبعة السلفية – القاهرة ١٣٤٣هـ.

١٧٨. موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف – الدكتورة خديجة الحديثي – وزارة الثقافة والإعلام.

١٧٩. النجوم الزاهرة – ابن تغري بردي- طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٤

١٨٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري – تحقيق الدكتور

إبراهيم السامرائي – مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٩.

١٨١.النشر في القراءات العشر – ابن الجزري – تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع – نشر المكتبة التجارية في مصر.

١٨٢. نقد الشعر – قدامة بن جعفر – تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتب العلمية بيروت.

١٨٣. النقد عند اللغويين في القرن الثاني الهجري – سنية أحمد محمد – دار الرسالة للطباعة بغداد ١٩٧٧.

١٨٤. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري – الدكتورة نعمة رحيم العزاوي – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد ١٩٧٨.

١٨٥. نقض كتاب في الشعر الجاهلي – محمد الخضر حسين –المطبعة السلفية– القاهرة ١٣٤٥.

١٨٦. النوادر – مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦.

١٨٧. النوادر – أبو مسحل الأعرابي – تحقيق الدكتور عزة حسن – مطبعة المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٦١.

١٨٨. الوافي بالوفيات – الصفدي – تحقيق هلموت ريتر ١٩٦١.

١٨٩. وفيات الأعيان – ابن خلكان – تحقيق الدكتور إحسان عباس.

١٩٠. هدية العارفين – إسماعيل باشا البغدادي ١٣٧٨هـ، ١٩٦٧.

فهرس المحتويات

الفصل الأول

مصادر الدراسات اللغوية

الفصل الثاني
كتب الموضوعات اللغوية المستقلة

الفصل الثالث

علوم القرآن

الفصل الرابع
المعاجم اللغوية

الفصل الخامس